الجذور التاريخية للصراعات المعاصرة

(مع عرض لأحداث التوراة)

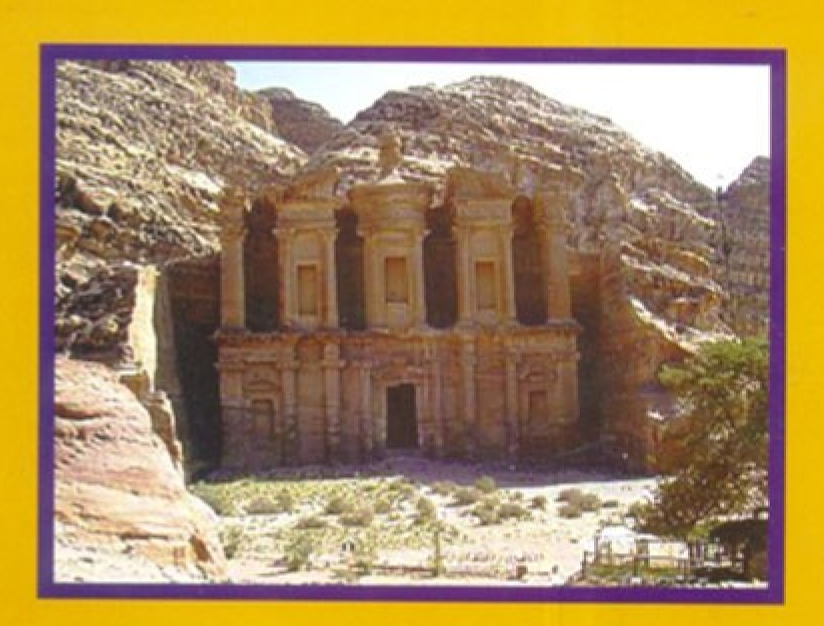


الدكتور/ عادل وديع فلسطين

مكتبة مدبولى

الجذور التاريخية للصراعات المعاصرة

(مع عرض لأحداث التوراة)



الدكتور/ عادل وديع فلسطين



مكتبة مدبولى

د. عادل وديع فلسطين

الجذور التاريخية للصراعات المعاصرة

(مع عرض لأحداث التوراة)

مكتبة مدبولي

2009

مكتبـة مدبولـي
العنوان: 6 ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
تليفون: 5756421 – فاكس: 5752854
WWW.madboulybooks.com info@madboulybooks.com
الكتاب: الجذور التاريخية للصراعات المعاصرة (مع عرض لأحداث التوراة)
التأليف: د. عادل وديع فلسطين
تصميم الغلاف:
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:
الطبعة الأولي: 2009

من وعا التاريخ فى صدره
أضاف اعمارا إلى عمره

إهــداء

إلى أقرب الناس إلى قلبي ، زوجتي كريمه، وابنتي انجي ودينا ، وحفيدي مينا ومريم .

والى كل من يحبون الله كما أحبه، وكل من يحبون الحقيقة والصدق كما أحبها.. إن الله هو الحقيقة العظمى ، وهو المحبة ، وهو النور الذي يشع على عقولنا ونفوسنا ويضيء كل طريق في الدنيا والاخرة ، وبضيائه تتجلى لنا الحقائق جميعاً.

كما أهدى هذا الكتاب لشباب مصر كجرعة ثقافيه تميط اللثام عن أحداث غامضة وتاريخ الشعب اليهودي ولمحه سريعة عن التوراة.

شكر وعرفان

أود أن اعبر عن عظيم امتناني لكل احبائى الذين لم أكن لأستطيع أن أتم هذا العمل الحبيب إلى قلبي دون معاونة البعض منهم، وإرشاد بعض آخر، وبدون ما لقيته من هؤلاء من التشجيع والدعم المعنوى والفكري.

وعلى رأس القائمة أستاذي الأكبر وأبى الروحي، قداسة البابا شنودة الثالث، رأس الكرازه المرقسيه، والذي تفضل وتعطف بزيارتي إثناء محنه مرضيه عصيبة المت بى، وقلت له – مدفوعاً بخطيئة اليأس الناتج عن آلام تلك المحنه – قلت له اننى يا أبت لم اعد أريد شيئاً من هذه الدنيا، فنطق بهذه الكلمات التي حفرت في قلبي وستبقى فيه إلى آخر العمر: " لكن الدنيا عايزاك " وباركت هذه الكلمات حياتي واعطتنى الأمل .. يوم عبرت ظلال الموت إلى الحياة.

وأتقدم بكل الشكر والعرفان إلى النبع الصافي والقلب الكبير مفكر زماننا الأديب الناقد الكبير الأستاذ يوسف الشارونى ، الذي كان لملاحظاته وتشجيعه بصمات كالنقش الفرعوني على كل صفحه من صفحات هذا الكتاب – أطال الله في عمره ومده بالصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر والامتنان لصديقي وأخي الأكبر المفكر محمد الحديدي الذي رافقني في مشوار كتابة هذه الصفحات منذ أن كانت مجرد فكره، فله منى كل الحب عارفاً بفضله ومجلاً لفكره ومعرفته.

مقدمة

كان الذهب.. ولم يزل وسيظل محلاً لعديد من الأساطير والطموحات، لعل أشهرها هو هذا الإله من آلهة الأوليمب الذي ما أن يمسك بشئ حتى يصير ذهباً. ثم تتنوع الأسطورة لتحكي أكثر من نهاية. ولست أدري لماذا تدافعت هذه الحكايات وأنا أقرأ كتاب د. عادل وديع فلسطين. هذا الرجل ما أن يمسك بعمل حتى يصوغ منه ذهباً، ذهباً حقيقياً. طبيب ناجح.. جداً. ثم هذا الكتاب التي تفوح من كل صفحة رائحة الجهد المضني والقدرة علي اكتناز الصبر الذي يعطي صاحبه مساحات من المعرفة.

تلك المعرفة التي تتعامل مع العقائد الدينية بمهارة صانع الحلي الذهبية، يحفظ للذهب قيمته ومهابته لكنه يستخدم ذوقه ومهارته وقدرته علي الإبداع في تحقيق فهم عقلي وعقلاني لما ورد فى الكتب المقدسة.

وهنا يكمن الفارق بينه وبين الآخرين.

فالدكتور عادل أعمل العقل فيما قرأ وفيما كتب. لكنه أدرك منذ البداية أن العقل عند الفلاسفة القدامى ليس نوعاً واحداً. هناك على الأقل نوعان عند الفلاسفة العرب عقل منفعل قال به الاشاعرة.. كأنك تضع عقلك أمام مرآه عمياء تقرأ، تتعلم، تعرف تطالع.. وهو يعكس ذلك كله كما هو.. فقط كما هو دون نظر إنتقادي أو محاولة للتأمل في مدي عقلانية الكتابة. تماما كالمرآه تعكس ما يوضع أمامها كما هو.. فيبقي العقل والفكر والمعرفة والعلم علي حالهم دون أي تقدم.أما العقل الآخر الذي أسماه الإمام الغزالي ـ قبل أن يصبح أشعرياً ـ العقل الفاعل فهو ذلك العقل الذي استخدمه د. عادل في فهم هذه الأكوام من الكتب الذي طالعها وربما طالعها عشرات المرات وهي كتب بعضها مقدس عند أصحابه وبعضها مليء بالأساطير. هذه الأساطير التي جرى تناقلها بحيث فرضت ما يمكن تسميته بالفكر الأسطوري. وهو فكر راسخ في عقولنا جميعاً يتجاور مع معارفنا العقلية أن وجدت ويتصارع معها يصرعه أحيانا وتصرعه في أحيان أخرى وفي غالب الأحيان تبقي الأسطورة راسخة أو كامنة في نفوسنا وعقولنا، وعلي المفكر صاحب العقل الفاعل أن يعمل العقل حقاً في تنقية الكتابة وفرزها بين ما هو عقلاني وما هو أسطوري.. هذا العقل الفاعل لعله عذب عادل وديع فلسطين عذاباً شديداً، لكنه نجح في نهاية الأمر أن يفرض سلطان العقل الفاعل علي كتابه وأن يتخلص قدر الإمكان من الفكر الأسطوري والحكايات غير القابلة للتصديق. وهذه هي القيمة الأساسية لكتابته.

وثمة أسطورة أخرى جرت روايتها على أكثر من وجه.

أحد المهراجات الهنود أدهشته ظاهرة تتكرر أمامنا الآف المرات دون أن تثير تساؤلنا. لماذا يصيح الديك بالذات دون غيره، في ساعة الفجر بالذات دون غيرها من ساعات النهار أو الليل.

وكالعادة تباري المفسرون كل علي قدر رؤيته علي إعمال العقل سواء كان عقلاً فاعلاً أو منفعلاً. أحدهم نسج من خياله أسطورة تقول: كان الديك يمتلك ذيلاً مثل مروحة كبيرة ذات ألوان متعددة ورائعة، وأتاه ذات يوم الطاووس وكان طائراً بشع المنظر فتوسل إليه أن يستعير ذيله ليزهو به أمام محبوبته ووعده أن يعيده إليه ساعة الفجر. لكن الطاووس لم يعده ولم يف بوعده، ويظل الديك

يصحو كل فجر منادياً علي الطاووس طالباً أن يعيد إليه ما سلبه منه. أنه رمز الحق الضائع أبداً. لكن مفسراً أخر قال للمهراجا إن صياح الديك في لحظة شروق الشمس هو رمز أبدي لإشراق العقل مع إشراق النور سعياً نحو اليقين.

والمعرفة اليقينية هي ما سعي إليه د. عادل. وهي ما قام الغزالي بوصفها بأنها تلك المعرفة

[التي ينكشف بها المعلوم انكشافاً لا يبقي معه ريب ولا يأتيه الغلط والوهم] ونمضي مع الغزالي ـ قبل أن يصبح أشعرياً ـ لنقرأ [إن العقل الفاعل يصلح معياراً لا يخطئ عندما يحاول التمييز بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب بشرط أن يتجرد من غشاوة الوهم، فإن العقل إذا تجرد من غشاوة الوهم (الأساطير) والخيال (اصطناع القصص الخرافية) لا يتصور أن يخطئ أبداً].

....أقلب صفحات هذا الكتاب الضخم. الذي بذل فيه عادل وديع فلسطين جهداً هائلاً وعقلاً فاعلاً نجح في أن يتخلص من وهم الأساطير والحكايات الخرافية فقدم لنا فكراً صافيا رائعاً يستحق الاحتفاء به.

ولا يبقي سوي أن استحث هذا الباحث المدقق المتنكر في زي طبيب شديد النجاح علي المزيد من الكتابة فمصر تحتاج منه كتابة أكثر وأكثر والعقل المصري أقصد العقل الفاعل يحتاج منه أن يقدم المزيد والمزيد.

د. رفعت سعيد

تمهيد

قد اختص الله منطقتنا من العالم برسالاته وبالانبياء والرسل الذين نقلوها لنا . وكما نعرف قد مضت قرون عديدة على هذه الرسالات ولم نعد نعرف الكثير عن الأحوال التى كانت سائده عند مجىء هذه الرسالات السماويه من حيث نظم الحكم واحوال المعيشة والتقاليد والممارسات السياسيه والاجتماعيه ونوعيات الثقافات السائده . ولكل هذا اهمية كبرى عند الباحث المتعمق لما له من صلة وثيقه بالاساليب التى تلقى بها الناس هذه الرسالات وترجموها من مبادىء سماويه ساميه الى منظومة سياسية اجتماعيه ، يطبقونها على ارض الواقع والحياة اليومية للبشر .

من ذلك مثلا مادار بين النبى موسى عليه السلام وفرعون مصر ، وماذا كانت الظروف السائده اثناء حياة موسى فى مصر وليداً وشاباً ورجلاً ورسولاً ، ثم اثناء خروجه مع بنى اسرائيل وعبورهم البحر الى ارض كنعان ، وليس لهذا اثره على فهمنا لما دار فى تلك الحقبه فحسب بل ان له اعظم الأثر على تعاملنا مع مايدعيه يهود زماننا هذا من أحقيتهم فى ارض فلسطين ومايستشهدون به من نصوص فى التوراه ، واثر هذا كله على افكارهم ، وبالتالى على مايجب ان تكون عليه نظرتنا اليهم ورد فعلنا كمسلمين ومسيحيين لافعالهم الحاضره والمستقبله.

صحيح أن كتب التاريخ تحوى الكثير جداً مما يعين على الاجابه على هذه الاسئله ، الا ان هناك هاتين الحقيقتين :

1- الذين يكتبون التاريخ كثيراً ما يكونون اطرافاً فى الموضوع من حيث اصولهم ومشاعرهم ، وبذلك فانهم قد لا يكونون منصفين أو محايدين ليمكننا أن نأخذ مواقفهم بالثقه التامه ، هذا اذا افترضنا انهم يعرفون الحقيقه.

2- الرسالات السماويه – بحكم طبيعتها – كثيراً ما لا توفر لنا علما كاملا بتلك التفاصيل ، حتى فى المواضع التى يأتى فيها سرد تفصيلى لحياة الانبياء والرسل وتجاربهم ، سواء كان ذلك فى التوراه واسفار العهد القديم أو فى الاناجيل ثم اخيراً فى سور القصص والكهف وغيرهما فى القرآن الكريم .

ان دعم العقيده الدينيه بثوابت التاريخ خليق بأن يؤدى الى المزيد من رسوخها فى الضمير الانسانى ، وهو واحد من الاحتياجات الضروريه لشعور الانسان بخلود الخالق وبالتالى بخلود النفس البشريه فى الحياة الآخره . كما أن دعم الحقيقه التاريخيه بإظهار تطابقها مع ما نعلم أنه صحيح الايمان بالخالق ورسالاته ، هو ايضاً خليق بأن يهيىء لنا المزيد من التثبت مما فى المراجع التاريخيه الوضعيه ، وما أكثر ما نعلم أيضاً بأنه مختلق أو مبتدع ممن يكتبون التاريخ، سواء بسوء النيه أو محض الخطأ .

هذا هو الهدف من هذا البحث ، محاولة استنباط الحقائق المتوافقه من كل من القرآن الكريم والكتاب المقدس وغيرها من النصوص الدينيه . والتعليقات والشروح من اجل استبيان أكبر قدر من الحقائق التى يمكن الوثوق بها من الزمن القديم وحتى غزو مصر بواسطة الرومان .

وسوف نسير على هذا الهدى حتى نصل بالبحث الى مانرى انه نهايته ، ثم نضيف من عندنا تعليقاً أخيراً .

وندعو الله أن يوفقنا لما فيه كل الصدق ، لا صدق ما نورده فحسب ، بل صدق نيتنا وعزمنا على تحقيق أمانة الكلمة .

الخلفيه التاريخية

عندما يتأمل الإنسان الأحداث المتعاقبة فى منطقة الشرق الأوسط وماتقوم به إسرائيل فى هذه المنطقة ، لايستطيع أن يفسر ذلك فقط بالصراعات العسكرية أو الخلافات الحدودية بين الدول ولكن يمكن أن يكون له تفسير آخر عقائدى إثنى.. وعندما نريد أن نعرف أكثر فعلينا أن نغوص فى التاريخ رويداً رويداً ونبتعد عن الحاضر إلى الماضى القريب ثم نتقهقر إلى الماضى البعيد بحثاً عن الجذور والتى لانجدها الا حيث يصل بنا قطار التاريخ إلى سفر التكوين.

وفى الحاضر وصلت القضية الفلسطينية الى منحنى خطير وأصبح قيام دولة مستقلة فلسطينية أمراً بعيد المنال، وكل مايمكن أن تسمح به اسرائيل هو نوع من الحكم الذاتى ... والدليل هو الوضع الحالى فى غزه والتى تهدد اسرائيل بإعادة احتلالها فى كل لحظه .. أما عن الضفة الغربية فهناك يستوطن 270 ألف يهودى ولاترضى إسرائيل بترسيم الحدود إلا على أساس الوضع بعد حرب 1967 .

وتذكرنا مذابح لبنان وقانا بتاريخ العنف الاسرائيلى الهادف للاستيلاء على الأراضى ، كما أن المذابح المتعددة لم يكن القصد منها التصفيات الجسدية للفلسطينين فقط .. بل تفريغ المدن والقرى وإرهاب قاطنيها فى مخطط استيطانى واسع..

ولم تكن قانا (2006) الاَّ واحدة من مسلسل المذابح الإسرائيلية للشعب الفلسطينى والعربى، فهناك قانا 1996 ، وفى عام 1948 ارتكبت إسرائيل مذبحة دير ياسين وحيفا – ثم توالت هذه المذابح ففى عام 1951 كانت مذبحة مشرفات ، ومذبحة بيت لحم عام 1952 وأربع مذابح عام 1953 بينها مذبحة قلقيليه .. هذا غير مذابح غزه وخان يونس الأولى والثانية عام 1955 والثالثة عام 1956 – ولاننسى مذابح صيدا وعين الحلوه وصابرا وشاتيلا عام 1982 والحرم الابراهيمى عام 1994 بالطبع كل هذا العنف له جذور تاريخيه وصراع قديم بين بنى إسرائيل والفلسطينيين.

وتقوم الصهيونيه العالميه بمخطط منظم لإزدراء الاديان السماويه غير اليهوديه ، فتظهر الرسوم الكاريكاتيريه التى تسىء للرسول (صلعم) ، وفى فيلم سينمائى يظهر المسيح وهو يتناول زجاجه كوكاكولا! هذا بجانب الفيلم القديم الذى انتجته هوليود بإسم "المسيح سوبر ستار" الذى يفيض سخرية من شخصية السيد المسيح بطريقة لايرضى عنها أى مؤمن.ثم يظهر كتاب "شفرة دافنشى" لدان براون ويدور حول زواج المسيح من مريم المجدليه. ويتوج هذا المسلسل بإدعاء اكتشاف مقبره عائلة السيد المسيح.

الجذور

***الشعب المختار:**

كان وعد الله لسيدنا ابراهيم أن يجعل من نسله من اسماعيل واسحق شعوبا كثيره. ولما كان العالم آنذاك غارقاً فى الخطايا وعبادة الأصنام آراد الله أن ينزل دعوته للإيمان والتوحيد – ولتحقيق هذه الرسالة وطبقاً للتوراه كان لابد أن يختار شعباً يكون نواة لنشر الدين ومعرفة الله الإله الواحد لجميع الأمم بعد ذلك ، ولكى تكون الدعوة مؤثرة لم ينزل العهد والرسالة بين شعوب تمارس كل ماينبذه الله.. بل اختار جماعة يظهر لهم قوته ويحاصرهم بمعجزاته وأعماله الإلهيه ووضعهم فى أرض يتعذبون فيها ويضطهدون (مصر) ثم ينجيهم – وبذلك يكونون قد عرفوه ويسهل دخولهم الإيمان والإعتراف به.

وبدأت قصة الخروج من مصر بعد إنزال الضربات العشر التى أصابت فرعون والمصريين – وقادهم موسى عبر رحلة طويلة فى سيناء – وتجلى الله لموسى وأعطاه الوصايا العشر التى يجب أن يتبعها شعبه – وأثناء رحلتهم تمردوا على موسى وعلى الله فعاقبهم بالتيه أربعين سنه جائلين فى البرية – وكانت هذه الفترة الطويلة كافية ليموت أثناءها كل من تمسك بعادات مصر الوثنية وتمردوا.. وسمحت لظهور جيل جديد يتمسك بالوصايا..

وتستمر الرحلة بتفاصيلها العديدة والمثيرة حتى يصل هذا الشعب الى نهر الأردن وهناك يقسم موسى الأرض (أرض كنعان) على الأسباط ويحدثهم موسى الحديث الأخير شارحاً وصاياه. ولم يدخل موسى ولا هارون ولا مريم أرض الموعد .. فقط دخل العازر رئيس الكهنه ومعه يشوع وكالب.

*الوعد والعقاب:

كان العهد الذى أعطاه الله لهذا الشعب له شروط ، ففى سفر الخروج 19: 5 – 6 يقول لهم "ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فإن لى كل الأرض".

ولكن هنا الوعد كان مشروطاً بما لم يلتزموا به طوال تاريخهم – فجاءت التحذيرات واضحة وجلية..

فى سفر التثنيه خاطب الشعب قائلاً "جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكى تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التى أقسم الرب لأبائكم" تث 8 : 10

ثم يقول " أن نسيت الرب الهك كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبادون " تث 19: 8 ، 20 .

وكذلك "يبيدك عن الأرض التى أنت داخل اليها لكى تمتلكها" ع12 "يجعلك الله منهزماً أمام اعدائك ، فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض" ع 25 .

"تكون مثلاً وهزأة فى جميع الشعوب الذى يسوقك الرب اليهم " ع 37 .

"ويبيدك الرب فى جميع الشعوب من اقصاء الأرض إلى أقصائها وفى تلك الأمم لاتطمئن ولايكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً "ع 64-65 .

هل هناك إفصاح أكثر من هذا عن الشتات ؟!

ويتحدث الله عن قسوة هذا الشعب فى سفر حزقيال "لكن بيت اسرائيل لايشأ أن يسمع لك لأنهم لايشاءون أن يسمعوا لى لأن كل بيت اسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب "حز 3 - 7"

***الجاسوسية:**

يعتبر استكشاف أرض كنعان أول أعمال الجاسوسية فى التاريخ، ففى سفر العدد 13 "ثم قال الرب لموسى أرسل جواسيس الى أرض كنعان التى أنا واهبها لبنى اسرائيل- أرسل رئيساً من كل سبط ممثلاً له" وعندما أطلقهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان قال لهم " أنطلقوا من هنا نحو الجنوب ثم اصعدوا إلى الجبل واستكشفوا البلاد وأوضاعها وهل شعبها المقيم فيها قوى أم ضعيف؟ أكثير هو أم قليل؟

وماهى طبيعة الأرض الساكن فيها أصالحه أم رديئة؟ وماهى المدن التى هو قاطن فيها؟ أمخيمات هى أم حصون؟ وكيف هى أرضه أخصبة أم قاحله؟ أفيها شجر أم جرداء؟ تشجعوا واحضروا عينه من ثمر الأرض" عدد 13: 17- 20 . وعاد الحواسيس بتقاريرهم ... " الأرض تفيض لبناً وعسلاً ..غير أن الشعب المستوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة – والعمالقة مقيمون فى الجنوب والحيثيون واليبوسيون والأموريون متمنعون فى الجبل والكنفانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأردن" عدد 13 : 27 – 29 .

أما الحدث الثانى للجاسوسية فكان أيام يشوع وقبل إحتلال أريحا"فأرسل يشوع بن نون سراً من مخيم شطيم ، جاسوسين قائلا " أذهبا واستكشفا الأرض وإريحا" يشوع 2 : 1 .

***سقوط اريحا:**

بعد عبور نهر الأردن شرع بنو اسرائيل فى الاستيلاء على أرض كنعان وكانت أريحا أول ماسقط فى أيديهم – وكانت أريحا قد أحكمت إغلاق أبوابها خوفاً من الاسرائيليين .. وبدون الدخول فى تفاصيل سقوط المدينة .. تقول التوراه " فهتف الشعب ونفخ الكهنة فى الأبواق .. فأنهار السور فى موضعه – واندفع الشعب نحو المدينه كل الى وجهته واستولوا عليها – ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير " يشوع 6 : 20 - 21 .

*احتلال أرض كنعان:

ونقرأ فى التوراه ان الله أمر يشوع أن يطهر الأرض من الخطيه حتى يستطيع الشعب أن يحتلها ويقضى على عبادة الأوثان والخطاه. ومن بين المعارك التى ذكرتها "ثم رجع يشوع واستولى على حاصور وقتل ملكها بالسيف لأن حاصور كانت قبل ذلك زعيمة جميع تلك الممالك" وقضوا فيها على كل نسمة بحد السيف فلم يبق فيها حى وأحرقوها بالنار ، واستولى يشوع على كل مدن اعدائه وقضى على ملوكها بحد السيف – غير أنه لم يحرق المدن القائمه على التلال ونهب الاسرائيليون لانفسهم كل غنائم تلك المدن ، أما الرجال فقتلوهم بحد السيف فلم يبق منهم حى"] يشوع 11: 10-14[... أباده جماعيه وتطهير عرقى وقسوة ونهب ممتلكات وحرق مدن.

وللحق..

اذا كان هدف التطهير العرقى فى ذلك الوقت – فيما يرى البعض – له مايبرره والله له فى ذلك حكمه ، فمن الغريب أن تظل ثقافة الإباده الجماعيه والاستيلاء على الاراضى بالقوه.. ثقافه يهوديه شائعه حتى اليوم.

وكانت توصيات موسى على "لسان الله" بالقضاء على الكنعانين، فكان هذا لأن الشعب الكنعانى كان ذاك الوقت يعبد الأوثان ويتميز بكل الاخلاقيات المتدنيه وكان يمارس كل الخطايا والشر والشذوذ، حتى أن لفظ "كنعانى" كان يرمز للانسان اللا أخلاقى. فكان لزاماً تطهير الأرض من هذا الشعب حتى لايختلط بشعب اسرائيل المؤمن بوصايا الله والذى اختاره انذاك لنشر التوحيد والايمان بالله سبحانه وتعالى. كما أن الوصيه بعدم ترك اجزاء من اراضى كنعان دون تطهيرها من أهلها كان هدفها منع قيام هذه المدن الكنعانيه مستقبلاً من اثارة الحروب، وهذا ماحدث بالفعل، فقد قامت هجمات عديدة من الكنعانيين ضد بنى اسرائيل، كلفتهم الكثير من أعوام أتسمت بالمعارك وعدم الاستقرار.

أين هذه الأجواء القديمه من أيامنا هذه ، فالشعب الفلسطينى شعب يؤمن بالله ، طرد من وطنه ولايطالب إلا بالعداله وحقه فى دولته المستقله ذات السياده.

***العقاب:**

لم ينفذ شعب اسرائيل وصايا الله ... ولم يؤمن بما جاء فى التوراة من نبوءات حول المسيح الذى ينتظرونه رغم ما ذكر عن ميلاده العجيب من عذراء ، ومكان ولادته .. فقيل عنهم "إنه جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله" وحينما دخل المسيح إلى الهيكل فى أورشليم قال " بيتى بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص" (متى 21: 13). وقال "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (متى 23: 38). وعن الهيكل أيضاً "الحق أقول لكم أنه لايترك ههنا حجر على حجر لاينقض" (متى 24 : 2).

وعن الشعب المختار "لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" (متى 21: 43).

*خراب الهيكل:

وفى عام 70 م تمت النبوءه وهدم الرومان الهيكل على يد تيتوس. وكان الهيكل بمثابة مصرف قومى للدولة العبريه لذلك كان هدفاً للنهب فى المنازعات العسكريه بجانب أنه كان الرمز للدوله.

*إعادة بناء الهيكل:

يؤمن اليهود بأنه لابد من اعادة بناء الهيكل ولكن بعد مجىء السيد المسيح ولكن الصهاينه يختلفون مع هذا الرأى الحاخامى ويرون أهمية بناء الهيكل من جديد وقيام دولة اسرائيل وليحضر المسيح وقت مايشاء. وهناك منظمة يهوديه تسمى "امناء جيل الهيكل" هدفها إعادة بناء الهيكل.

*الشتات اليهودى (دياسبورا):

" ويشتتكم الرب بين الأمم فتصبحون أقليه بين الشعوب التى يسوقكم اليها" تثنيه 4 : 27. بذلك تحقق وعيد الله لهذا الشعب وعاش .. ويعيش فى الشتات حتى الآن . ولأن الشعب اليهودى شعب

جوال حرفته الرعى ولم يحترف الزراعة لذا لايرتبط بأرض بعينها كما هو الحال مع المصريين .. وحتى مع مرور الزمن وتطوره لايلتصق بوطن ولايستقر فى مكان ولكن تغلب عليه الماديه والمصلحه فوق العقيدة . فهم يتنقلون حسب التغيرات الإقتصادية والسياسية تارة يفضلون الدول الأفقر المتخلفة يمارسون فيها أنشطتهم التجارية والمشبوهه وتارة أخرى يتجهون نحو البلاد الغنية أو الواعده.

وقد بدأ الشتات أو التهجير القسرى أيام الغزو الأشورى ثم البابلى.. وحتى بعد أن دحرت بابل وسمح لهم كورش الفارسى بالعودة إلى وطنهم .. عاد البعض ولم يعد البعض الآخر الى اسرائيل وفضلوا الشتات الاختيارى لمصلحتهم الخاصة.

وبعد الاستيلاء على أورشليم وهرباً من الرومان بدأت الهجرة إلى الجزيرة العربية واليمن ومصر شمالا فى الاسكندريه وجنوباً فى الفنتاين .. وتتوالى الهجرات الطوعية الى روسيا ودول شرق أوربا .. ثم عن طريق المغرب الى اسبانيا .. ومن إيطاليا عبر جبال الالب إلى فرنسا والمانيا.

ودون الدخول فى تفاصيل الهجرات المتغيره فإن الموقع الهام الذى استوعب الملايين من اليهود كان روسيا وأيضاً بولندا والنمسا . ولكن مع بداية القرن العشرين وقيام الثورة البلشفيه وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت أسرابهم فى الاتجاه نحو الغرب الأوروبى والولايات المتحده الأمريكية.. حيث أصبحت روسيا غير مجديه بالنسبه إليهم بسبب التدهور الاقتصادى وعدم ترحيب الثوار بهم.

ثم يأتى الحكم النازى فى ألمانيا فى الثلاثينات نقطه التحول الخطيره فى مستقبل الشعب اليهودى حيث يتسم عهد هتلر بكراهية شديده تجاه اليهود ففر الكثيرون منهم من ألمانيا والنمسا وبولندا خوفاً من التصفية العرقيه والمحرقه.

والهولوكوست هى المحرقة التى أقامها النازيون لليهود وزعموا فيها أن عدد ضحاياها بلغ 6 ملايين.. وقد تعرض روجيه جارودى فى كتابه "الأساطير المؤسسه للسياسة الاسرائيلية" فى الفصل الثالث تحت عنوان " أسطورة وخرافة الملايين الستة" . ويقول إن الحرب العالميه الثانية أسفرت عن مقتل 50 مليوناً من البشر من بينهم 17 مليوناً من مواطنى الاتحاد السوفييتى و9 ملايين من الألمان ، كما تكبدت بولندا وغيرها من دول أوروبا التى أحتلها النازيون ملايين القتلى. ويرى جارودى أن الهجمة النازية لم تكن مذبحه واسعة النطاق استهدفت اليهود فى المقام الأول أو أستهدفتهم وحدهم بل كانت بالاحرى كارثة انسانية أصابت اليهود فيمن أصابته من البشر".

ورغم أن هناك أكثر من عالم وباحث شككوا فى الأرقام التى تقدمها اسرائيل حول ضحايا المحرقه، إلا أنه ليس هناك أدنى شك فى أن اليهود كانوا أحد العناصر التى أستهدفها هتلر انطلاقاً من نظريته العرقية حول تفوق العرق الآرى.

وقد كانت المعاناة على يد هتلر والهولوكوست ضارة نافعة لليهود، وشملهم العطف السامى البريطانى.

***يهود العالم :**

فى كتاب الدكتور عبد الوهاب المسيرى "اليهود واليهودية والصهيونية" ذِكْرً لموقع على الانترنت يظهر تعداد الجماعات اليهوديه فى العالم – وتشير آخر الاحصاءات (1992) أن جملة تعداد اليهود فى العالم يبلغ14.500.000نسمة.

ففى اسرائيل	٥.٣٠٠.٠٠	بريطانيا	٣٠٠.٠٠٠	روسيا البيضاء	٦٠.٠٠٠
الولايات المتحدة	٥.٨٠٠.٠٠٠	الأرجنتين	٢٥٠.٠٠٠	المكسيك	٤٠.٠٠٠
فرنسا	٦٠٠.٠٠٠	جنوب أفريقيا	١٥٠.٠٠٠	بلجيكا	٤٠.٠٠٠
روسيا	٥٥٠.٠٠٠	البرازيل	١٣٠.٠٠٠	ايطاليا	٣٥.٠٠٠
أوكرانيا	٥٠٠.٠٠٠	المجر	٨٠.٠٠٠	أورجواى	٣٥.٠٠٠
كندا	٣٦٠.٠٠٠	ألمانيا	٦٠.٠٠٠	هولندا	٣٠.٠٠٠
		فنزويلا	٣٥.٠٠٠	أذربيجان	٣٠.٠٠٠
		أوزبكستان	٣٥.٠٠٠	ايران	٢٥.٠٠٠
				تركيا	٢٥.٠٠٠

***الحركة الصهيونيه ووعد بلفور:**

لم يكن سعى " جيمس بلفور " لإقامة وطن قومى لليهود حباً فيهم (حيث قاوم دخول المهاجرين إلى بريطانيا) – ولكن كان نتاج تغيرات كثيرة فى العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وانكسار الامبراطورية العثمانية وهرولة بريطانيا لأخذ أكبر نصيب من الكعكه ، ونجحت عام 1920 فى فرض الانتداب البريطانى على فلسطين وعينت الصهيونى "هربرت صمويل" مندوباً سامياً بريطانياً وقد استندت بريطانيا انذاك على وثيقة بلفور (عام 1917) للحصول على موافقة مايسمى عصبة الأمم.

وقد كان الجو العام الأوروبى قد ضاق باليهود ونشأ الاعتقاد بأنه ليس من مصلحة أى بلد أن يقوى نفوذ اليهود فيها. هذا بالأضافة إلى الشفقة عليهم بسبب ما عانوه من اضطهاد خاصة فى المانيا. وأصبح إنشاء دولة صهيونيه يرى تعويضاً محقاً لهذا الشعب.

غير أنه لايخفى على أحد المصلحة البريطانية فى قيام هذه الدولة .. فى هذا المكان من العالم ... فبجانب التخلص من اليهود فى أوروبا وازاحتهم بعيداً فى فلسطين ستكون هذه المنطقة ليست ببعيدة عن النفوذ البريطانى وهو هدف استعمارى لتوسيع الامبراطوريه البريطانية والتى كانت تضم مصر – وقناة السويس وكان من ضمن أهدافه تحجيم الدور الفرنسى فى المنطقة.

وطبعاً وتحت الإنتداب البريطانى وضعت التسهيلات التاريخية للحركة الصهيونية فى النزوح إلى فلسطين وشراء الأراضى وأقامة المستعمرات.

وفى المقابل كان الهدف من إقامة دولة اسرائيل إن تشكل كياناً غربيا يخدم المصالح الغربية عامة والبريطانية خاصة ، ويهدد الحضارة العربية ويزرع حضارة غربية تضمن التواجد المستقبلى لهذا الغرب فى المنطقة.

*قيام دولة اسرائيل:

يعتبر قرار التقسيم فى التاسع والعشرين من نوفمبر 1947 والذى أصدرته الأمم المتحدة هو البداية الحقيقية لقيام دولة اسرائيل ، والتى أعلن عن قيامها رسمياً فى عام 1948 .

***وعد "بن جوريون"- الوصايا العشر الثانية:**

كان وعد بلفور وعداً بقيام دولة اسرائيل – أما وعد بن جوريون فكان خطة استراتيجية محكمة لبقاء هذه الدولة. وظلت هذه الخطط سرية إلى أن تم نشر بعض الوثائق والتى أشار إليها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه "عام من الأزمات" أما عن الأفكار التى طرحها بن جوريون عام 1949 فكان أولها حول مصر وقال إن مصر هى مايجب أن نتحسب له فالسلام مع مصر ضرورى لبقاء دولة اسرائيل ، وإذا فشلت اسرائيل فى إقامة سلام مع مصر فعلينا أن نفرضه فرضاً وذلك بإحتلال جزء من أراضيهم صغيراً أو كبيراً حسب الظروف واذا أرادوا أرضهم فعليهم أن يدفعوا الثمن .. " الأرض مقابل السلام" .. وهو شعار قديم من أقوال بن جوريون وهذا ماحدث بالفعل مع مصر باتفاقية كامب دافيد.

- كذلك منع مصر – من خلال خططه – من إقامة تحالفات مع بقية العالم العربى ومزاحمة مصر فى وضعها الجغرافى المتميز بين القارات الثلاث وذلك بحفر قناة تضاهى قناة السويس بين البحرين الأبيض والأحمر أو إقامة خط للسكك الحديدية أو خطوط أنابيب لنقل البترول.
- أما عن الحروب ، فلتكن عربية – عربية فماذا يحدث الآن ؟ فلسطين تكاد أن تكون دويلتين , والعراق على وشك التقسيم بقرار مجلس الشيوخ الأمريكي , لبنان يعاني من الأنقسام الحاد , وفي السودان الصراع في دارفور وغيوم سوداء هذه الأيام مع الجنوب , هذا بخلاف الوقيعة بين سوريا ولبنان .
- إقامة علاقات خاصة مع الأقليات فى الدول المجاورة مثل أكراد العراق وتركيا وايران، والموارنه والدروز فى لبنان – ولم يجرؤ على ذكر أقباط مصر . كما أقترح تجنيد الجاليات اليهوديه فى العالم العربى وخاصة مصر لصالح اسرائيل.
- إقامة جيش أقوى من كل الجيوش العربية مجتمعة ! قادر على نقل المعركة من أول يوم خارج اسرائيل مع حسم المعارك فى عدة أيام قليلة لأن الجيش الاسرائيلى جيش شعبى.
- أرتباط اسرائيل بدولة عظمى بصداقة استراتيجية تساعدها سياسياً وعسكرياً مستعدة لأن تفتح لها مخازن السلاح عند الحاجة – وهذا ماحدث بالفعل فأمريكا بعد انجلترا تساعد اسرائيل سياسياً وعسكرياً كما حدث خلال حرب أكتوبر وكيف أقامت جسراً جوياً عوض اسرائيل عن كل خسائرها. وليس هذا فقط بل أن كيسنجر طلب من اسرائيل أن تقبل أخيراً وقف اطلاق النار فى الوقت الذى تستمر فيه بالتقدم بقواتها خارقه لهذا القرار الذى التزمت به مصر وتطوق مدينة السويس ، حتى يقوى مركزها التفاوضى ويغطى على هزيمتها.
- محظور على اسرائيل أن تغامر بأمنها لهذا يجب أن تقوم بضربة وقائيه عند وجود أى تهديد محتمل.
- الخوف من أن يظهر بين العرب رجل له قدرات قيادية وكاريزما تجعله قادراً على توحيد العرب وتحريكهم ضد اسرائيل.
- استمالة يهود امريكا والاستيلاء على مشاعرهم الدينية حول القدس.
- ثم تحدث عن القنبلة النووية ومخاوفه من عبد الناصر ومن المصير المظلم الذى يمكن أن يسببه ناصر لاسرائيل . وأكد أنه لابد لاسرائيل أن تمتلك سلاح ردع إذا بدا أن كل شيء يمكن أن يضيع- ووجه كلامه الى اليهود الثلاثة اينشتاين و أوبنهيمر وتللر ليفعلوا لاسرائيل مافعلوه لأمريكا . وكان

بعد ذلك التوجه لفرنسا ، وكان المايسترو هو شيمون بيريز (الذى يعتبره العرب حمامة سلام والذى على يديه وعلى يد حزبه ستقوم دولة فلسطين !!) – وتعهدت فرنسا بأن تعطى لإسرائيل مفاعلاً نووياً وأن تشارك فى توفير 10 أطنان من الماء الثقيل.

والأن وحسب مانشر فى تقرير أوروبى أن اسرائيل لديها مائتا رأس نووية وأنها أصبحت تحتل المركز الخامس بين دول العالم من حيث القدرة النووية ، وأن الهدف من الترسانه النووية هو السيطرة على الشرق الأوسط حيث أنها تمتلك وسائل نقل هذه الأسلحة النووية من خلال طائرات اف 15 ، اف 16 وصواريخ اريحا – وقد تتجه إلى تطوير الأسلحة النووية إلى رؤس تكتيكيه محدودة يمكن استخدامها فى جبهات القتال.

ياترى كم تحقق من توصيات بن جوريون ، والذى رفع شعار اعرف عدوك – وهل ياترى سيأتى اليوم الذى نجد فيه شعباً عربياً مجتمعاً على استراتيجية موحده مدروسه؟

***مخاوف اسرائيل من السلام:**

الوضع الحالى فى الشرق الأوسط هو أنسب الأوضاع بالنسبة لاسرائيل- فالدول العربية لاتتفق على استراتيجية واحده وهناك قلاقل فى لبنان وأمريكا تترصد لسوريا .. والعراق على وشك التقسيم الى ثلاث دويلات وللأكراد خططهم المستقبلية – والسودان يعانى من أكبر مشكلة إنسانية فى دارفور ... هذا بجانب مشاكل الصومال ومشكلة الصحراء ... الخ .

فلا سلام لاسرائيل مع دول قوية عربية تحيط بها – وإذا لم تكن هناك مشاكل لاخترعتها ... ويكفى التهويل من (الخطر القادم !) وهو إيران وتوجيه الأنظار الى الخطر (الفارسى).. لنبتعد عن الخطر الاسرائيلى القائم.

أما الخطر الديموجرافى .. من تزايد العرب داخل اسرائيل فلا يمكن أن نتصور معه قبول إسرائيل لأية تسوية مع العرب تشمل عودة اللاجئين الفلسطينيين.

وتشير بعض الإحصائيات إلى أنه فى عام 1997 كان تعداد اليهود داخل اسرائيل أربعة ملايين وسبعمائة ألف وعدد العرب هناك أربعة ملايين ومائة ألف ، وتشير التوقعات فى عام 2010 أن يكون عدد اليهود فى اسرائيل ستة ملايين والعرب ستة ملايين وستمائة وخمسين ألفاً (كتاب اليهود واليهودية والصهيونية د. عبد الوهاب المسيرى).

كما أن هناك تناقصاً مستمراً فى أعداد الشعب اليهودى فى العالم وقد يكون ذلك لعدة أسباب أهمها: الاندماج مع شعوب العالم (الأغيار) التنصر ، الزواج المختلط ، الزواج المتأخر ، الطلاق، الماديه اليهودية ، الشذوذ الجنسى ، وقلة المواليد حيث يذكر أن المرأة اليهودية أقل النساء إخصاباً فى العالم .

هناك جدلٌ حول مصداقية تواريخ الأحداث التى جاءت فى التوراه ، خاصة تلك التى لها علاقه بتاريخ مصر الفرعونى.

ولقد اعتمدنا فى هذه الدراسة – لتحديد تواريخ العهد القديم – على نسخة حديثه من التوراه عنوانها " التفسير التطبيقى للكتاب المقدس " ، الذى أخذ النص الكتابى من الكتاب المقدس الذى ترجم عن اللغات الأصليه ، وتمت صياغته باللغة العربيه المعاصره.

وأشرف على التحرير والتواريخ لجنه تضم تسعة عشر متخصصاً ، وكانت لجنه المراجعة اللاهوتيه تضم ثلاثه عشر أستاذاً فى التاريخ وعلوم اللاهوت واللغات – وأشرف على الترجمه العربية لجنة من خمس علماء مصريين.

وإذا ثبت صحة هذه التواريخ، فيممكنا أن نطمئن لما وصلنا إيه من فرضيات مثل:

- مولد سيدنا إبراهيم عام 2166 ق.م
- عاصر سيدنا يوسف الفرعون امنمحات الثالث (1850 - 1800ق.م)
- فرعون خروج اليهود من أرض مصر، هو امنحتب الثاني (1448 – 1420 ق.م) بما فيها مدة مشاركته لإبيه في الحكم.

الجزء الأول

الفصل الأول

التوراه

واجهت التوراه فى العالم الغربى موجة عاتيه من النقض والتشكيك فى بعض قصص العهد القديم ، وبدأت هذه الموجة مع نهاية القرن الثامن عشر . ومما ساعد على هذا التشكك الجهل بالعالم القديم والشعوب التى جاء ذكرها : مثل اكد – اراراط – الحوريين ... ومن هنا كان الظن بعدم واقعية الأحداث وأنها من خيال الشعب الاسرائيلى . ولكن مع تقدم البحث والتنقيب استطاع الإثريون أن يزيلوا التراب عن بعض المدن وبقايا حضارات وممالك قديمه ، مما أزاح الغموض عن هذه الشعوب وعقائدها وآلهتها ... كما ظهرت أسماء ملوك وممالك قديمه لم تذكر من قبل إلا فى العهد القديم . كما أُزيح النقاب عن أسرار حروب وزلازل حدثت فى تلك الأماكن. وبتقدم الدراسات ظهرت قيمة الطوب الأثرى وقطع الخزف والفخار .. كما تمت دراسة الأسلحة والأدوات والأثاث الجنائزى .. ومع ظهور علماء عظام مثل (بيترى) فى مصر وفلسطين و (لايارد) فى العراق أمكن تحديد الفترات الزمنيه وتتبع تاريخ الشعوب فى العهد القديم. ثم تم أكتشاف حجر رشيد بواسطة شمبليون وأمكن معرفة اللغة المصرية القديمة .. وكذلك بإكتشاف حروف اللغة البابلية القديمة وفك رموز الخط المسمارى بواسطة رولنسون (1810 – 1895) .. وبفك الرموز والطلاسم تمكن العلماء من دراسة النقوش على الحوائط أو الخزف أو التى سُجِلَتْ على أوراق البردى والرقائق.

وهكذا أعطت دراسة العلماء المفتاح لمحاولة لتصحيح وضبط سنوات التاريخ . وبدراسة الطبقات المتعاقبة فى مجال الحفر .. حل بترى سر هذه التلال المنتشرة فى الشرق الأدنى وفك غموضها وتوصل إلى أنها بقايا مدن قديمه تعاقبت على شكل طبقات بنيت الواحدة فوق الأخرى التى سبقتها وتم تدميرها وإحراقها "وأحرق يشوع (عاى) وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم" يشوع 8: 28 .

أما لينارد وولى (1880 – 1960) فإهتم بدراسة أراضى مابين النهرين ، فإكتشف مدينة أور الكلدانيين موطن ابراهيم وأكتشف المقابر الملكية الغنية بكنوزها وجواهرها مما أظهر عراقة وحضارة تلك المنطقه التى نشأ فيها ابراهيم . كما تتبع (وولى) راسباً من الطمى نَسَبَة إلى الطوفان الذى كان متزامناً مع طوفان نوح.

***كما أكتشف الأثريون:**

• حجر مؤاب ويحوى 34 سطراً تحكى قصة حرب ميشع ملك مؤاب مع يهورام ملك اسرائيل وهو نص ورد فى ملوك 3: 6-27 .

• كذلك أكتشف العلماء أطلال مدينتى فيثوم ورعمسيس اللتين بناهما اليهود لفرعون وقد وردتا فى سفر حزقيال (1 : 11) ولم يعثر عليهما الا فى عام 1884م.

• صخرة كردستان وعليها نقوش تحكى قصة داريوس ملك فارس.

• مسلة شلمناصر ملك آشور وفيها يبدو هوشع ملك اسرائيل خاضعاً يقدم له الجزية (ملوك ثانى 17 : 30).

• أطلال نينوى القديمة حيث قصور ملوك آشور – مع كتابات تطابق ما لدينا من معلومات.

• أطلال أريحا التى أحرقها يشوع وتبدو مبانيها محروقه بالنار.

وقد ذكرت البرديات التى عثر عليها مثلاً فى جزيرة ألفنتين فى أسوان وترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد .. أنها كانت موطناً لجماعه يهودية فى ذلك التاريخ . وفيها أسماء من ذلك الزمان مثل يوحنا الكاهن (نحميا 12: 22)، وأبناء سنبلط (نحميا 2 : 10) وابن جشم العربى والذى وجد منقوشاً على وعاء فضى (نح 2 : 19).

كما أن هناك أسماء كثيره سجلها المصريون القدماء فى آثارهم وهى مذكوره فى الكتاب المقدس مثل طيبه وأمون "ناحوم (3 : 8) وإرميا (46 : 25)" وكذلك أون (خروج 30: 17)، وبيت شمس (أرميا 43: 13) وجاسان وأسوان (حزقيال 29 : 10) وصوعن (عدد 13: 22)، وكان أول ذكْر لكلمة اسرائيل بين آثار الفراعنه منقوشاً على نصب مرنبتاح (1224 ق – م).

وفى بعض الأحيان تكون الاكتشافات لها صلة مباشره بالأحداث فى التوراه حيث نجد مثلاً الموضع ذاته وتسجيلاً لأوصافه ، بذلك ترسم لنا ملامح ذلك الزمن والمثال اكتشاف بيوت فى (اور) لها أكثر من طابق ترجع لعصر ابراهيم واكتشاف بيت من عصر اليشع النبى به خوان وسراج.

أما المثير حقاً فهى الرسوم والنقوش التى تعطى صورة للملابس والمظهر العام لهذه الشعوب .. ففى مصر كانت الملابس من الكتان بيضاء اللون .. أما فى سوريا وكذلك فى فلسطين فكانت الملابس تناسب الأجواء الباردة فكانت من صوف الغنم ويلبسون فى أقدامهم صنادل من الجلد.

وكان الجنود العبرانيون يلبسون مآزر ومِنْطَقة فيها السيف ولباس رأس مدبب كما فى صورتهم على مسلة شملمناصر الثالث . أما الفلسطينيون وخاصة الجنود فكانوا حليقى الرؤوس فوقها خوذة لها تاج من الجلد أو الريش أو شعر الخيل.

أما الأشوريون والبابليون ذوو الامبراطوريات العظيمة ، فكانوا يرتدون الملابس الثقيلة الملونة ويصففون شعورهم بمثبتات حديديه . ويظهر المصور جيش أشور ورامى القوس الذى يلبس خوذة وصديريه ويحمل سيفاً فى غمده ويتبعه حامل الدرع المصنوع من البوص المجدول.

ومن الرسوم على جدران القصر الملكى فى شوشن (صوصا) (اس :1) هناك صورة لفصيلة من الحرس الفارسى بملابس فخمة وزاهية ويمسكون حراباً فى أسفلها رمانه من الذهب.

كان الإسرائيليون قديماً يحلقون شعورهم (اشعياء 7 : 2 ، خروج 5 : 1) أو يطلقونها لنذر (قضاه 13 : 5) ويطلقون لحاهم . (حزقيال 14: 20) . أما عن استخدام المرآه والأساور والخواتم فقد جاء فى العهد القديم تك 24: 20 اشعياء 3 : 19 ، حزقيال 16 : 11 ، صموئيل الثانى 1 : 10 كما أخذ الاسرائيليون من المصريين الذهب والفضة واستخدموها فى تجميل خيمة الاجتماع ، (حيث تقام الصلوات) خروج 35: 20 .

وكان أهل الشرق يجلسون على الأرض المفروشة وكذلك العبرانيون مثلهم لكن الأغنياء كانوا يتكئون على أسِّره (عاموس 4: 10) وكانت توجد عروشُ ًللملوك (امل 2 : 12) – وكان سليمان الملك يجلس على عرش من العاج مغطى بالذهب (1 ملوك 1 : 18 - 20).

أما عن صور المعارك فى العهد القديم ، فقد كشفت الأثار عن أنواع كثيره من التروس والدروع والسيوف والسهام والمقلاع وغيرها من الأسلحة القديمه (صموئيل 1 :17) ، (ملوك أول 10 : 16) ، (حزقيال 27: 10) وعن بدء دخول العربات كسلاح مركبات فى المعارك (قضاه 4 : 13) – ومن الرسوم الجدارية تظهر كيفية أقتحام الاسوار المحيطه بالمدن.

كل هذه الشواهد السابقة تعطى مصداقيه لتفاصيل الحياه والأحداث فى العهد القديم . والتأمل فى هذه الصور يجعل قارىء التوراة يعيش فى أجواء العصور القديمة ويتعايش مع أحداثها.

***موسى والتواره:**

كتب موسى الأسفار الخمس الأولى من التوراه وهى التكوين ، الخروج ، اللاويين – العدد – والتثنيه . وتذكر الاسفار ان كاتبها هو موسى (تثنيه 31 : 9 ، 24 : 6)(يشوع : 1 ، عز 3 :2)

كما أن هناك احداثا ذكرت فى هذه الاسفار لا يعرفها الا موسى مثل مقابلاته وكلامه مع الله واخذ لوحى الشريعه والناموس ورسم خيمة الاجتماع . كما أن كاتب الاسفار يعرف مصر جيداً فيذكر اسماء مصريه واسماء بلاد تدل على معرفته الجغرافيه للقطر المصرى – كما ذكر بعض العادات المصريه التى كانت منتشره آنذاك مثل زواج الخصيان أو اعطاء خاتم الملك لمن يراد اكرامه – حيث ولد موسى وتربى فى مصر .

والعهد الجديد يؤكد كتابة موسى لهذه الاسفار : متى 8 : 4 واعمال 15 : 21 .

وبعد وفاة موسى اكمل يشوع الجزء الأخير من سفر التثنيه بالاضافه الى سفر يشوع : تثنيه 33 : 34 ، تثنيه 24 : 26 – 28 .

*نسخ الكتاب المقدس وتداوله:

" فى كتاب المرشد المصور للعهد القديم" يذكر القس مكسيموس وصفى ، ان العهد القديم قام بكتابته أربعون شخصاً مسوقين من الروح القدس (2 بطرس 1: 21) – أوحى الله إليهم وحفظهم من الخطأ.

هذا الوحى من الله هو السر الإلهى فى كتابة الكتب المقدسة جميعها .. وينطبق على التوراه والانجيل والقرآن – ولابد للمؤمن أن يسلم بقدسية ومصداقية الكتب السماوية – وكما ينطبق هذا على الانجيل والقرآن لابد أن نسلم به فى التوراه ، وهو أول الكتب السماويه التى أعلنت عن وجود الله والتوحيد. وكما قيل فى الانجيل على لسان السيد المسيح أن "السماء والأرض تزولان وحرف واحد من كلامى لايزول" وجاء فى القرآن الكريم" إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

والعهد الجديد (الانجيل) سياق متصل بالعهد القديم (التوراه) ، ويستشهد الانجيل فى عدة مواضع بالتوراه، : ففى مستهل انجيل مرقس "هذه بداية انجيل يسوع المسيح ابن الله كما كتب فى اشعياء النبى" ها أنا أرسل قدامك رسولى الذى يعد لك الطريق" . وفى لقاء المسيح بالفريسيين يقول " أحسن اشعياء اذ تنبأ عنكم أيها المراؤون" وفى نفس اللقاء يقول "حقاً انكم رفضتم وصية الله لتحافظوا على تقليدكم أنتم ، فإن موسى قال: اكرم اباك وأمك . ومن أهان أباه أو أمه فليكن الموت عقاباً له "(مرقس 1 : 9).

وعندما سأله الفريسيون " هل يحل للرجل أن يطلق زوجته، رد عليهم: "بماذا أوصاكم موسى؟" : مرقس 10 : 4 ، وفى ردهِ على الصديقيين حول القيامه يقول " أفما قرأتم فى كتاب موسى فى الحديث عن العليقه كيف كَلَّمهُ الله قائلا: انا إله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، والله ليس اله أموات بل هو إله أحياء "مرقس 12 : 26 ، وفى أعمال الرسل 2 : 25 يُسْتَشْهَد بقول داود " أرى الرب أمامى دائماً ، فإنه على يمينى لئلا اتزعزع".

أما القرآن الكريم فيذكر أمر التوراه كثيراً : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير" (البقره 285).

" وما ارسلنا من قبلك الاّ رجالاً نوحى إليهم فإسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" (النمل 43).

وقال تعالى : " شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين وَلاتتفرقوا فيه" (سورة الانبياء 8).

وقال تعالى " قولوا آمنا بالله وما أَنزل إلينا و ما أُنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" (سورة البقرة 136).

ثم نتأمل مع ما قاله الله سبحانه وتعالى فى (سورة النساء 150 ، 151) "إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أُولئِك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً.

وقال تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين" (البقرة 177).

ويقول "الله عز وجل" وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أن لاإله الا الذى أمنت به بنو اسرائيل وإنا من المسلمين" (سورة يونس 90 ، 91).

ويقول " لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " (سورة الحديد 25).

كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله" (المائده 43)

" إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور" (المائده 14)

" وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب" (المائده 48)

" قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟ قل الله" (الانعام 90)

" وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه" (المائده 47)

" هذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق لما بين يديه " (الانعام 91)

" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه " (الاعراف)

" فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك " (يونس 39)

" وما أرسلنا قبلك الاّ رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون " (النمل 43).

ويقول القرآن الكريم " ياأيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً " (النساء 136).

ثم " أتينا موسى الكتاب تماماً على الذين أحسن وتفصيلاً لكل شيىء وهدى ورحمة – إن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا على دراستهم لغافلين"(الأنعام 154 – 156).

وبجانب الوحى من الله فإن الأحداث السابقه لعصر موسى كانت مدونه فى سجلات كُتِبَ فيها تاريخ العالم وتداولتها الاجيال تباعاً.

وكان العبرانيون متشددين عند نسخ الشريعة ، وكان النساخ يعملون بدقه وحرص شديدين أثناء النسخ ، فكان الناسخ يعيد القراءه عدة مرات وعليه أن يغسل القلم اذا اراد أن يكتب اسم الله أو لقبه – أما اذا ظهر فى النسخه ثلاثه أخطاء عند مراجعتها فلابد أن تحرق. والذى يدل على الحرص الشديد فى النسخ أن بعض الالفاظ ظلت كما هى بلهجتها الاراميه كما نطق بها السيد المسيح مثل كلمة إلوى ، أبا ، رقا ، أفثا ، قومى ... الخ. (متى 5: 22، مرقص5 : 41 15: 34، 7 : 37، 14: 36).

***نبوءات العهد القديم :**

يمتلىء العهد القديم بالنبوءات والتنبوءات وعن الأيام التى سيأخذ فيها الأشوريون والبابليون بنى اسرائيل أسرى إلى بلادهم.

وفى التوراه وفى تثنيه 28 : 36 "ينفيكم الرب أنتم وملككم الذى تختارونه إلى أُمه لاتعرفونها أنتم ولا أباؤكم – حيث تعبدون هناك آلهه أخرى من خشب وحجر" كذلك " تنجبون بنين وبنات ولا يكونون لكم لأنهم يسبون" تثنيه 28 : 41" . ويتحقق السبى إلى بابل فى عهد الملك نيوخذ نصر عام 6.5 (المملكه الشماليه) ثم عام 586 ق م (المملكه الجنوبيه).

وعن التنبوءات التى تمت بعودة بنى اسرائيل من السبى فهى كما يلى:

ففى أشعياء 44: 28 وفى عام 688 ق م تقول النبوءه إن الله سيستخدم كورش لضمان عودة بقية المسبيين وأن أورشليم سيعاد بناؤها وكذلك الهيكل وقد تحققت هذه النبوءة عام 539 ق م.

وفى أرميا 25: 12 (عام 605 ق م) ذكر "ستعاقب بابل لتدميرها أورشليم وسبى شعب الله" وففى عام 539 فتح كورش بابل.

وفى أرميا 29 : 10 : "سيقضى الشعب70 سنه فى بابل ثم يعيدهم الله إلى وطنهم" كانت هذه النبوءة عام 594 ق م ومضت السبعون عاما على السبى عام 537 ق م كما أنبأ الله بخراب أورشليم وتمت النبوءه بحذافيرها عام70 م على يد تيتوس القائد الرومانى.

أما التنبوءات عن المسيح فى العهد القديم فهى تزيد على ثلاثمائة نبوءه منها:

* ولادة المسيح فى بيت لحم مز 5 : 2 تحققت فى مت 2: 1 -6

لو 2: 1 -2.

* ولادة المسيح من عذراء اش 7 : 4 مت 1: 18-25

لو 1 : 26 – 28

* دخول المسيح إلى اورشليم زك 9 : 9 مت 21 : 1 – 9

يو 12 : 12 – 6

*المسيح مرفوض من خاصته اش 53 : 1، 2 مت 26: 3 ، 4

مز 118 : 22 يو 12 : 37 - 43

1ع 4 : 1 -12

*خيانة أحد أتباع المسيح له مز 41 : 9 مت 26 : 14 – 16

لو 22: 19 – 23

* محاكمة المسيح وإدانته اش 53 : 8 لو 23 : 1 -25

مت 27 : 1 ،2

* صمت المسيح أمام من يتهمونه اش 53 : 7 مت 27 : 12 -14

مز 16 : 3 ، 4

لو 23 : 8 -1.

*المسيح يحتمل الضرب والبصق من أعدائه اش 5. : 6 مت 26 : 67 -27-3.

مز 14 : 65

***كتــاب التــوراه :**

وقد كتبت أسفار العهد القديم فى الفترة مابين موسى النبى وعزرا الكاهن(مابين 1445 ق م – 423 ق م) – وأول من تلقى أمراً بالكتابة هو موسى النبى فى سيناء (خروج 17 : 14) أما عن الأخبار الأولى للخليقه فقد وصلته بواسطة الشهادات الشفهيه التى تناقلتها الأجيال لسبب الأعمار الطويلة التى عاشها أوائل الجنس البشرى (تك 14 :16) أما عن الأسفار التى تلت موسى النبى فقد توالى رجال الله فى تدوينها – ويذكر القس مكسيموس وصفى كيف كان إرميا النبى يملى كلمة الله على باروخ الكاتب (36.1: 11) – كما يرجع الفضل إلى عزرا الكاهن فى جمع الاسفار بعد السبى (نحميا 8 : 8) وكانت اللغة انذاك هى العبريه فيما عدا بعض أجزاء من سفرىْ دانيال وعزرا، فقد كتبت بالآرامية – وفى عهد عزرا قامت نهضة اصلاحية شملت نسخ التوراه وترجمتها وكانت تُقرأ فى المجامع وقد انتشرت هذه النسخ بين يهود الشتات وقدر عددها العلماء مابين 20.000، 30.000 نسخة كانت متداولة فى عام 200 ق م وتوجد نسخة فى المتحف البريطانى وأخرى فى مكتبة لننجراد وهذه النسخ تسمى مازوريت Massorates أى التقليديه.وفى القرون الأولى للمسيحيه كانت هناك نسخ كثيره من الأسفار باللغه الاراميه ، والسامريه ، والنسخه السامرية الأصلية كتبت فى القرن الخامس قبل الميلاد.

***المخطوطات:**

تزدحم مكتبات العالم والمتاحف بالالاف من المخطوطات ومن أهمها النسخه الأفراميه ونسخة واشنطن ونسخة (بيزا) وجميعها من القرن الخامس للميلاد والنسخة السينائية والتى تشمل العهد الجديد والعهد القديم حتى سفر عزرا وترجع للقرن الرابع الميلادى – أكتشفها العالم تشاندروف عام 1859 م فى مكتبه دير سانت كاترين بسيناء – ثم نُقلت إلى المتحف البريطانى.

والنسخة الفاتيكانيه كَتبت فى مصر ونقَلت الى الفاتيكان عام 1475 وتمت كتابتها فى أوائل القرن الرابع الميلادى . أما النسخة السكندرية فترجع الى القرن الخامس الميلادى .. أهداها البطريرك كيرلس بطريرك القسطنطينية إلى الملك شارل الأول ثم نقُلت إلى المتحف البريطانى. (كتاب المرشد المصور للعهد القديم).

***مخطوطات البحث الميت Dead sea scrolls :**

مخطوطات البحث الميت – وادى قمران ، تعد أقدم المخطوطات حيث ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد فهى تسبق النسخ المتداولة بألف عام. وتشمل أسفار العهد القديم كاملة وهى متطابقه مع النسخ الأخرى بدقة بالغة . وقد عثر عليها مصادفة مكتوبة على رقائق من الجلد وأوراق البردى داخل جرار فى أحد الكهوف . وبالتنقيب عُثر على أحد عشر كهفاً تضم أكثر من 400مخطوط ، ومن أثمن مافيها سفر أشعياء الذى عُثر عليه كاملاً فى لفافة.

وأتضح أن هذا الموقع كان يسكنه جماعة من اليهود الأتقياء من الفريسيين تدعى الأسينيين – عاشت هذه الجماعة منعزلة فى البرية فى القرن الأول قبل الميلاد وكانت لها طقوسها وتميزت بإهتمامها بنسخ التوراه ، وعُثر فى الموقع على حجرات الكتابة وتضم مناضد مستطيلة ، وعُثر أيضاً على المحابر القديمه المصنوعة من الفخار والبرنز.

وقد أثبتت دراسة هذه المخطوطات أنها ترجع الى القرن الأول قبل الميلاد (عام 110 ق م) (جون اللجرو 1986) (جون تريفر 1979).

الأسفار المحذوفة

الإسفار القانونيه التى حذفها البرتستانت

***تنقسم أسفار العهد القديم الى قسمين رئيسيين :**

القسم الأول ويسمى الكتب القانونيه الأولى والقسم الثانى يسمى الكتب القانونيه الثانيه – والكتب الأولى جمعها عزرا الكاهن ، كما أنشأ نحميا مكتبة ؛ جمع فيها اخبار الملوك والانبياء وكتابات داود ورسائل الملوك كما جاء فى سفر مكابيين 2 (2 : 13). وهذه المجموعة الأولى تنقسم إلى ثلاثة أقسام (التوراه ، نبييم ، كتبيم) – ولم يذكر عزرا أو نحميا المجموعه الثانيه (الكتب القانونيه الثانيه) ضمن المجموعه الأولى ، والسبب فى ذلك أن هذه الكتب لم تظهر الاَّ بعد موت عزرا الكاهن الذى جمع المجموعه الأولى . وقد اعتبرتها الكنيسه المسيحيه الأولى كتباً قانونيه ثانيه : كما توالى اعتراف الكنائس المسيحيه التقليديه بقانونيتها على مر العصور.

وبعد ضم الكتب القانونيه الثانيه ، يكون تقسيم أسفار العهد القديم على النحو الآتى:

1- التوراه وتشمل خمسة أسفار موسى (الأول فى السرد التوراتى).

2- الكتب النبويه (نبييم) وتشمل الانبياء المتقدمون وهم يشوع ، القضاه ، صموئيل ، والملوك . كما تشمل الانبياء المتأخرين وهم ارميا ، حزقيال ، وإشعياء ، والانبياء الاثنى عشر الصغار وقد جمعت كلها فى كتاب وتسمت باسم "كتاب الانبياء ، كما ورد فى اعمال الرسل (13 :14)

3- الكتب التاريخيه (كتبيم) وتشمل الكتب التاريخيه المقدسه (الكبيره) وهى المزامير ، امثال ، وايوب ، كما تشمل مجموعه أخرى وهى الجامعه ، نشيد الأنشاد ، والمراثى .. ثم دانيال ، استير ، عزرا ، نحميا وأخبار الأيام.

4- الكتب التعليميه : وهى الكتب القانونيه الثانيه.

*قانونيه (الاسفار القانونيه الثانيه):

- قرر مجمع ايبون (هيبو) المنعقد عام 393م ، ومجمع قرطجنه عام 397م قانونيتها.
- أستشهد أباء الجيل الثانى والثالث فى كتبهم بآيات من الكتب القانونيه الثانيه ، مثل اكليمنضس الاسكندرى ، واوريجانوس وديوناسيوس وكبريانوس ، وكذلك أبناء الجيل الرابع مثال باسيليوس واغريغوريوس وذهبى الفم . كذلك استشهد بها وأقرها الانبا اثناسيوس الرسولى.
- تقرر فى القرون الاولى للمسيحيه أن تُقْرأ هذه الاسفار فى الخدمات الكنسيه.

ويذكر أن بعضاً من رجال الكنيسه تمسكوا بأسفار العهد القديم التى وجدت بالعبرانيه ، اذ وجدوا أنه من غير المجدى اقتباس أى نص عن الكتب القانونيه الثانيه كبرهان أو كحجه لدحض مزاعم اليهود فى المناقشات العقائديه معهم ، لذا لم يذكروها مع الكتب القانونيه الأولى.

- وردت هذه الكتب ضمن الكتب القانونيه فى اعمال الرسل ، واثبتها الشيخ الصفى العسال فى كتابه "مجموع القوانين" (الباب الثانى).

• كما قبلت الكنائس التقليديه (المصريه ، البيزنطيه ، الرومانيه وغيرها) هذه الكتب ضمن الكتب الأولى.

• قررت الكنيسه الكاثوليكيه فى مجمع ترنت عام 1546م ان كل من لا يقبل الكتب المشار اليها ولا يعترف بقانونيتها يكون محروماً ، وصارت هذه الكتب فى عصر الاصلاح جزءاً من الايمان الكاثوليكى.

ونفس التوجه للكنيسه اليونانيه والانطاكيه.

• وجدت هذه الكتب فى النسخه السبعينيه التى ترجمت من العبرانيه الى اليونانيه فى عصر بطليموس الثانى بمدينة الاسكندريه سنة 282 ق م ، وترجمها اثنان وسبعون من أحبار اليهود. مما يدل على انهم انزلوا هذه الأسفار مع بقية الأسفار فى منزله واحده.

ومن يطلع على أقدم النسخ السبعينيه المشهوره فى القرن الرابع الميلادى ، وهى السينائيه، الاسكندرانيه ، والفاتيكانيه يجد فيها هذه الكتب.

• ذكر السيد المسيح فى انجيل يوحنا (10 : 22) عيد التجديد ، وهذا العيد لم يذكر فى الأسفار القانونيه الأولى ، ولكنه جاء فى سفر المكابيين الأول (4 : 59) . ان يهوذا المكابى هو أول من وضع هذا العيد.

• وأخيراً فقد جاء فى العهد الجديد اقتباسات من هذه الكتب يصعب ذكرها فى هذه الصفحات لكثرتها.

يتضح مما تقدم أنه لا صحه لما يطلقه البعض عن هذه الكتب بوصفها " ابوكريفا " أى المخفيه.

أما الأسفار التى تسميها الكنائس التقليديه بألابوكريفه ويسميها بعض المسيحيين بالمزوره فهى كثيره ، وأهمها مايتعلق بالعهد القديم وهى سفراً عزرا الثالث والرابع وسفر اخنوخ الذى لم يوجد ألاّ فى النسخه الحبشيه . (واسفاراً) فى العهد الجديد من بينها "انجيل حيوة المسيح" وغير ذلك مما كتبه قوم من الهراطقه لاثبات ارائهم الخاصه . (الدكتور مراد كامل).

سفر التكوين

الخلق

فى البدء خلق الله السماوات والأرض .. هكذا يبدأ سفر التكوين ، يخلق الله العالم فى استعراض مهيب ورائع للقوة والهدف ، ويُختم بخلق الرجل فالمرأه . لكن لم يمض وقت طويل حتى دخلت الخطية إلى العالم ، إنكشف القناع عن الشيطان ، وتحطمت البراءة وسقط الإنسان . طُرد آدم وحواء من الجنة وتحول ابنهما البكر إلى قاتل ، وولد الشر شراً إلى أن أهلك الله البشرية ماعدا أسره واحده بقيادة نوح الشخص التقى الوحيد الذى بقى على الارض . وعندما نأتى لإبراهيم ... نجد ذريته شعوباً تؤمن بألإله . والناس الذين نتقابل معهم فى سفر التكوين أناس عاديون ومع ذلك صنع الله من خلالهم أشياء عظيمه.

لايتناول الكتاب المقدس نظرية النشوء والتطور ، لكنه يقرر أن الله خلق الانسان على صورته .. Separate creation والحوار المستمر ليس حول عملية الخلق .. ولكن حول أصل الخليقه .. فالعالم ليس أبن الصدفة العمياء والاحتمالات الغامضة ، لكن الله خلقه . وعبارة "خلق الله السماوات والأرض" من أكثر المفاهيم تحدياً فى مواجهة العلم الحديث .إن المجرة الشاسعة التى نحن جزء منها تدور حول نفسها بسرعة لاتصدق وهى 784 ألف كيلو متراً فى الساعه ، لكن رغم هذه السرعة الرهيبة فإن هذه المجرة يلزمها 200 مليون سنة لتدور حول نفسها دورة واحدة . وهناك ملايين المجرات المشابهة لمجرتنا . ويقول بعض العلماء إن عدد النجوم فى الكون يساوى عدد حبات الرمل التى على كل الشواطىء فى العالم.

كيف خلق الله العالم ؟؟ مازال هذا الموضوع محل جدل عظيم يقول البعض إن الكون وُجد على أثر انفجار مباغت ، ويقول آخرون إن الله جعل كل شيىء يبدأ فى التكون ثم تطور الكون واستكمل كيانه على مدى بلايين السنين . ولكل ديانة قديمة قصة تفسر بها كيف نشأ العالم ولكن الكتاب المقدس – والذى نحن بصدده (مدعماً بالقرآن الكريم) يعلن مسئولية الله عن الخلق.

وعبارة " وكانت الأرض خربه ومقفره" تترجم بأن الأرض كانت عديمة الشكل وخالية" وهذه العبارة ترسم الإطار لقصة الخليقه التى تليها . وفى اليومين الثانى والثالث من الخليقه أعطى الله للكون شكله ، وفى الأيام الثلاثة التاليه ، ملأ الله الأرض بالكائنات الحية – فالنور الذى خلقه فى اليوم الأول محا الظلمة وخلق الله الشمس والقمر فى اليوم الرابع.

كم أستغرق الله فى خلق العالم ؟ هل كان كل يوم 24 ساعة ؟! أم أن كل يوم كان يمثل حقبة غير محدوده من الزمن قد تكون ملايين السنين.

لذلك لايمكن أن نحدد زمان الخليقة ، لأن تواريخ الانسان فى التوراة من أدم لا تذكر أكثر من ستة آلاف عام . لكن الدراسات الجيوفيزيقيه والإركيولوجيه تؤكد أن عمر الانسان يفوق ذلك بكثير . وأنه ظهر فى الدهر الرابع ويعتمدون على بقايا الاصداف والنباتات المتحجرة.

وقد أكتشف العلماء الآثار الحضارية لأنماط بشرية عاشت فى أوروبا فى العصر الحجرى القديم ، فى سبعة أقسام رئيسيه أعطيت أسماء نُسبت الى الجهات التى عثر على أقدم الأثار فيها ، وكلها تمتاز بإستخدام أدوات خشنة الصنع . والأقسام الثلاثه الأولى تقع فى الفترة المضطربة التى

توسطت العصرين الجليديين الثالث والرابع – الأولى السابقه للعصر الشيلى ومخلفاتها أحجار من الصوان لها حد وقبضه – "مديه حجريه" ويحدد لها تاريخ يرجع إلى عام 125 ألف قبل الميلاد .
أما الحضارة الشيليه فترجع إلى مائة ألف عام قبل الميلاد ، والأشوليه 75 ألف عام قبل الميلاد . أما انسان نياندرثال فى الحضارة الموستيريه فعاش حوالى أربعين ألف عام قبل الميلاد.

أما أول الحضارات التى ظهرت فى أعقاب عصر الجليد الرابع فهى "الأوريناسيه" وترجع إلى عام 25 ألف سنه قبل الميلاد وهى تمثل الخطوة الأولى لحضارتنا التى نعيشها اليوم.

أعقبت ذلك الحضارة السولتريه حوالى عام 20 ألف قبل الميلاد ، وفى حوالى عام 16 ألف قبل الميلاد ظهرت بوادر الحضارة المجدلانية (د. نجيب ميخائيل ابراهيم).

***براهين الفلاسفة على وجود الله:**

عندما خلق الله الإنسان .. خلق فيه الوعى بوجوده كأى مصنوع يحمل بصمة وروح الصانع – والإعجاز فى خلق الإنسان أوجد تراكيب فسيولوجية ونفسية وعقلية معقدة للغاية، ومهما وصل العلم من التقدم فإنه لايستطيع فك طلاسم جسم الإنسان وخاصة المخ.

ومهما وصل العقل من نضوج ومعالجه للقضايا بالمنطق والبراهين فهو لايسمو إلى الوعى .. الوعى اليقينى بوجود الله . وفى كتاب "الله" يرى الأستاذ عباس العقاد أن كل البراهين المختلفة لإثبات وجود الله بالحجة والدليل لاتغنى عن الوعى الكونى فى مقارنة الإيمان بالله والشعور بالعقيدة الدينية. والإحاطة بالحقيقة الإلهية شىء لاينحصر فى عقل الإنسان ولا فى أى دليل يتمخض عنه هذا العقل.

أما عن البراهين التى استدل عليها الفلاسفة على وجود الله: فهى كثيرة: منها برهان الخلق أو البرهان الكونى وخلاصتها أن الموجودات لابد لها من موجد – وهناك محرك أنشأ جميع الحركات الكونية وأن المتحرك لابد له من محرك وأن هذا المحرك لابد أن يستمد الحركة من غيره وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد لاتجوز عليه الحركة لأنه قائم عبر حدود من المكان والزمان وهذا هو الله.

أما برهان الغاية فإنه يتخذ من المخلوقات دليلاً على وجود الخالق وأنها تدل على قصد فى تكوينها وحكمه فى تسييرها وتدبيرها . والمؤمنون بنظرية الغاية يرون أن الغاية توجد أولاً ثم تصبح الطبيعة مسخرة للوصول إلى هذه الغاية – أما نقيض هذه النظرية فترى أن الأشياء تعمل بترتيب وتطور للوصول للغاية.

و يرى سبينوزا أن الله والطبيعة شىء واحد ، وأن الإنسان أحد تغيرات الجوهر الإلهى ويشارك الله فى الامتداد والأنسان مطبوع والجوهر الإلهى طابع.

أما برهان الاستكمال فقد صاغه القديس أنسلم Anselm

وتطور هذا البرهان ووصل الى كماله فى فلسفة ديكارت وفحواه أن العقل الإنسانى كلما تصور شيئاً عظيماً تصور ماهو أعظم منه لأن الوقوف بالعظمة عند مرتبة واحدة يحتاج إلى سبب. فما من شىء كامل إلا والعقل الإنسانى متطلع إلى أكمل منه ثم ماهو أكمل وأكمل .. إلى النهاية وهى غاية الكمال المطلق التى لا زيادة ولا نقصان عليها .. ومجرد تصور هذا الكمال فوجوده هو الله.

وبرهان الأخلاق أو وازع الضمير: من أين للإنسان أن يدين نفسه؟ إذا لم يكن فى الكون مايغرس فى نفسه هذا الوجوب. ومن هنا أتت عملية المنع أو القمع والتى لايتحلى بها غير الإنسان خاصة بين مخلوقات الله .. والتى يحارب بها شهواته وملذاته دون قمع.

*لماذا لانرى الله :

والسؤال : لماذا يحوجنا الله إلى البراهين لإثبات وجوده ولماذا لايتجلى للعيان فيعرفه كل إنسان !!

والجواب: قال موسى لله أرنى مجدك فقال له الرب "لن ترى وجهى لأن الإنسان الذى يرانى لا يعيش (خر 33) فلما أعاد موسى الطلب فقال له "قف على الصخرة وعندما يعبر مجدى أضعك فى نقرة من الصخر وأحجبك بيدى حتى أعبر ثم أرفع يدى فتنظر ورائى أما وجهى فيظل محجوبا عن العيان".

وحينما شاهد هارون وبنى إسرائيل موسى فكان وجهه لامعاً فخافوا أن يقتربوا منه.

لذلك لا يمكن أن يعاين الإنسان الله ويجابه قوته الأزلية .. كمن يواجه قوة نووية خطيرة.

وفى كتاب "الكفن المقدس بتورينو" والذى يتحدث عن الكفن الذى لف جسد المسيح بعد أن أسلم الروح والذى (ارى) أن القدرة الإلهية أخرت ظهور هذا الكفن قرابة الألفين عام .. حتى تتقدم التكنولوجيا ويتقدم العلم لترجمة ماعليه من رسومات وبصمات .. أقول إن هذا الكفن طبعت عليه صور المسيح بكل تفاصيلها وبأثار اكليل الشوك والسياط والدماء من المسامير والحربة وكل منها له تفسيره . ولكن مايهمنا فى هذا الصدد مقارنة انطباع صورة السيد المسيح على الكفن الكتان .. مثل انطباع صوره "الحنفيه" عمومية ضخمة فى هيروشيما حيث انطبعت صورتها على الحائط المقابل لها بعد الانفجار النووى الذى حدث أثناء الحرب العاليمة الثانية . فإن الذى خلق الكون .. والذى تتوالى فيه الانفجارات الذرية والاشعاع الكونى الرهيب .. لايمكن أن يكون إلا أكثر وأقوى من ذلك.

فعندما تكلم الله مع آدم كان على هيئة رعد فى السماء .. وسمع آدم خطوات سيره.. أما ظهوره لإبراهيم فكان على هيئة ثلاثة رجال كان يناديهم إبراهيم بصيغة الفرد "يارب" وظهر لموسى على هيئة عليقة أو نار تشتعل فى شجرة جافة .. كما ظهر لبنى إسرائيل كعمودسحاب وعمود نار يهديهم فى البرية وظهر ملاك الرب لهاجر جارية سارة معلناً لها مولد إسماعيل ثم ظهر لإبراهيم ببشارة مولد اسحق .. وتكلم كصوت "ملاك الرب" لإبراهيم ليمنعه من تقديم (اسحق) ذبيحة كما جاء فى التوراه حتى البشارة لمريم كانت عن طريق ملاك الرب.

ثم لشاول كصوت محذراً له قائلا كيف ترفس مناخس.

*تواصل الديانات:

الدين حالة اجتماعية تكبح الأثرة الفردية لصالح المجتمع، ويقول الفيلسوف "موللر" إن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلاله الأبدى الذى ليس له انتهاء، وتمثلت فى أروع مايراه فى الكون وهو الشمس والقمر . وتطور الوعى الكونى وترقى بمرور الزمن وكانت الأطوار الأولى تتميز بتعدد الالهة Polytheism .. ثم تميز بعض الالهة ومايسمى Henotheism .. ثم توصل إلى الوحدانية Monotheism .

وكانت أول الأرباب.. أرباب الأسلاف حيث كانت كل قبيلة تنظر إلى رأس القبيلة المتوفى بأنه رب يظهر لهم فى الأحلام ويقدمون له الصلوات والذبائح .. ثم انضمت القبائل .. وظهر رب لكل مجموعة من القبائل .. ثم اتحدت القبائل فى أمم، وأخذت كل أمة لها رباً .. حتى بدأت ديانات التوحيد .. فى مصر القديمة أيام اختاتون .. حتى جاء موسى .. وأصبح الله "يهوه" هو الإله عند اليهود ، ولكنهم فى نفس الوقت عز عليهم أن يتركوا الهتهم القديمة التى تعبر عن تراث قومى فحولوها من آلهة إلى اتباع للاله "يهوه" وظلت هذه الآلهه تتصف "فى نظرهم" بنورانية التكوين .. وعلى رأس هذه الالهة الاله الجبار "إيل" .. ولأنها تابعة للاله يهوه أطلقوا عليهم اسم الملائكة .. وأصبح كبير الالهة باسم الاله الجبار "جبرا إيل" وكلمة جبرا يمعنى الجبروت والقوة فى كل اللغات السامية بما فى ذلك اللغة العربية.

***تأملات كونيه:**

محاوله تتبع الأحداث الواردة فى أسفار العهد القديم والمقارنه بين تواريخ وقوعها وتواريخ الأحداث الكونية المعاصرة لها، وخاصة مايتعلق منها بالتاريخ الفرعونى دراسة شيقه تفتح الباب لكثير من الجدل حول الصلة بين التاريخ الوارد فى الكتب المقدسة والتواريخ المدونة على الأثار.

بداية يذكر أن الخليقه غير محددة التاريخ ، وكذلك بناء نوح للفلك . أما مولد سيدنا ابراهيم فكان عام 2166 قبل الميلاد وهو يزامن نهاية الدولة المصريه الفرعونية القديمة من الأسرة السابعة حتى الاسرة الحادية عشر والمعروف بعهد الاضمحلال الأول من 2422 الى 2065 قبل الميلاد وهذا يعنى أن الملك مينا وكذلك ملوك الأسره الرابعة بناة الأهرامات كانوا قبل ميلاد ابراهيم . وقد كان المصرى القديم يجهل التواريخ المطلقة فكان لكل فتره حكم ملك تقويم قائم بذاته تؤرخ ابتداء منه الحوادث التى تقع خلاله ، ولم يقدم تاريخا ثابتا متتابعاً له نقطه بداية

(مثل الميلادى و الهجرى) ، يصلح لكى يعتمد عليه كمقياس ثابت لحساب الزمن لكنه استطاع أن يستخدم بعض مظاهر الطبيعة ليحدد طول السنة مثل فيضان النيل والزرع ، ففصل الفيضان هو (أخت) وفصل الزرع (برت) ثم فصل الحصاد (شمو) وكل فصل يحوى شهوراً أربعة أعطيت أرقاماً فى أول الأمر ثم أطلقت عليها أسماء منذ العصر الفارسى فى القرن السادس قبل الميلاد وهى الأسماء المعروفة الآن فى التقويم القبطى وعدد أيام كل شهر ثلاثون يوماً وأضافوا فى آخر السنه شهراً صغيراً يحوى خمسه أيام.

*الزمن:

بالتأمل فى تاريخ ميلاد سيدنا ابراهيم حوالى 2166 سنة قبل الميلاد . يتضح أن أحداث العهد القديم المؤرخة بداية من ابراهيم الى اسماعيل واسحق ويعقوب قريبة جداً كرمشه العين مقارنه بالزمن.

عجز الانسان عن إدراك حقيقة الزمن وطبيعته فهو أكثر الأشياء غموضاً على العقل لأن الزمن لايدرك إلا بأثره على الاشياء . ولو ظل الإنسان ينظر الى قطعة من الحجر زمناً طويلاً لايستطيع أن يدرك قدر هذا الزمن من هذه الأشياء الساكنه . أما الفهم المجرد للزمن فلا يستطيع الإنسان أن يدركه . وأما من ناحية القول بأن الزمن له أول وله آخر فهذا ينطبق على الأحداث . حتى عملية التطور ليس لها علاقة بالزمن . أما علاقة الزمن بالكون فهى من خلال البعد الرابع الذى أطلق على الزمن بخلاف الأبعاد الثلاثة اللانهائية المعروفه عن الكون . فكل المحاولات العلمية والفلسفيه لاحتواء الزمن غير حقيقيه . لأن الزمن الماضى ليس له حدود والمستقبل أيضا ليس له حدود – أما

الحاضر فهو لحظى ويضاف بعد ثوان إلى خريطة الماضى وما الحاضر الأ جسر بين الماضى والمستقبل والزمن الكلى – كالفضاء الكلى – يحتوينا ولانقدر على احتوائه.

*الانسان والكون:

من الصعب تخيل ماكانت عليه الارض فى الحقب الساحقه القديمة الى أن وصلت على ماهى فيه الأن – مرت الارض بأزمنة ثلجية مدى الآلاف من السنين – زحفت عليها الثلوج فغطتها أربع مرات ، وكانت بين هذه الأزمنة الثلجية تنعم بفترة تنزاح عنها الثلوج وتتسم بالاعتدال مما يساعد على الحياة الإنسانية . كان العصر الجليدى الاول منذ نصف مليون سنه ثم تلاه فترة اعتدال استمرت 7500 عام ثم كان العصر الجليدى الثانى والذى استمر أربعمائة ألف عام ظل فيها الجليد يغطى الأرض 25.000 عام ثم ذاب الجليد وأختفى حوالى مائتى ألف عام . ثم زحف للمره الثالثه ليغشى سطح الارض منذ 175.000 عام وظل كذلك لمدة 25.000 عام أخرى ثم ذاب الجليد للمره الثالثة لتعود الحياة إلى الأرض مدة 100.000 عام – أما العصر الجليدى الرابع والأخير فقد اجتاح الأرض منذ خمسين ألف عام ودام خمسة وعشرين ألف عام أخرى ، ونعيش الآن على سطح الكرة الأرضية بعد الحقبة الجليدية الرابعة منذ خمس وعشرين ألف عام (د. نجيب ميخائيل ابراهيم 1993) .

لذلك فإن التراث الحضارى الإنسانى ليس حلقة واحدة متصلة، فآثار كفاح الإنسان البدائى قبل التاريخ قد تركها لتَعِبّر عن الكفاح الانسانى للبقاء حين أخذ يفكر فى الطرق التى تضمن له البقاء وهذا يتمثل فى الأدوات البدائية التى كانت ضرورية لمقاومة الحيوان وأيضاً لصيده – وبذلك فإن الصيد كان الحرفة الأولى التى امتهنها الإنسان الأول – لذلك كانت أدواته للصيد قبل العصر الجليدى الرابع والأخير بدائية للغاية ، خشنة الصنع من حجر الصوان وهى المدية الحجرية وترجع إلى حوالى عام 125.000 قبل الميلاد.

ثم تطورت بأن تصبح لها قبضة يد ، ثم أنتجت بجانبها أدوات أخرى كالمطارق والكاشطات والمدى ... ثم رؤوس السهام وسنان الرماح وكان ذلك حوالى عام 75000 قبل الميلاد.

أما الحضاره التى نشأت بعد العصر الجليدى الرابع فهى بداية الحضارة والانسانية الحالية .. ووجدت فيها أدوات مصنوعه من العظام . كما ظهر النقش على الحجر – مع بداية فن التصوير.

ثم تطورت الصناعة حيث ظهرت المدى والمثاقب والمناشير والإبر .. من العظم وقرون الوعول . وحوالى عام 16.000 قبل الميلاد ظهرت الآنية المصنوعة من العاج ، ثم عُرف النحاس فى تصنيع الأوانى وكذلك الذهب . أما الفخار فقد نشأت صناعته قديماً لكن تشكيله كأوان لم يتم إلا فى العصر الحجرى الحديث.

كذلك فإن الانسان القديم مر بفترات حضارية متعاقبه بدأت أولا بالسعى وراء الطعام كصياد .. لذلك كان أول ما أخترعه هو أدوات الصيد الحجرية . ثم بدأت المجتمعات الزراعية بعد تحسن المناخ وسقوط الأمطار وبذلك تكونت المجتمعات الأولى ، فزرعوا الحبوب والكتان وقاموا بتربية الماشية .. وتعلموا كيفية تخزين فائض الغلال .. ثم المَوّا بصناعة النسيج .. ثم عمل السلال والحصر . وكان أهل الوجه البحرى يدفنون موتاهم ويقيمون مخازن الحبوب داخل القرى بين المساكن ، لكن أصحاب حضارة الوجه القبلى فى مصر كانوا على عكس ذلك ، فكانت مخازنهم ومقابرهم خارج قراهم . وكان سكان شمال مصر أطول قامة ورؤسهم طويلة بخلاف أهل الصعيد . وهذا يرجع

الأصول المختلفة لشعوب وادى النيل – فالجنس الجنوبى يتأثر بالعنصر الافريقى الزنجى والجنس الشمالى له صلات عرقية مع الشرق ويظن أن الليبيين قد أثَّروا فى صفات العنصر الشمالى ، وكذلك هناك جذور حضاريه من قبرص ورودس وكريت وسيناء كما تم تبادل الثقافات مع سوريا وبلاد مابين النهرين (د. نجيب ميخائيل ابراهيم)

***مصر وبداية التاريخ:**

هناك فرقاً واضحاً بين عهود ماقبل الأسرات وعهود الأسرات . فعهود ماقبل الأسرات ليست كلها آثاراً مكتوبة أو منقوشة يمكن عن طريقها معرفة الأحداث التاريخية أو السياسية ولكنها تحيطنا على كل حال علماً بمعيشة المصريين وأحوالهم فى تلك العصور السحيقة وتميط اللثام عن التطور الذى طرأ على حياتهم وصناعاتهم وفنونهم المختلفة – يضاف إلى هذه الأثار مصادر أخرى من عصر الاسرات تشير إلى كثير من العقائد الدينية والأحداث السياسية التى تركت آثاراً واضحة فى حياة المصريين فى تلك الأزمنة البعيدة ولعل أقدمها متون الأهرام التى تحوى نصوصاً توارثها المصريون ترجع إلى عهد ماقبل الأسرات – أما المعلومات عن العصور التاريخية فتعتمد أول ماتعتمد على الآثار التى خلَّفها المصريون فى مختلف العصور وهى تحدثنا عن الكثير من أخبارهم وتروى لنا معلومات لها قيمتها عن عقائدهم وفنونهم – على أنه يلاحظ فيها أنها صادرة فى أغلب الأحوال عن المقابر أو المعابد أى أنها ذات طابع دينى أو جَنَزِى وفى هذا قصور فى تزويدنا بالمعلومات الشاملة – ولعل السر فى ذلك أن المصرى كان يعتَقد فى الحياة الثانيه وأنها على غرار الحياة الدنيا ، فزود قبره بالمناظر والصور التى تمثل حياته اليومية .. وحرص على أن ينقش على جدرانه الكثير من الحوادث والأخبار ولكن يعيب هذه المصادر فى الوقت نفسه أن جلها صادر عن الوجه القبلى وأن ماوجد فى الوجه البحرى حتى الآن لايشفى غليلاً ولعل الأيام تكفل لنا سر هذا الفراغ.

وهذا يطرح بداخلى سؤالاً حول بعض أحداث العهد القديم الهامه والتى كان لمصر دور كبير فى أحداثها والتى لم يرد لها ذلك فى آثار فراعنة مصر – وما أقصده بالطبع هو أحداث موسى وخروج شعب اسرائيل من مصر والضربات العشر وما إلى ذلك.

ولعل هذه الأحداث مكتوبة فعلا فى مكان ما لم يتم العثور عليه حتى الآن ، وقد يكون خطأً أو صواباً أن تكون هذه الأحداث بها قدر من الضألة والتى لاتشجع على تأريخها بأيدى فراعنه مصر العظام.

*التاريخ المصرى:

أصطلح المؤرخون على تقسيم مراحل التاريخ المصرى إلى احدى وثلاثين أسره

1- ماقبل التاريخ.

2- العهد الطينى ويشمل الأسرتين الأولى والثانية من 3197 الى 2778 ق م

3- الدوله القديمه وتشمل الأسرات الثالثه والرابعة والخامسة والسادسة من 2778 إلى 2423 ق م

4- نهاية الدوله القديمه حتى الأسرة الحادية عشره وهى المعروفه بعهد الاضمحلال الأول من 2423 حتى 2065 ق م وتشمل الأسرتين السابعة والثامنة المنفيتين والتاسعة والعاشرة الهرقليو بوليتانياتين .

5- الدولة الوسطى وتشمل الأسرتين الحادية عشره والثانيه عشره الطيبيتين من 2065 الى 1787 ق م

6- عهد الاضمحلال الثانى (ويشمل فتره حكم الهكسوس) من الأسره الثالثه عشرة الطيبية والرابعه عشرة السخاويه إلى نهاية الاسرة السابعه عشرة الطيبيه من 1787 الى 1585 ق م.

7- الدوله الحديثة – عهد الامبراطورية ويشمل الأسرات 18 ، 19 ، 20 من 1585 إلى 01090 ق م

8- عهد الانحلال ويشمل حكم الملوك الكهنة فى الاسرات الحادية والعشرين التانيسيه من 01090 – 950 ق م وحكم الليبيين فى الاسرة الثانيه والعشرين ، ثم الاسرة الثالثه والعشرين البوباستيه من 950 الى 720 ق م .

9- فترة التحرير الأولى وتشمل العهد الصاوى الأول فى الأسره الرابعة والعشرين من720 الى 715 ق م .

10- حكم الأثيوبيين ويشمل الاسرة 25 من 720 الى 663 ق م

11- فتره التحرير الثانية أو عصر النهضة (صحوة الموت) ويشمل الاسرة السادسة والعشرين الساوية من 663 إلى 525 ق م .

12- حكم الفرس والأسرة الوطنية الأخيرة ويشمل الأسرة السابعه والعشرين الفارسية والثامنه والعشرين الساوية ، والتاسعه والعشرين المنديسية والثلاثين السمنوديه – ثم الغزو الأخير الفارسى متمثلاً فى الأسرة الحادية والثلاثين الفارسية ومحاولات التحرر من 525 الى 332 ق م

13- غزوة الاسكندر المقدونى وحكم البطالمة ويمتد من332 إلى 30ق م

14- حكم الرومان من 30 ق م حتى دخول العرب عام 640 ميلادية .

***مصادر التاريخ الفرعونى:**

تعتمد معلوماتنا عن العصور التاريخيه المتتابعه للمصريين القدماء على الاثار التى تركوها فى المعابد والمقابر . ورغم انها تتسم بالطابع الدينى والجنزى ، الا انهم حرصوا على نقش الكثير من الحوادث والأخبار. ومن بين المصادر التى خلفها المصريون ، لوحات من الحجر والعاج عثر عليها فى مقابر الملوك .

ومن بين اهم هذه المصادر :

1- حجر بالرمو وهو قطعه من حجر الديوريت محفوظه فى متحف بالرمو بجزيرة صقليه ، وتوجد ثلاث قطع مكملة لهذا الحجر فى المتحف المصرى ، غير قطعه صغيره اشتراها " بترى " . وقد نقشت على هذه الاجزاء اسماء بعض الملوك مع ذكر اهم الاحداث فى عصر كل منهم ، كما جاء ذكر حالة فيضان نهر النيل سنوياً .

وكما يقول دكتور نجيب ميخائيل أنه لو أن هذا الحجر قد وصل لنا كاملاً لأصبح لدينا دليلاً كاملاً بأسماء الملوك وسنى حكمهم والاحداث التاريخيه حتى منتصف الأسره الخامسه.

2- قائمه الكرنك – وترجع الى عهد تحتمس الثالث ، وكانت فى حجرة التدشين بمعبد الكرنك وهى الآن بباريس ، وبها اسماء ملوك الاسرات العاشره والحادية عشره والثانيه عشرة .

3- قائمه ابيدوس (لوحة الأجداد) ، ترجع للأسرة التاسعة عشره ، وهى منقوشه على أحد جدران معبد ابيدوس . وتحوى 76 اسما من ملوك مصر من عهد " مينا " حتى عهد " ستخى " فى الاسره التاسعة عشرة .

والقائمه تغفل ذكر بعض الملوك التى لا تعترف بهم وتعتبرهم غير شرعيين .

4- قائمه سقاره – ترجع لعهد رمسيس الثانى ، عثر عليها فى مقبره الكاتب الملكى " ثونرى " وهى بالمتحف المصرى الآن . وهى تتفق كثيراً مع ما جاء فى بردية تورين . وهى تشمل اسماء 47 ملكاً مختاراً ، وتبدأ بسادس ملوك الأسرة الاولى (عنزيب) وتنتهى برمسيس الثانى .

5- برديه تورين : ترجع لعصر رمسيس الثانى ، كتبت بالهيراطيقيه وهى المرجع الأساسى لاسماء الملوك والاحداث . وقد عثر عليها فى عام 1820 " دروفيتى " الايطالى الجنسيه ، ثم تم نقلها الى سردينيا ولم تحظ بالعنايه الواجبه فتهشمت ثم جمعت بقاياها . وتبدأ البرديه بذكر الملوك السماويين ثم البشريين ، وسجلت مدد الحكم بالسنين والشهور والأيام – وفى هذه البرديه تم تقسيم الملوك الى بيوتات وعائلات أو أسر . وكانت نسخ من هذه البرديه توضع فى المعابد ودور الحكومه للرجوع اليها . وبقايا البرديه الآن حوالى 300 قطعه . ومما جاء فى هذه البرديه أن مجموع سنى الحكم من الاسره الاولى الى السادسه 949 سنه ، وأن الأسرة الثانية عشره حكمت 215 سنه ، مما يتفق مع أثار هذه الأسره التى تشير الى 213 سنه .

أما عن المصادر غير المصريه للتاريخ الفرعونى ، ماكتبه اليونانيون الذين زاروا مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد بحثا عن الجذور المصريه القديمه والهتها ومدى ارتباط حضارة اليونان بالحكمه والفلسفه المصريه ، ولو أن بعضاً من قصصهم وكتاباتهم لم تكن تخلو من سوء فهم وتقدير لحقائق الأمور .

ومن بين هؤلاء : هيكاته وهيرودوت الذى زار مصر عام 430 ق م ، واراتوستين . كذلك ديودور الصقلى (44 ق م) وسترابو (25 ق م) ، وبلينى وبلوتارك .

أما " مانيتو " – الكاهن المصرى السمنودى الذى عاش فى عهد بطليموس الثانى – فقد قام بكتابة تاريخ مصر فى ثلاثه اجزاء باليونانيه ، واعتماداً على ما كتبه " مانيتو " فقد تم تقسيم الفراعنه على اساس 31 اسرة ، تنتهى بإستيلاء الفرس للمرة الثالثه على مصر (د. نجيب ميخائيل ابراهيم).

جنة عدن

***نهر النيل فى التوراه:**

" وكان نهر يجرى فى عدن ليسقى الجنه ومايلبث أن ينقسم من هناك إلى أربعة أنهر . الأول منها يدعى فيشون الذى يلتف حول كل الحويله حيث يوجد الذهب ، وذهب تلك الأرض جيد وفيها أيضاً المقُل وحجر الجزع . والنهر الثانى جيحون الذى يحيط بجميع أرض كوش والنهر الثالث يدعى حداقل وهو الجارى فى شرقى أشور. والنهر الرابع هو الفرات " سفر التكوين 2: 10 – 14 " .

نجد فى أماكن متفرقه من التوراة أنه تمت الاشارة إلى النيل بأربعة اسماء مختلفة هى : جيحون ونهر ونهل وسيسحور.

وقد يبدو للوهلة الأولى عدم التطابق الجغرافى لمسارات هذه الأنهار ويعتبر القدماء غير ملمين بالجغرافيا الحقيقية ولم تكن لديهم فكرة مؤكدة ومحددة عن اتجاه النيل ومنابعه المختلفة. وكان يُعتقد أن نهر النيل ينبع من الفرات الذى تصب مياهه فى مستنقع فى أثيوبيا يطلق عليه النيل.

والنص التوراتى يذكر دون غموض أن النهر الذى يسمى جيحون يروى أرض شوس (كوش) وقد أتفق المفسرون بالاجماع على ترجمة هذا الاسم ببلاد الحبشه . كما يتفق المتخصصون فى اللغةالعبريه إلى إرجاع أصل كلمة جيحون الى جوح الذى يعنى (يخرج بقوه ويندفع) . أما مفردات اللغة القبطية فتشير للنيل باسم " بى كيون " وما كلمة كيون الآ جيحون مضافاً إليها أداة التعريف بى أو ال.

أما عن نهر الفيشون أو الفيزون فيرى بعض المفسرين أنه النيل نفسه ، وعارض هذا الرأى كثيرون لكن يُعتقد اخيراً أن فيشون وجيحون هما الفرعان الرئيسيان لنهر النيل وهما الأباوى فى الشرق والأبيض فى الغرب . والفيزون وفقاً للنص العبرى يتجه إلى حيفيله وهى بلاد الحبشه وحيث أنه لايوجد نهر كبير فى هذه الأرض الاّ " الاباوى" فإن الفيشون سيكون بذلك هو الاباوى . ويرى الكثير من الباحثين أنه باسم جيحون كان موسى يشير إلى نهر النيجر والذى له اتصال بالفرع الغربى من النيل أى بالنيل الأبيض. وهكذا لايستبعد الاعتقاد بأن الفيزون هو المنبع الشرقى للنيل الذى يأتى من مقاطعة جوچام بالحبشه ويحمل اسم الاباوى . أو النيل الازرق ، وأن الجيحون فى المقابل هو المنبع الغربى الذى يخرج من جبال القمر ويتصل بالنيجر ويطلق عليه اليوم النيل الأبيض . [كتاب وصف مصر – تأليف علماء الحملة الفرنسية].

أما الاسم الثانى للنيل فى التوراه فهو " نهر " واستخدمه العبرانيون كثيرا ويتصل عندهم عادة باسم مصر " نهر مصرابيم " .

والاسم الثالث فهو " نهل " أو " نخل " فنجده مثل سابقه يرتبط كثيرا باسم مصر.

أما الاسم الرابع للنيل فهو سيسيحور او سيحور ونصادفه فى أماكن عديدة من التوراه .. ويذكر " دنيس بريجبيت " أن هذا الاسم من أصل أثيوبى حيث يطلقه الأثيوبيون على جزء من نهر النيل يعبر أرضهم . ويرجع العبرانيون أصل هذا الاسم للجزر سيسحور الذى يعنى مضطرباً وأسود حيث يصف الحالة المضطربة العكره التى تكون عليه مياه النيل خلال فيضانه السنوى – كما يعتقد

أن كلمة الأسود أطلق على هذا النهر لأنه ينبع من أثيوبيا بلاد السود علماً بأن اسم النيل فى اللغة السنسكريتيه هو كالى الذى يعنى أسود وجميل فى نفس الوقت.

أما السامريون فقد ترجموا كلمة جيحون ب " عسقوف " وهى كلمة تنقسم إلى شقين (عسق) بمعنى ظلمات أو مظلم ، و(وف) بمعنى يهتز ويدور بعنف – وبالتالى فإن دلالة كلمة عسقوف تكون يخرج بعنف من الظلمات.

أما عن العلاقه بين منابع نهر النيل وعدن فإننى أرى أن التفسير الوحيد هو ما كانت عليه اليابسة قبل أن يحدث الاضطراب العظيم فى القشرة الأرضية ونتج عنه زلزال عنيف أسفر عن ظهور البحر الأحمر .. وانفصال القرن الإفريقى عن منطقة (الجزيرة) العربية فى آسيا.

*اماكن أخرى مقترحه لجنة عدن:

هناك العديد من الاراء حول موقع جنة عدن ، والكثير منها ليست له علاقة بموقعها فى سفر التكوين .

• وعلى فرضية وجودها بجوار نهرى دجله والفرات (حيث حداقل هو تيجريس أو دجله) ، اللذين ينبعان من الجبال التركيه ، فإن الموقع المقترح لجنة عدن يكون فى شرق تركيا.

وقد حدد " سوندرز " اربعة انهار لعدن وهى مورات والفرات والتيجريس والفرع الشمالى للمورات . ومما يدعم هذه النظرية ، صورة للاقمار الاصطناعيه بالموقع 38° 33` 25.. N, 39° 120.0 E .

• وهناك موقع فى ارمينيا عند انحناء نهر الفرات جنوب قرقميش بجوار حاران .

• ويقترح " زارينز " موقعاً عند مصب نهرى دجله والفرات فى الخليج الفارسى ، وقد حددها من خلال صورة من الفضاء بواسطة القمر لاندسات . وهو يطابق نهر جيحون فى التوراه بنهر قارون فى ايران ، ونهر الفيشون بنهر وادى باتين ، الذى كان يروى المنطقة الخصبه من الجزيرة العربيه واصابه الجفاف .

• اقصى جنوب سومر على نهر اراتا .

• دلمون (مملكة البحرين حاليا) ، تقع حدائق عدن بالقرب من المركز التجارى بالبحرين ؟!.

• أورشليم ، هناك توجد عين ماء تسمى جيحون ، ويدعى انها بقايا نهر قديم . وفى سفر حزقيال مايوحى بوجود جنه عدن فى أورشليم وعند الجبل المقدس الموريا ، فنجد فى الاصحاح 28 : 11 – 14 " واوحى الىَّ الرب بكلمته قائلا : يا ابن ادم ، اندب ملك صور بمرثاه وقل له هذا ما يعلنه السيد الرب .. كنت فى جنة الله عدن ، حجابك كل حجر كريم : عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق ابيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت ازرق وزمرد وذهب، صاغوا منه بيوت حجارتك الكريمه وترصيعاتك يوم خلقت ، ومسحتك لتكون الكروبيم المظلل واقمتك على جبل الله المقدس ". أما فى الاصحاح 47 من نفس السفر يذكر حزقيال عن المياه التى تتدفق من تحت عتبه الهيكل بأورشليم .. كانت مياه طاغيه عميقه مياه سباحه لنهر يتعذر عبوره .. تصب فى البحر الميت .. ويبدأ كل من تبلغ اليه مياه النهر وتسرى الحياة فيه .. وتنمو على ضفته كل أنواع اشجار الفاكهة .. لا يذبل ورقها ولا ينقطع ثمرها .. لان مياه النهر تنبع من " المقدس " ... الخ .

• ايران، يرى " دافيد رول " أن عدن تقع فى شمال غرب ايران فى منطقة كانت تدعى عند السومريين عدن بالقرب من تبريز ، وهذه المنطقه يحدها الأن جبل عظيم من الشمال والشرق والجنوب ، وفى ناحية الغرب يمتد سهلاً عظيماً يرويه نهر يمر من خلال الجبل من الناحية الشرقيه وكما يقال عن السماوات السبع ، فهناك البوابات السبع فى الحضارة السومريه وتقع عدن عند البوابه السابعه (السماء السابعه).

• والبعض يرون موقعها فى اتلانتا الغارقه .

• اما عن الموقع المحتمل فى افريقيا فهو فى الشمال الشرقى ؟ حيث اكتشفت اقدم حضارات للانسان فى افريقيا وأن نهر جيحون هو نهر النيل .

عن : Wikipedia, The Free Encyclopedia

نوح

وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات ، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فإتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ماطاب لهم (تك 6 : 1) فقال الرب لن يمكث روحى مجاهداً فى الانسان الى الأبد – فهو بَشَرِى زائغ – لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئه وعشرين سنه فقط (تك) ورای الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض .. فقال " أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض " وقال الله لنوح " إبن لك فلكاً من خشب السرو" .. هذه الأيات من سفر التكوين تتحدث عن قصة نوح والطوفان .

أما عن ظهور الشر بين أبناء نوح .. فقد حدث نتيجة تزاوج بين أبناء " شيث " (ابن ادم وحواء الثالث) وهم شعب الله الأتقياء وبين نسل قايين الأشرار مما أضعف النسل التقى وزاد من الفساد والشر. ولم يكن الفلك الذى بناه نوح مجرد زورق – لكنه مركب كبير يبلغ طوله مرة ونصف طول ملعب كرة قدم ، وارتفاعه ارتفاع مبنى من أربعة أدوار ، و كان طول الفلك ستة أضعاف عرضه وهى نفس النسب التى يراعيها بناة السفن الأن . وقد ظل نوح يعمل لإتمام هذا الفُلك وتجهيزه وإدخال الحيوانات والطيور . ويقدر كثير من العلماء عدد هذه الحيوانات بنحو 45 ألف حيوان – واستغرقت رحلة الإعداد هذه مائه وعشرين سنة .

وكان عمر نوح خمس مئه سنة عندما أنجب ساماً وحاماً ويافثاً – ومات نوح وكان عمره تسعمائه وخمسين عاماً .. وعاش والده " لامك " سبعمائة وسبع وسبعين عاماً .

كيف عاش هؤلاء الناس هذا العمر الطويل ؟ يعتقد البعض أن الأعمار المدونه كانت أعمارأسرات وليست أعمار أفراد . أما الذين يؤمنون بأنها اعمار حقيقية فيقدمون ثلاثة أسباب لهذا العمر المديد ، أولها كانت السلالة البشرية مازالت نقيه فلم يكن قد ظهر الكثير من الأمراض وأيضاً " لم يكن قد هطل مطر على الآرض ، وبخار الماء من فوق" (تك 1 : 7 – 8) هذا حجز الأشعه الكونية الضارة بالإنسان وأخيراً أعطى الله الناس أعماراً طويله لتكون أمامهم فرصه "ليملأوا الأرض" (تك 1 : 28).



***إسطورة الطوفان البابلى وملحمة جلجامش :**

بعد حل رموز اللوح الحادى عشر من ملحمة (جلجامش) البابلية ، اعتقد علماء الأثار وعلى رأسهم (كريمر) ، أن قصة الطوفان التى جاءت فى التوراة لم تكن أصيلة وإنما هى من المبتكرات السومريه التى اقتبسها البابليون ووضعوها فى صورة الطوفان البابلى . وتقول الملحمة :

إن طوفانا سيهلك مراكز العبادة وتهلك ذرية البشر

إن هذا هو القرار الذى أًصدره الإله فى مجمعهم

قم فإبن فلكاً ... هذا ماهمس به الإله لعبده الصالح " زيوسودرا "

أرعد الإله " حداد " فى الغيوم

وبعد أن زلج زيوسودرا الباب

كان الإله حداد يرعد فى الغيوم

وأصبحت الريح عاتيه فأرخى الحبال

وانطلقت السفينة مع التيار

وجاءت كل الرياح والعواصف المدمره

واكتسحت الزوابع العواصم

وبعد أن اكتسحت الزوابع البلاد

فى سبعة أيام وسبع ليال

وتأرجحت السفينة مع الرياح المدمرة

فى المياه العالية

بزغت الشمس تنير الأرض (كريمر)

وكما جاء فى كتاب الاسطورة والتراث (سيد القمنى) ، وبإستقراء الثلث الأسفل من لوح سومرى ذى ستة حقول (نشره ارنوبويل عام 1914) يخبرنا بأنه بعد فتره قصيرة من خلق العالم ، اكتشفت الآلهه السومرية أن الانسان لم يحقق الغاية من خلقه وأنه أفسد فى الأرض وسفك الدماء ، لذلك قررت إفناء الحياة على الأرض وغسلها بماء الطوفان .

ويؤكد الباحث العراقى (فاضل عبد الواحد) أن الطوفان يُعتبر من المظاهر الطبيعية المألوفة فى وادى الرافدين ، فمنذ قديم الأزمان حتى تاريخنا المعاصر ، مازالت مياه دجله والفرات وروافدهما تغمر مساحات واسعة كل عام ، خاصة فى الجنوب . وأن هذه الظاهره الطبيعية التى لم يستطع الإنسان فى وادى الرافدين السيطرة عليها بوسائله المتوفرة آنذاك ، كانت فى نظر الفرد مثل غيرها من الظواهر الطبيعية الأخرى ، سراً من الأسرار الالهيه وسلاحاً من أسلحتها ، لهذا فقد احتل الطوفان خبراً مهماً فى معتقدات سكان هذا الوادى ، وكما يقول الدكتور سيد القمنى ، لنا أن نفترض أن واحداً من تلك الفيضانات العظيمة فى بلاد سومر بقى صداه فى ذاكرة الأجيال لشدة هوله ،

وبسبب ما لحق بالناس والبلاد من دمار ، بحيث أتخذ منه المؤرخون القدامى نقطة لتاريخ الحوادث
.

أما مايدعم حدوث الفيضان بشدة أن التنقيبات الأثرية كشفت الطبقات السفلى للمدن السومرية القديمة والتى أظهرت تحتها طبقة من الطمى يتراوح سمكها مابين نصف المتر والثلاثة أمتار ، مما يشير إلى حدوث الفيضان العظيم بما لا يقبل دحضاً للبيان الاركيولوجى.

وفى تناول الدولة البابلية لهذه الملحمة .. تشابه مع الملحمة السومرية بل أنها تقول " وفى اليوم السابع اطلقت حمامه فذهبت وعادت .. وعز عليها أن تجد مكاناً ظاهراً تحط عليه .. فأرسلت غراباً فذهب ورأى الماء يتناقص فأكل وعب ودار ولم يعد وحينذاك " واجهت الجهات الاربع ، وضحيت وسكبت قرباناً فوق قمة الجبل " .. (د. عبد العزيز صالح) .

وتمض الملحمه . فتقول إن الله (انليل) وبقيه الآلهه ندموا على ماألحقوه بالبشرية من ويل ، وعند ذلك قامت الإلهه (عشتار) بتعليق عقدها الثمين الملون فى باحة السماء ليصبح قوس قزح رمزاً لميثاق مع البشر بعدم تكرار الطوفان – وقالت " كما أننى لا أنس عقد اللازورد الذى كان يزين عنقى فإننى لن أنسى تلك الايام قط سأذكرها دوماً " .

أما التوراه فتقول : كلم الله نوحا وبنيه معاً قائلا : هذه علامة ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم ، وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبينكم وبين كل نفس حية ، فلا تكون المياة طوفانا لتهلك كل ذى جسد.

وسواء حدث الطوفان فى منطقه بعينها (بين النهرين) ، أو اغرق العالم بأثره ، فهذا لاينفى حدوثه كما جاء فى الكتب السماويه . وبالطبع جاءت الاساطير لاحقه لزمن حدوث طوفان نوح وليس العكس مما يؤكد تأثر الاساطير بالحدث السابق الاصيل وليس العكس .

الفصل الثاني

إبراهيم

حسب تواريخ الكتاب المقدس فإن ميلاد سيدنا إبراهيم كان عام 2166 ق م . وإبراهيم هو الذى تجتمع حوله الثلاثة أديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام . أما اليهود فكانوا يفتخرون دائماً أنهم أبناءه حتى وبخهم القديس يوحنا المعمدان قائلا " لاتفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، إنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم " مت 3 : 90 وقد غير الله إسمه من إبرأم فدعاه إبراهيم وقال له " لأننى أجعلك أباً لجمهور من الأمم"تك 17: 5.

ومن أجمل مايقال عن إبراهيم قول الله عن نفسه لموسى النبى " أنا إله أبيك ، وإله إبراهيم" خروج 3 : 6 ، وقد ذكر السيد المسيح هذه الصفة " إله إبراهيم " فى حواره مع الصدوقيين (مت 22: 32) . وقد جاء المسيح من نسل إبراهيم كما ورد فى سلسلة الأنساب (متى 1:1) – وبارك الله إبراهيم وقال له " تتبارك فيك جميع قبائل الأرض " تكوين 12 : 3 ، "ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض " تكوين 22: 18 .

وفى بنوة المؤمنين جميعاً لإبراهيم ، قال القديس بولس الرسول " الذين هم من الإيمان ، اولئك هم أبناء إبراهيم " غلاطيه 3 : 7 .

ومن عظمة إبراهيم .. لُقب أبو الآباء والأنبياء .

*دعوة الله له:

دعا الله إبراهيم وهو فى سن الخمس والسبعين ... وكان يقطن فى " أور " وهى ذات حضارة لكن وثنيه .. فقال له الله " إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك " تك 12 : 10 وترك الأرض الوثنية وكانت الهجرة الأولى .. إلى المجهول لكن بوعد من الله " فأجعلك أمة عظيمة ، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك 12 : 2 ، 3).

*فضائل إبراهيم:

من فضائل إبراهيم ومن سيرته تستطيع أن نصفه بعدة صفات منها الطاعة للإله ...حيث نفذ أوامره بالهجره ... ثم الكرم حينما ذبح لضيوفه الثلاثة عجلاً ، والتواضع حيث انحنى وغسل أرجل ضيوفه ، كذلك النخوة والشجاعة ... فحينما سمع أبرام أن ابن أخيه قد سُبى قاد غلمانه إلى (دان) واسترجع لوط وكل أملاكه ... كما تميز ببعده عن الخصومة ويظهر ذلك فى علاقته مع لوط.

ولما عرض عليه ملك سادوم أن يأخذ الأملاك التى استردها ، رفض قائلا " لا أخذ منك خيطاً ولا شراك نعل ، فلا يقول انا أغنيت ابراهم " (تك 14 : 23) وهذا يدل على عفة اليد والقناعه..ثم موقفه مع أهل سادوم ولجاجته فى طلب الصفح عنهم من الله حتى أن الله قال له إن وُجد فيها عشرة صالحين لا اهلك المدينة .

*نقاط الضعف:

عندما حدثت مجاعة ...انحدر إبراهيم إلى مصر ... خاف من الجوع ولم يؤمن أن الله يمكن أن يرعاه فى الأرض التى آراه إياها ...وبجانب الخوف من المجاعة – خاف أيضاً من الموت وجعله

هذا الخوف ينكر أن ساره أمرأته ويقول إنها شقيقته .. حيلة بشرية بعيدة عن الصدق ... اعتادها وكررها مرة أخرى حينما ذهب إلى جرار وعرض أمرأته أن يأخذها "أبيمالك" الملك على اعتبار انها أخت إبراهيم وليست زوجته أيضاً . وقد حاول أن يغطي على هذه الحيلة البشريه حتى لايُقال عنه إنه كاذب فقال فى قصته مع أبيمالك " وبالحقيقة هى أختى أبنة أبى ، غير أنها ليست أبنة أمى – فصارت لى زوجة " وفى قوله " هى أختى" وعدم قوله وهى أمرأتى أيضاً استخدم اسلوب أنصاف الحقائق. والذى فهمه فرعون وكذلك أبيمالك آن ساراى ليست أمرأة ابرام – لذلك أخذها كل منهما لتكون زوجة له . وبهذا الأسلوب سبب ابراهم عثرة لفرعون وعثرة لأبيمالك واستحق أن يوبخه كل منهما على تصرفه .

والاسوأ من ذلك قوله لزوجته " قولى إنك أختى ، ليكون لى خيراً بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك .أى حياة هذه وأى خير يكون له ... حيث تؤخذ زوجته لتكون لرجل آخر ؟؟

*نســل إبراهيم:

عندما خرج إبراهيم من بيت أبيه كان عمره 75 سنه ولم يكن له نسل ووعده الله قائلا" أجعلك أمة عظيمة " (تك 12 : 2) ،وقال الرب لأبراهيم " إنك لم تعطنى نسلاً" (تك 15 : 3).. لكن ابرام لما طالت عليه المده لجأ إلى العمل البشرى وليس المشيئه الإلهيه .

قالت له زوجته ساراى " هوذا الرب قد أمسكنى عن الولاده .. أدخل على جاريتى لعلى أرزق منها نسلاً " (تك 16 : 2) .. فأخذ هاجر فعلاً ودخل عليها وللحال حبلت بابن .. اسماعيل .. لكن لكى تتم إرادة الله ..فهذا الشيخ الذى قارب المائة العام وزوجته بنت تسعين سنة أنجبا ولداً وهو اسحق بعد 14 سنه من مولد اسماعيل . وليس ذلك فقط فإن هذا الشيخ أخذ قطوره ,انجبت له مجموعه من الأبناء بعد ذلك بأربعين سنة !

*تجـربة اسـحق: (كما جاء في التوراه)

منح الله ابنا لإبراهيم هو إسحق ولما كبر قال له " خذ إبنك .. وحيدك الذى تحبه اسحق ..واصعده محرقة على الجبل الذى أقول لك عنه " (تك 22 : 2) .. كانت تجربه فوق الطبيعة – أكبر تجربه تمر بأب أنتظر هذا الابن كل هذا الزمان .. حتى ولد فى شيخوخته .. فكيف يذبحه بيده ؟! ولكن إبراهيم لم يكن يناقش الله .. بل يطيعه دائماً فبكر إبراهيم ... وأخذ معه حطب المحرقه والنار والسكين .. لكن الله منعه من ذبح ابنه .. واكتفى بطاعته ونيته الصادقه.

وقد كان فى هذا الزمن عادة التضحيه بالأبناء والأبكار ومع وعد الله لإبراهيم بالبركة .. فرض على المؤمنين عادة الختان فهو رمز للحياة الجديدة مع الله – ويختن الطفل الذكر دون الانثى مع اليوم الثامن لميلاد الطفل. وكما غير الله اسم ابرام إلى إبراهيم ... فقد غير اسم ساراى إلى ساره .. فساراى معناها (أميرتى) على لسان إبراهيم ولكن ساره يمعنى (أميره) ... لكل المؤمنيين.

*حدث وتأمل:

ظهر ثلاثة رجال لإبراهيم .. وقام بإستضافتهم .. وكان يخاطبهم بلغة المفرد (يارب) ... ووعد الشخص العظيم بين الثلاثة إبراهيم بأن يعطيه نسلاً من ساره بعد عام .. وضحكت ساره فعاتبها (الله) .. على ضحكها وعدم تصديقها لكلامه .. لكنها أنكرت أنها ضحكت .

ترك اثنان من الثلاثةرجال بيت إبراهيم متجهان إلى سادوم وبقى الثالث . ودار الحوار بينه وبين إبراهيم حول سادوم والتى قرر الله احراقها بالنار والكبريت لفسادها .. وشفاعة إبراهيم عنهم لدى الله وانتهت المناقشه أنه لايوجد أبرار فى هذه المدينه حتى يمكن أن يغفر الله ... وينهى عن احراقها .. علماً بأن لوطاً وزوجته وابنتيه كانوا فى سادوم .

والسؤال هو من كان هذا الرجل العظيم الثالث الذى كان يدعوه إبراهيم (يارب) ؟! ... إن الله لايظهر فى صورته للإنسان (لايرانى أحد ويعيش) .. ولم يكن ملاكاً .. لأن الكتاب وصف الشخصين الآخرين بأنهما ملاكان ؟!

*مــوت ســاره:

ماتت سارة فى قرية أربع التى سُميت فيما بعد "صبرون" وهى فى جنوب أرض كنعان بجوار بئر سبع – ماتت وعمرها 127 سنه ودُفنت فى مغارة المكفيله.

وتزوج إبراهيم بعد موت ساره بخمس سنوات من جاريه تدعى قطوره وأنجب منها ستة بنين.

*مــوت إبراهيم :

عاش إبراهيم بالإيمان وفى حياة صالحه ومات عمره 175 سنه ودفن أيضاً فى مغارة المكفيله بجوار ساره زوجته – وقد دفن أيضا فى ذات المغارة اسحق ويعقوب ونُقلت اليها عظام يوسف – وتضم نفس الحفاره اجساد رفقه وليئه زوجتى يعقوب .

إبراهيم فى الإسلام

يتسم الإسلام بالإيمان بوحدانية الخالق ، واحتضانه للنبى إبراهيم ، وإذا كانت معرفة اليهود لإبراهيم تتمثل فى كونه جداً ليعقوب مؤسس الأمة الاسرائيليه ، فإن المسلمين يعدونه واحداً من أربعة هم أهم الأنبياء قاطبة . وتصل طاعة إبراهيم لربه مستوى من النقاء يجعل محمداً يقول عنه إن رسالته ليست سوى إحياء لعقيدة إبراهيم – ونجد فى القرآن مشاهد من طفولة إبراهيم تتحدث عن لومه لأبيه لايمانه بالأوثان ، ونراه ينجو من النار مثل دانيال – لطاعته لربه " قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم " (الانبياء 69) . وفى قصة إجتياز إبراهيم لأعسر اختبار يتعرض له بشر ، يروى لنا القرآن كيف أنه حكى لإبنه مارآه فى المنام " قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماترى " ويجيبه " ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين". وفى سورة الصافات " فلما أسلما وتلّه ُالجبين وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا". والفعل الوارد هنا أسلم ، يسلم يخدم معنيين ، أن يُسلم الإنسان نفسه أو روحه ، وأن يسلم بمعنى أن يدخل فى دين الإسلام . ولاجتيازه هذا الامتحان العسير يقول الله تعالى فى كتابه " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً " (النساء 125) .

ولكن ليس كيهودى بل بشىء من الشبه ببولس الرسول ، نجد الإسلام ينتهى إلى أن الله يختار شعبه المفضل على أساس من الالتزام وليس الأنتماء العرقى أو القبلى ، بمعنى أن المنتمين بحق لإبراهيم ليسوا اولئك الذين من نسله بل الذين يصدقون به ، اى المسلمون ، ثم إن الله إذا كان فيما سبق قد اصطفى شعباً لعرقيته فإن هؤلاء قد خسروا حظوته عندما خرجوا عن طاعته وعبدوا العجل الذهبى كما هو وارد فى التوراه فى سفر الخروج ، عن اليهود.

وهناك مسألة ما إذا كان اسحق أم اسماعيل هو الإبن الذى ظهر فى منام إبراهيم . فبخلاف ماهو وارد فى التوراة من أنه كان اسحق فإن القرآن لايذكر هذا بالاسم ، ففى سورة الصافات " فبشرناه بغلام حكيم فلما بلغ فيه السعى قال يابنى إنى ارى فى المنام أنى أذبحك " وإن كان اسماعيل يرد ذكره فى غير هذا الموضع من القرآن بالطبع – ففى سورة البقره . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك واله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون " (البقره 133) .

ونجد المفسرين من المسلمين بعد موت الرسول بجيل ينتهون إلى أنه جاء من نسل اسماعيل الذى هو ابن الجاريه هاجر – ثم بعد ذلك يستقر الفقهاء على أن اسماعيل كان هو أيضاً الإبن الذى وضع السكين على عنقه .هذا الرأى هو الحلقة الأخيره ، ازالة صفة الشعب المختار عن بنى اسرائيل ، وبذلك لم يخسروا صفة الصفوة فحسب بل إن أباهم لم يعد محور هذه الدراما التاريخيه.

***الأبوة المتنازع عليها:**

عمد اليهود إلى تأكيد هوية إبراهيم اليهوديه – ونجد التلمود يصفه بأنه كان يتكلم العبرية ويطبق شريعة موسى مع ماينطوى عليه هذا القول من مفارقه زمانيه . ولجأوا إلى ذم اسماعيل واهالة صفات السوء عليه – يقول شاؤول مجيد ، استاذ علوم التوراه فى معهد اللاهوت اليهودى التابع لمدينة نيويورك ، إن اليهود كانوا قد اعتادوا تسمية أبنائهم "اشمعيل" بإسم الابن العربى لإبراهيم ،

ولكنهم أبطلوا هذه العادة عندما بدأوا يخضعون لحكم المسلمين . وفى القرن الحادى عشر نجد واحداً من كبار دارسى العهد القديم والشريعه اليهودية يكيل الاتهامات والإهانات فى تفسيراته وتعليقاته على التوراه .ونجد فى القرن الثالث عشر مفكراً مثل ابن كثير يرد على ذلك بالقول بأن اليهود قد دسوا اسحق فى قصة التواره عن رؤيا إبراهيم ، وأنهم فى ذلك "مفترون وكاذبون" وأنهم حشروا هذا حشراً على نصوص التوراة وتفسيراتها لأن اسحق أبوهم بينما اسماعيل هو أبو العرب ، وهذه المقولة تظل شائعة بين المسلمين حتى الآن. ويتمثل الخلاف فى أوضح صوره فى "ضريح البطاركه" وهو مبنى ضخم من الحجر شيده هيرودس منذ ألفى سنه. ورغم القول بأن الله قد نذر تلك البقعه لتكون موطناً لشعبه – حيث يذكر سفر التكوين ان إبراهيم دفع "العفرون" أربعمائة شاقل من الفضة نظير شراء كهف المكفيله – مقابل ممراً والمغاره التى فيها ، وجميع الاشجار القائمة فى ظل الحدود المحيطة به مُلِكاً لإبراهيم بمشهد من الحثيين وسائر الحاضرين فى مجلس مدينته (تك 23 : 17 - 18) ،اتخذ هذا الكهف فى الخليل ليكون قبراً لإبراهيم وساره – ونجد فى الكتاب المقدس أنهما دُفنا فى ذلك الموقع ومعهما اسحق وزوجته رفقه وحفيده يعقوب وزوجته الأولى ليئه.

وقد أقدم هيرودس على إقامة الضريح ليقينه بأن كل هؤلاء مدفونون فيه . وعلى مدى عدة قرون جرى المسلمون الذين يمتلكون الموقع ويسمونه "الحرم الإبراهيمى" – على السماح لليهود بأن يصلوا بالقرب من مدخله . وعندما استولى الإسرائيليون عليه عام 1967 مضى الفريقان يصليان جنباً إلى جنب .. إلى أن حدث فى عام 1994 أن إسرائيليا متطرفاً يُدعى باروخ جولد شتاين هاجم المصلين وقتل منهم تسعه وعشرين – وبعد ذلك تطورت الحيازة بحيث أصبح يصلى كل منهما فيه فقط فى أوقات مختلفة ودون أن يجتمعا معاً . ثم جاءت الانتفاضه واستمر الحال على ماهو عليه فقط تحول الموقع الى مايشبه الثكنة العسكرية وامتلأ بالأسلاك الشائكة ونقط التفتيش وأصبح علامة على تشابك التقوى والعبادة مع العنف والكراهية.

ويرى اليهود فى القرن الأول الميلادى أن اسحق كان هو الأخ الأصغر المضطهد ، وأن هذا الاعتقاد بقى حتى الآن وأن اسماعيل كان هو الأكبر والأشد وأنه فى رواية الذبح نجد أن اسحق لم يحاول المقاومة أو المناقشة لكنه استسلم للسكين صامتاً . وأن هذا يفسر مايرون منه عدوان المسلمين عليهم – بينما يرى المسلمون أن هذه المزاعم كلها وسائل لدى الآخرين ليبرروا استيلاءهم على الأراضى المقدسة.

***إبراهيم .. الأمل فى التوافق:**

يرى بعض المؤمنين فى الصفاء ومنهم مفكرون ينتمون للإنتفاضه ويرجعون بالنزاع إلى جذوره القديمه ، أنه إن كان هناك أمل فى التوافق فإن هذا يكون عن طريق إبراهيم الذى هو أبو الأديان الثلاثه ، بينما يوجه هذا الفكر بالمعارضه من أخرين .. الذين يرون أن الاتفاق بين اليهود والمسلمين مستحيل لأن كل منهما يقرأ نصاً يختلف عن الأخر وأن آدم قد يكون هو حلقة الوصل النهائيه .

وفى عام 1977 وقف الرئيس المصرى أنور السادات يخاطب الكنيست الإسرائيلى وأشار إلى إبراهيم بقوله " إبراهيم عليه السلام ، الجد الأكبر للعرب واليهود وأنه اقدم على هذه المبادرة لا من باب الضعف بل تعبيراً عن الإراده الحرة التى تحثها عقيده راسخة فى المُثُل التى تعطى للحياة دلالاتها العميقة " وقد وصلت رسالته إلى الطرف الآخر لكنه كان هو نفسه الضحيه هذه المرة ، وتعرض للاغتيال عام 1981 .

ثم جاء دور الرئيس الإيرانى المعتدل السابق محمد خاتمى ليقترح حوار الحضارات عام 1998 ، مرتضياً إبراهيم ليكون همزة الوصل. (وقد تبعه كوفى أنان مستخدماً نفس التعبير" . وعلق البعض على ذلك بالقول بأن خاتمى - وهو استاذ فى الفلسفة الشرقيه والغربيه – كان يريد أن يتخذ من إبراهيم موضعاً تختبىء وراءه نزعته نحو صورة للاسلام تتصف بالاتجاه نحو الإنسانيه وحرية الفكر، وهو مايتسم به الدين الاسلامى.

ثم تأتى الكنيسة الكاثوليكية بمبادأة ثيولوجيه أكثر دأباً – وقد ظل موقف المسيحيه ثابتاً تجاه إبراهيم – وذلك منذ إدانة جوستين ماتير لمسألة ختان الذكور – وإن كان اللاهوتيون المشاركون فى مجمع الفاتيكان الثانى (1962 – 1965)، متأثرين بذكرى الهولوكوست أعادوا قراءة رسائل بولس الرسول وانتهوا الى أن بولس يصف العهد الذى قطعه الله لليهود بأنه غير قابل للنقض ، ويقارن المسيحيين بالغصن الذى نبت تلقائيا لكن أعيد زرعه فى شجرة اليهوديه ، وقال قائل منهم إنه إذا اجتث العهد فإن الغصن سوف يهلك مع الجذور وسيصبح المسيحيون أيتاماً . وينتج عن هذا المجمع وثيقه تنزع نحو اضفاء صفه اليهوديه على إبراهيم.

أما البابا يوحنا بولس الثانى فقد عمد إلى أن يدس بين أحجار حائط الميكى بطاقة مكتوباً عليها " ياإله أبائنا ، أنت قد اخترت إبراهيم ونسله ليأتوا باسمك للأمم ... ونحن نريد أن ننذر أنفسنا للأخوة الصادقه بيننا وبين شعوب العهد".



الضحية

اسمــاعيل

2080 - 1943ق.م

وُلد اسماعيل من هاجر فى عام 2080 ق م. وقد وعد الله إبراهيم أن يبارك اسماعيل ويعطيه نسلاً كبيراً . وبعد أن ملأت الغيرة قلب ساره طردت هاجر وابنها .. وزودهما إبراهيم بخبز وماء واتجهت هاجر وابنها جنوباً نحو برية بئر سبع وتواصل التوراه روايتها أنه بعد أن فرغت قربة المياه وهما فى الصحراء بدأ اسماعيل يعطش فأجلسته أمه تحت شجرة ، وجلست تبكى وتصلى لله حتى ينقذها هى وأبنها ، وسمعت هاجر صوتاً من السماء يتحدث إليها وطمأنها بأن الله سمع صلوات اسماعيل وأنه سيحفظه ويباركه ويعطيه نسلاً كبيراً ويصير أمه عظيمة العدد. أرشد الله هاجر إلى بئر كانت قريبة منها فأخذت مايكفيها من الماء وواصلت المسيرة ، إلى أن وصلت إلى برية (فاران) فسكنت هناك هى واسماعيل الذى تعلم صيد الحيوانات – واختارت له أمه زوجة مصريه واستقر فى شمال سيناء.

أنجب اسماعيل اثنتى عشر إبنا ذكرهم الكتاب المقدس بالترتيب حسب سنى ميلادهم وقد صاروا رؤساء قبائل عاشت فى شبه الجزيرة العربية وامتد بعضهم شمالاً حتى دمشق والعراق وتملكوا الأراضى هناك وصارت لهم ثروة كبيرة من الماشيه ، لأن الله باركهم فى العدد والثروة. كون بعضهم قبائل مشهورة مثل بنايوت (سفر المكابين الأول 5: 25 ، 9: 35) وسكن البعض بين خليج العقبة والفرات ، كما سكنوا أيضا فى قيدار ، وكان منهم جشم العربى الذى قاوم نحميا (نحميا 2 : 19) وخرجت منه قبيلة قريش. ومات اسماعيل عن عمر 137 سنه.

***اسماعيل وبئر زمزم:**

" يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به إنس ولا شيىء " قالتها هاجر – عليها السلام – مراراً وجعل لايلتفت إليها .. فقالت له الله أمرك بهذا فقال الخليل نعم : قالت أم اسماعيل إذن لا يضيعنا الله ورجعت إلى المكان الذى تركهما فيه . وانطلق إبراهيم حتى إذا ماوصل عند الثنيه حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا دعوته المباركه رافعاً يديه إلى السماء قائلا: " ربِّ إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وإرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون"

بقيت أم اسماعيل ترضع وليدها الجائع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا مانفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها أخذت تهرول فى ذلك الوادى بين الصفا والمروه سبع مرات وهى تدقق النظر أعلاهما لعلها تجد من يغيثها ، وإذا بها تسمع صوتاً يناديها أرسله الله " فضرب جبريل الأرض فظهر الماء .. حتى إذا بلغت موضع طفلها رأت الماء وقد تفجر من تحت قدميْ الصغير وهو يحث يعقبه حتى ظهر الماء فأخذت أمه هاجر تحوضه بيديها وهى تغرف منه الماء فى سقائها مرددة (ياماء زم ..زم) فقال لها الملاك : لاتخافى الضيعة فإن هاهنا بيت الله سيبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لايضيع أهله – وكان البيت مرتفعاً من الأرض الترابية – حيث كانت السيول تأتى فتأخذ عن يمينه وعن شماله وظل كذلك.

كان ظهور ماء زمزم فى سنة 2572 قبل ميلاد الرسول محمد (صلعم) وتقع البئر بالقرب من الكعبة المشرفة ولها فتحة الآن تحت سطح المطاف على عمق ستة أمتار ونصف ويوجد حجر دائرى الشكل كُتب عليه بئر زمزم ... وهناك ثلاثة عيون تغذى البئر تفتح فى جداره على عمق 13 متراً .. وقد ظلت زمزم فترة طويلة عبارة عن حوضين الأول للشرب والثانى للوضوء. والبئر محاطة بسور بسيط البناء – وظل هذا الحال طويلاً حتى عصر أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى الذى يُعد أول من شيد قبة فوق زمزم عام 145 هجرية وكساها بالرخام. جاءت هذه المعلومات في مقال للأستاذ حسن عاشور بجريدة الأهرام .

اسحق

2066 – 1886 ق م

ورث اسحق البكورية كما ورث أيضاً كل ماكان لإبراهيم وأصبح رئيساً للعشيرة، وكاهناً للأسرة بعد موت أبيه . عاش اسحق حياة هادئة وديعة بعيدة عن النضال طوال حياته ، وحتى فى طفولته وأثناء تقديمه كذبيحة كما جاء فى التوراه، فلم يقاوم بل استسلم لمشيئة أبيه والله . ولم تكن لاسحق بنية صلبة ولا روح المغامره أو المقامره، فإذا نازعه جيرانه الفلسطينيون على أرض كان يتركها لهم وإذا ردموا أو استولوا على بئر تركها أيضاً مثل بئر عسق وبئر سطنه – وعوضه الله ببئر "رحوبوت" .

أما قصة زواجه من "رفقه" فقد كانت قصة زواج تقليدية حيث بعث عبده أليعازر إلى حاران ليخطب له رفقة من أبيها بنوئيل وأخيها "لابان" وقد أحضرها إلى حبرون حيث تزوجها وعاش كأبيه بدوياً يسكن الخيام ويرتحل فى الصحراء ضارباً خيامه وراعياً قطعانه . وبعد عشرين عاماً بدون نسل أعطاه الله توأمين يعقوب وعيسو ، كان عيسو صياداً برياً ذا طباع خشنة .. أما يعقوب فقد اتسمت طباعه بالهدوء وخوف الله.

أنتقل إسحق إلى وادى جرار وصار غنياً (تك 26: 1-17) وأعاد حفر آبار المياه التى حفرها إبراهيم بعد أن طمسها الفلسطينيون وعاش اسحق معظم حياته فى ركن من الصحراء شمالى غرب النقب وقرب حبرون مدينة أبيه ومات عن عمر يناهز المائه والثمانين.

الشـرق الأدنى القديم فى عصر الآباء

يعنى بعصر الآباء عصر ابراهيم واسماعيل واسحق وتقع أحداث العهد القديم فى منطقة الشرق الأدنى والتي كانت تضم ثلاث مناطق رئيسية .. وهى منطقة مابين النهرين أى العراق حالياً وأرض كنعان وثالثاً مصر.

***مصر فى عصر الآباء:**

حضارة مصر من أقدم الحضارات فى التاريخ وقد نشأت متزامنه تقريباً مع حضارة مابين النهرين . وكانت أسس بناء الحضارة متوفره فى مياه النيل وصخور الصحراء ومعادنها . كما كان لنهر النيل فضل كبير لربط شمال البلاد بجنوبها والتنقل فوق مياهه بقوارب صنعت من البردى – وكانت تعتمد على تيار المياه فى اتجاهها نحو الشمال وعلى قوة الرياح عندما تتجه نحو الجنوب . وكانت تربط مصر بأرض كنعان طرق عبر سيناء كما كانت الأودية تربطها بالبحر الأحمر.

وكانت مصر بخيراتها ملاذا للهروب من المجاعات التى كانت تداهم أرض كنعان وقد عُثر على الكثير من النقوش التى تصور الأسيويين الرحل يمتطون الحمير قادمين الى مصر بحثاً عن الطعام . وقصة التوراة تبين أن ابراهيم كان من بين هؤلاء القوم.

واكتشف المصريون طرق الكتابة وكانت وظيفة الكاتب وظيفة مرموقة في الدولة وتقدموا فى علوم الفلك والطب وعلم التشريح وقاموا بإجراء عمليات جراحية ونجحوا نجاحاً مرموقاً فى فن التحنيط.

وكان المصرى القديم يؤمن بإلاله الواحد والذى تتجسد قدراته فى عدة الهه متخصصه – وهذا الإله الواحد يتسم بالأزلية وهو خالق كل الأشياء كما جاء فى أحد التسابيح " انك لا تكف عن جذب ملايين الأشكال فى ذاتك فى حين انك باق فى وحدانيتك ، إن المخلوقات تعيش بأنفاسك، انت الاله الازلى هذا هو" اسمك" – ووصلت عقيدة الوحدانيه والإله الواحد إلى ذروتها فى عهد اخناتون والذى شيد معبداً فى تل العمارنه لعبادة الاله الواحد "أتون" الشمس .

كان عهد ابراهيم عليه السلام يعاصر عهد الاضمحلال الأول فى الحضارة الفرعونيه بعد أن انهارت الاسرة السادسه واستمرت هذه الفتره من الأسرة السابعة حتى الأسرة العاشرة والتى تقع مابين عام 2423 الى عام 2065 ق م . حيث تفككت وحدة البلاد وحاول حكام الأقاليم البعيدة على الأخص الاستقلال بأقاليمهم بعيداً عن العاصمة الضعيفة حيث تلاشت القوة المركزية – ورزحت البلاد تحت عبء ثقيل من الفوضى وزالت قداسة الفراعنة ونبُشت قبور من مات منهم . حتى الأخلاقيات والتمسك بالتقاليد وخشية الدين .. كل ذلك انهار وعم البؤس والفقر فى أنحاء البلاد.

وفى هذه الظروف قامت ثورة عاتية من الشعب قضت على كل شيىء وأنتهت بأن اكلت نفسها . وقد طال هذا العصر حتى بلغ حوالى ثلاثة قرون . وعندما تضعف السلطة وتفقد السيطرة على الأمن الداخلى تفقد أيضاً السيطرة على حدودها وتفتح الطريق أمام الغزاة ، وهذا ماحدث بالفعل حيث تم غزو الدلتا وجزء من شمال مصر الوسطى بواسطة غزاة من الشرق من الساميين .. كما تعرضت مصر أيضاً إلى غزوه من الجنوب ... ويرى بعض المؤرخين أن الدم الذى يجرى فى عروق بعض أسرات هذه الحقبة له أصل نوبى – من دراسة لون هؤلاء الملوك وبشرتهم ولعل فتح باب مصر الشرقى لغزاة ونازحين جعلِ الطِريق ممهداً ومطروقاً للهجرة إليها حيث تقول التوراة " وحدث

جوع فى الأرض كان شديداً جداً " فنزح إبراهيم إلى مصر . لكن بسبب خوفه من أن يقتله المصريون طلب من ساراى زوجته أن تنكر أنها زوجته .. بل أخته – ويدخل أرض مصر وبسبب جمال وحسن زوجته طلبها فرعون لنفسه (كان عمرها فى ذلك الوقت حوالى السبعين !!) – ولما اكتشف فرعون حقيقة أمر ساراى وأنها زوجة إبراهيم لامَهُ لأنه تعرض لغضب الله ... " فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة إبراهيم " (تك 12 : 17) ... هل ماحدث من خراب لمصر فى هذه الأونة له علاقه بما جاء فى العهد القديم حول هذه النقطة وانتقام الله من فرعون وبيته ؟ لا أظن ذلك لأن الباحثين أفادوا بأن إبراهيم عند دخوله مصر كان عمره 75 سنه ، معنى ذلك أن الفترة التى دخل فيها إلى مصر كانت حوالى 2091 ق م . وهى تعاصر الاسرة الحادية عشر .. (2065 –2000 ق م)، كان فرعون مصر انذاك منتوحتب الثانى وهو أول حاكم سجل اسمه فى هذه الحقبة بعد انقطاع خط الملوك الحقيقيين منذ نهاية الأسرة السادسة . وذكر اسمه فى بردية تورين وفى جدول سقاره وأيضاً فى قائمة أبيدوس – كما جاء فى كتاب " مصر " للدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم . ومن عصره لوحات تمثله وهو يضرب النازحين من ليبيا والنوبة وآسيا الرحل فى شرق الدلتا . وقد عمل فعلاً على توحيد البلاد وقضى على المملكة الأهناسية وتغلغل إلى الدلتا واستطاع أن يعتلى عرش مصر الموحدة على أنقاض الأسرة العاشرة . ولأنه ملك من الجنوب تجرى فى عروقه دماء نوبيه وينجح فى توحيد مصر العليا ومصر السفلى معاً ، كان هذا تغييراً لمصر الوسطى التى نظرت إليه كشخص فيه وحشية بربرى الطبع . فكان له ست من الزوجات تحمل كل منهن لقب " الزوجة الملكية الوحيدة المحبوبة " – فكانت حريم الملك وتعدد زوجاته سبباً فى اشمئزاز المصريين لعدم تعودهم على ذلك التصرف من الملوك . وكانت " مابيت " صغراهن لايزيد عمرها عن خمس سنوات ويقال إن جميع الزوجات قتُلن عند وفاة الملك ليؤنسن وحدته بعد موته وهى عادة بربريه .

أما مدة حكم هذا الملك فقد اختلفت فيها الآراء فبينما نجد " بيترى" Petrie فى كتابه يقدر لها خمس سنوات ، إلا أن " ويجال " Weigall يقدرها فى كتابه بخمس وعشرين سنه . وعليه فإذا كانت مدة حكمه خمس سنوات فقط فقد يكون إبراهيم قد عاصر منتوحتب الثالث . وفى عصر هذا الملك بلغت الاسرة ذروة مجدها وقوتها ونجاحها واستمر حكمه 46 سنه . وترك عند موته دولة استتب فيها النظام والإداره مع ازدهار طيبه.

وجاء بعده منتوحتب الرابع الذى أكثر من العمران وشيد الكثير من المعابد وأرسل بعثة الى بونت - ويظن أنه استمر فى الحكم عامين فقط ... تربع على العرش بعده منتوحتب الخامس والذى مات بعد أربع سنوات – وأنتهت الأسرة بموته.

ومع بداية عصر الدولة الوسطى عادت مصر إلى قوتها وامتدت بحدودها إلى النوبة وبسطت نفوذها فى سوريا وكنعان.

وفى هذا العصر اكتشفت الثروات المعدنيه فى سيناء واتسعت التجاره مع البدو الساميين فى كنعان والجزيرة العربية – ولكن بنهاية الاسرة الثانية عشرة أخذت الدولة فى الانحطاط والتدهور ، فقد أحتل الهكسوس مصر عام 1683 ق م وهم غزاة ساميون من أصل اسيوى . وبسبب تفوقهم فى المركبات الحربية التى تجرها الخيل وآلاتهم الحربية المتطورة اخضعوا شمال مصر لنفوذهم وتمكنوا من تثبيت حكمهم فى صا الحجر فى الشمال الشرقى للدلتا . والهكسوس إداريون ممتازون ولذلك نشأت بينهم طبقه احتكرت لنفسها الثروات وأمتد نفوذهم إلى كنعان وأنشأوا فيها مدناً

وحصوناً مازالت آثارها باقية فى أريحا وشكيم وغزة وحاصور – وأتوا بآلهتهم الساميه إلى مصر وفى حكمهم اتسعت التجارة بين مصر وسوريا وكنعان ، وظلوا فى الحكم إلى أن طردهم أحمس سنة 1575 ق م .

وقصص الآباء تتفق بدرجة كبيرة مع تاريخ مصر .. فقد كانت مصر بخيراتها وقربها من كنعان ملاذاً للهرب من المجاعات والقحط والجفاف الذى كان يصيب أرض كنعان . وقد وجدت نقوش كثيرة عن أسيويين تجار يدخلون مصر سعياً وراء الطعام . وفى بنى حسن (300 كيلو جنوب القاهرة) رسوم ملونة على مقبرة أحد النبلاء تُظهر جماعه من التجار الساميين يركبون الحمير آتين إلى مصر وترجع لسنة 1890 ق م وهو زمن مقارب لعصر الآباء – ويُحتمل أن يكون إبراهيم بين هؤلاء القوم وحضر إلى مصر فى هذه الأثناء (تك 12 : 10) – والصورة تعطى أشكالاً واضحة للملابس التى كانت ترتديها أسرة إبراهيم – وكذلك القميص الملون الذى صنعه يعقوب لابنه يوسف (تك 37 : 3) – وعلى مقبرة أحد النبلاء نقش جاء فيه " ثم جاءت سنوات القحط وقد وفرت الغذاء لرعايا فرعون " ؟!! .

كما وجد فى كتابات نوزو قائمة أعلاف لحيوانات مستأنسة ومن بينها الجمل كما اكتشفت فى " تل الحريرى " (أو مارى على نهر الفرات) عظام جمل فى بعض الحفائر . وهذا الحيوان الجمل جاء ذكره فى قصة زواج اسحق (تك 24 : 44) ، وفى قصة راحيل (تك 31 : 34)

***أرض مابين النهرينMesoptamia:**

اصطلاح يطلق على العراق ، حيث تنحصر بين نهرىْ دجله والفرات ، وقد جاء ذكر هذين النهرين فى سفر التكوين حول عدن والنهر الذى كان يجرى فيهاوينقسم إلى أربعة أنهر ، فيشون وجيحون ، وحداقل والفرات – وجاء أن نهر حداقل يجرى شرق أشور وغالباً هو نهر دجله . وأهمية دراسة هذه المنطقه بالنسبة لتاريخ العهد القديم تأتى من ذكر مدينة " أور الكلدانيين " الواقعة فى تلك الأرض والتى كان يسكنها أسلاف إبراهيم أصل الشعب العبرانى . وهذه الأرض خصبه ... يرويها النهران الكبيران اللذان ينبعان من مرتفعات تركيا . ويبلغ طول نهر دجله نحو 1100 ميل ويهبط من منبعه نحو السهول فى الجنوب ، أما نهر الفرات فيتخذ لنفسه مجرى ملتوياً متعرجا لمسافة 1700 ميل ، بفياضات هائلة. ويلتقى النهران بالقرب من الخليج الفارسى حيث المصب.

وفى منطقة مابين النهرين نشأت أعرق الحضارات ، وترجع إلى الألف الخامسة ق م ، حيث أستقرت بها شعوب عاشت فى قرى مبعثرة ، وأخذوا يطورون أنظمة الرى والزراعة وصيد الأسماك وتربية الماشية كما عملوا بالتجارة – وتميزوا فى صناعة النسيج والخزف وفن البناء كما استخدموا قوارب من البوص كوسيلة للانتقال واكتشفوا أقدم عربة تجرها الخيل عُرفت فى التاريخ ، بعد أن نجحوا فى ترويض الخيل.

***السومريون:**

وحوالى عام 3500 ق م وصل إلى هذه الأراضى شعوب غير سامية الجنس يسمون السومريون ، وقد اتوا من أواسط أسيا حيث اشار إليهم سفر التكوين " وجدوا مكاناً فى أرض شنعار واستقروا هناك " (تك 11 : 2) . وشنعار هى ماتعرف بأرض سومر (بوادى الرافدين جنوب العراق) وقد تطورت الحضارة السومرية .. فشكلوا الطوب المجفف بأشعة الشمس وبنوا به الأسوار العالية حول مدنهم ، وداخل هذه الأسوار شيدوا أبنية مرتفعة ذات سلالم وعلى قمتها المعابد والتى كانت لهم ملجأً

من الفيضانات والسيول . ولكن الحروب والتنافس أضعف السومريين مما جعلهم صيداً لقبائل رحل أتوا من الشمال وينحدرون من أصل سامى ويحكمهم الملك سرجون الثاني الذى حكم أولاً فى كيشن التى تبعد 25 كيلو جنوب شرق بابل ، ثم انتقل إلى عاصمة جديدة فى "أكّد" وأسس الأسرة الأكديه سنة 2350 ق م التى حكمت سومر وامتدت حتى البحر المتوسط ... وازدهرت حضارتهم وتناثرت المدن فى أور ، وبتور ، وسومر ,اوروك ومجش وكيش .

***أور:**

أو كما تُذكر اور الكلدانيين – مسقط رأس أبينا إبراهيم ، تقع هذه المدينة على مسافة ستة أميال من الشاطىء الغربى لنهر الفرات وكانت المدينة مزدهرة أيام أسلاف إبراهيم ، وتعد حضارتها من أعرق الحضارات القديمة ، وكانت تتميز بمبانى ذات طابقين . وكانت العبادة السائدة هى عبادة القمر . وقد كشف سير ليناردوولى عام 1922م فى اطلال " مغير " مكان أور القديمه ، كشف عن مقابر ملكية وكنوز وتحف ملكية ومجوهرات وأوان فخارية , واسلحة . كما وجد نقوش على لوحات فخارية للموازين والمكاييل وكذلك مصطلحات طبية ومنسوجات ومعلومات ألقت الضوء على الخلفية التاريخية فى هذه الحقبة .. عن الحالة الثقافية والاجتماعية وعلى طريقه المعيشه التى كان يمارسها إبراهيم وعائلته فى أور.

ومع كل هذا التقدم فى تلك المنطقة الاَّ أن قاطنيها انخرطوا فى عبادات وثنية .. بعضها يتسم بالقسوة مثل المذابح البشريه .. حيث كان عند موت أحد الملوك يُقتل نساء القصر وفرقة الجنود المصاحبة له . وقد عثرت بعثه استكشافية يقوم بها " وولى " فى أور على مقبرة جماعيه يرقد فيها 74 من الضحايا البشرية الذين قُدموا ذبائح . وهذا يبين لنا أنه حينما أمر الله ابراهيم أن يقدم ابنه ذبيحة لم يكن الأمر غريباً على مسامع إبراهيم إذ كانت تقدمة المحرقات من الذبائح البشرية عادة منتشرة أيامها.

وفى نهاية القرن الواحد والعشرين ق م ، استطاع السومريون أن يؤسسوا الاسرة الثالثة فى أور ، وأسس أشور مملكته عام 1900 ق م وفى سنة 1750 ق م أسس حمورابى الامبراطورية البابلية والتى استمرت حتى عام 1595 ق م .

***كنعان فى عصر الآباء :**

تطلق تسمية كنعان على فلسطين ولبنان واسرائيل حالياً – وبسبب موقعها المتوسط بين مصر والعراق ، ظهر لها دور بارز – حيث يخترق أرضها طريق البحر الساحلى وكذلك الملكى الداخلى ، لذا كانت كنعان ممراً للجيوش العابرة ، وشيدت حول مدنها الحصون خاصة فى غزة وشكيم ومِجُّدو .. وكانت أرضها مفتوحة لهجرة قبائل الشمال ، فكانت دائماً تحت نفوذ أجنبى.

وتمدنا رسائل تل العمارنة بمعلومات غنية عن كنعان فى زمن إبراهيم وأن ارتحال إبراهيم صاحبه بداية حركة هجرة تزايدت مع الأيام – وأن كنعان فى زمن الآباء كانت بها مدن مأهولة بالسكان مثل دوثان وجرار وشكيم وبيت إيل – وكانت الأشجار الكثيفة تغطى مساحات واسعة وهو وصف يتفق مع قصص التوراه .. وقد اكتشف أهرونيلد سنة 1969 فى بئر سبع آباراً ترجع إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وبئراً يصل عمقه إلى 50 قدماً وبجانب هذه الآبار توجد أحواض تستقى منها القطعان مما يذكرنا بقصة سقى عبد إبراهيم لجماله وهو فى طريقه لاختيار عروس لاسحق – كما

أن انتشار الآبار فى المنطقه يشهد بأن المكان الذى سكنه الآباء كان منطقه آبار (تك 21 : 31 ، 26 : 18) ، وعاش ابراهيم متنقلاً بينها فى حدود حياة القبيلة.

وقد صاحب عصر إبراهيم انتشار لقبائل الأموريين والحوريين وبعض القبائل العربية . وقد حدثت حركات هجرة لقبائل سامية تقطن شمالى بابل .. توجهت إلى كنعان بعد أن دمر حامورابى عاصمتهم مارى Mari أو تل الحريرى (تك 1 : 16) – وكذلك نزحت إلى كنعان قبائل الحوريين (الحويين) تك 14 : 16 ، والذين أسسوا عاصمتهم فى نوزو Nuzu جنوب شرق نينوى. استمرت هذه القبائل تتدفق كجماعات إلى كنعان بعد أن هجروا الصحارى بحثاً عن أرض يزرعونها ووطن يستقرون فيه . ومرت فترات اتسمت بالانقسام والضعف والفوضى عاصرت حياة الآباء لكن مع فجر الألفيه الثانية قبل الميلاد حدث استقرار وبدأوا فى بناء المدن . وكانت مصر تسيطر بنفوذها على كنعان خاصة السهول الساحلية وغزه ، والتى كانت ترسل الامدادات وتصد الغزاة من الحيثيين .

***ارام:**

تشمل ارام سوريا وشمال فلسطين وهى الجار المتاخم لكنعان ومحط رجال الآباء – ويرجع أصل الاراميين إلى الجنس السامى ويرى بعض المؤرخين انهم بدو هاجروا من شبه الجزيره العربيه . وكانت لهم ثقافة وحضاره متميزة . وكان الفن الآرامى خليطاً من فنون جيرانه الحيثيين والفينيقيين ومابين النهرين واشتركوا معهم فى عبادة آلهتهم البعل وعشتاروت وكانت تماثيلهم ضخمة وذات شكل قبيح.

أما فدان آرام (تك 25 : 20) فهى الجزء الشمالى الغربى من ارض مابين النهرين وهى المنطقة التى يحدها الفرات من الغرب ونهر خابور من الشرق وتقع فيها حاران حيث عاش الآباء (تك 24 : 10).

صورة للحياة فى عصر الآباء

*التوريث:

كانت قوانين نوزو تبيح التبنى والذى كان شائعاً بين الازواج المصابين بالعقم . وكانت القوانين تبيح أن يتخذ وريثاً من العبيد – وكما جاء فى التوراة أن إبراهيم اتخذ من اليعازر الدمشقى العبد وريثاً له للأرض . وكان على العبد أن يعتنى بسيده ويقوم بدفنه عند موته وأن يرث كل ممتلكاته وان يحافظ على اسم العائله – أما إذا انجب سيده بعد ذلك فالأبن يقوم بكل هذه الإجراءات ويصبح هو الوارث الشرعى . (تك : 15 : 2 – 4).

*الزوجة العاقر :

أعطت سارة جاريتها هاجر لإبراهيم لينجب منها نسلاً ، وتكرر ذات الحدث مع يعقوب وراحيل حيث أعطته بلهة جاريتها ، وهى تصرفات تساير قوانين ذلك العصر . وكانت شريعة نوزو وحمورابى تنص على أن الجارية التى تنجب ابناً لسيدها لا تحل فى البيت محل الزوجة العاقر وفى الوقت نفسه ليس للزوجة الحق فى طرد الجارية وابنها . وبطرد سارة لجاريتها وابنها تكون بذلك قد خالفت قانون نوزو ، لذلك كان إبراهيم شديد التخوف من هذا الفعل.

*البيع والشراء:

أظهرت اللوحات التى اكتشفت فى بوغاز كوى عاصمة الحيثيين ، وثائق ملكية وعقود بيع وشراء – تلقى الضوء على قصة بيع مغارة المكفيله التى اشتراها إبراهيم من عقرون الحثى ليدفن فيها ساره (تك 23 : 11 – 20) وبحسب القانون الحثى كان على كل من يشترى كل ملكية البائع عليه أن يقدم خدمات إقطاعيه عند انتقال الملكيه إليه ولايلتزم بتلك الخدمات اذا اشترى جزءاً فقط من الملكية . وهذا يفسر رغبة إبراهيم بشراء جزء فقط من الملكية ليتجنب أى التزام – ولكن عقرون كان يريد أن يتخلص من الأرض كلها . لذلك لم يقبل إلاّ بالبيع الكامل مما أدى إلى التزام إبراهيم بالمسئولية الإقطاعيه وتمت الصفقة مقابل أربعمائه وزنه من الفضه ، وكُتبت قائمة بالأشجار التى فى الأرض وكان البيع أمام شهود.

*العقائد الوثنيه:

ذكرت لوحات نوزو الكثير من أسماء الألهة ومنها إلهة خاصه بالعائله من بينها اسم التيرافيم ، وكان اقتناؤه فى العقائد القديمة يجلب الحظ والنجاح والمال – وهذا ماجعل (لابان) يغضب عند اكتشافه سرقة آلهته من بيته (تك 31 : 30).

*الخطبة والزواج:

قدم اسحق لرفقه هدايا عن طريق عبده (تك 25 : 33) وتعتبر قوانين حامورابى أن الهدايا تكون ملكاً لأهل العروس وقد تكون هذه الهدايا حلياً أو أوانى ذهبيه أو ثياباً أو فضة.

*بيع البكوريه:

كانت البكوريه ميراثاً ، والابن البكر هو زعيم القبيلة بعد موت أبيه – وكانت شرائع نوزو تسمح بمقايضه البكوريه ، وهذا يفسر ماحدث بين يعقوب وعيسو (تك 25 : 12) .. حيث اشترى يعقوب البكوريه من عيسو بأكله عدس.

*الوصية:

من بين شرائع نوزو .. أن رب العائله فى ساعته الأخيره له الحق فى أن يضع وصية تعتبر وثيقة قانونيه – وهذا ماجعل يهوذا رأساً للعائلة بدلاً من رأوبين البكر بناء على وصية يعقوب (تك 35 : 23 ، 49 : 9).

*نوزو:

أو نوزى ، مدينة تقع فى أرض بين النهرين جنوب مدينة كركوك بالعراق (حالياً) . وأيام الأكاديين (2334 – 2154 ق م) كان موقعها يسمى (جاسور) وتغير اسمها بعد ذلك الى نوزو عام (1500 ق م) بعد أن سيطر عليها الحوريون ثم ذابت بعد ذلك عام (1350 ق م) فى الامبراطوريه الأشوريه . وفى عام (1925 ميلاديه) تم اكتشاف بقايا هذه المدينه وعثر على أكثر من 4000 مخطوط فخارى باللغه الاكاديه ، وآثاراً ضاربة فى القدم الى ماقبل التاريخ (د. ادوارد شييرا).

وتضم المخطوطات القوانين التى كانت تحكم هذه المنطقه والعادات والتقاليد ، وألقت الضوء على قصة سيدنا ابراهيم والتبنى ، وقوانين البيع والشراء والتَملُك كما أوضحت ما جاء فى قصة لابان ويعقوب ، وخطبه يعقوب وهداياه لراحيل ، وسرقه راحيل لأصنام والدها ، عند هروبها ويعقوب

من منزله ، ومدى اهميه الاحتفاظ بهذه الاصنام (تيرافيم) وماتضفيه من اهمية وعلو شأن من يقتنيها.

يعقوب

(2006 – 1859 ق.م)

" حبلت رفقه .. وتزاحم الولدان فى بطنها " (تك 25 : 22) كان عيسو هو السابق وخرج من بطن امه أولاً وتلاه يعقوب ، وصار عيسو حسب الميلاد هو البكر - ويعقوب صار نسله شعباً وكذلك عيسو . والتوراة تصف عيسو بأنه كان صياداً ماهراً اشتهر برميه للسهام ، وزخرت حياته بالاختيارات التى أساء اختيارها فقد باع حقوقه لأخ أكبر لإرضاء شهواته . وهو جد الأدوميين .

أما يعقوب فهو أبو أسباط إسرائيل الاثنى عشر وكان غنياً جداً ذا عزيمة قويه . وبعد أن سلب أخاه البكورية والبركة ، خاف منه وهرب فى البريه وحين أصابه التعب وقد غابت الشمس" صادف مكاناً وبات هناك. لم يكن هناك فراش ولا وساده يسند عليها رأسه ، فأخذ حجراً من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه واضطجع فى ذلك المكان " (تك 28 : 10 ، 11) – ورأى فى الحلم سلماً منصوباً الى السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليه والرب واقف يخاطبه ويباركه. وقام يعقوب بتدشين هذا المكان . " وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه ودعا ذلك المكان بيت أيل " (تك 28 : 18 ، 19) . ومنذ ذلك اليوم أصبح إسمه اسرائيل بدلاً من يعقوب .

ثم أكمل يعقوب رحلته إلى حاران حيث ذهب إلى خاله لابان ليتزوج ابنته راحيل ولكن خاله أعطاه أختها ليئه ثم تزوج أيضاً بعد ذلك براحيل التى أحبها – ومكث يعقوب عشرين عاماً يخدم خاله نظير زواجه من ابنتيه وكذلك نظير امتلاكه لمواشيه . وعندما أراد يعقوب العودة الى وطنه دبر خطة للهروب من خاله .. فأخذ أمرأتيه ومواشيه واتجه نحو تلال جلعاد ثم جنوباً إلى محنايم ثم فنئيل حيث تصالح مع أخيه عيسو الذى فارقه إلى ادوم .. وسار يعقوب إلى سكوت وهناك بنى بيتاً لأسرته وشيد مظلات لقطعانه (تك 33 : 17).

وواصل يعقوب رحلاته واستهوته شكيم واشترى بها قطعه أرض من حمور – لكن فى تلك المدينه اغتصبت ابنته ليئه وانتقم اولاده من شكيم وكل أهل بيته.

***نسل يعقوب أو الأسباط:**

رأى الرب أن ليئه مكروهة ففتح رحمها ، أما راحيل فكانت عاقراً (تك 29 : 31) والأربعة بنين الأول الذين رُزق بهم يعقوب ولدتهم له ليئه ، كان الأول رأوبين ثم جاءت بشمعون والثالث لاوى الذى صار من نسله كهنة بنى اسرائيل كما ولدت يهوذا الذى صار منه ملوك بنى اسرائيل والذى جاء منه المسيح . الى هذا الحد غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب " هوذا جاريتى بلهه أدخل عليها فتلد على ركبتى وارزق أنا أيضاً منها بنين " (تك 30 : 3) ورُزق يعقوب من بلهه ابنان هما دان ونفتالى.

ثم دخلت معها اختها ليئه ميدان التبنى بإبن تلده جاريتها زلفه وأعطتها ليعقوب زوجه فولدت له ابنيين جاد و أشير ثم جاءت ليئه بإبنها الخامس يساكر والسادس زبولون وكذلك الابنة الوحيده ليعقوب وهى دينه.

وأخيراَ فتح الله رحم راحيل وولدت يوسف وحملت للمره الثانيه وكانت ولادتها متعسرة وماتت أثناء انجابها لأصغر أبناء يعقوب بنيامين.

وفى صراع الإنجاب بين الزوجتين أنجبت ليئه ستة بنين وابنة وكل جارية أنجبت ابنين، اما راحيل فقد انجبت ابنين وماتت . ودفنت راحيل فى طريق افراته التى هى بيت لحم.

كانت حياة يعقوب صراع كلها.. صراعً مع اخيه عيسو وصراعً مع خاله لابان وصراعً أيضاً مع زوجتيه ثم بين أبنائه وشكيم ، والصراع بين ابنائه وأخيهم يوسف لذلك كان يتكلم من قلبه ومن خبرات حياته حينما قال لفرعون " أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة – قليلة ورديه كانت سنى حياتى " (تك 47 : 9).

وقد عاش يعقوب حياة غير هادئه على النقيض من حياة أبيه اسحق الذى عاش في ركن من النقب ، فقد جال يعقوب فى الأرض وعرف الشرق الأدنى القديم فيما وراء الفرات شمالاً حتى دلتا وادى النيل بمصر – وقد امتد به العمر إلى مئه وسبع وأربعين سنه قضى سبعة عشره عاما الأخيره منها فى مصر ونعم بخيراتها وعاش فى قصورها مع يوسف ابنه .. ورأى اهراماتها العظيمة لكنه لم يشأ ان يدفن فى مقابر وادى الملوك فى طيبه بل كانت وصيته ان يرقد بجوار آبائه فى مغارة المكفيلة مع عظام الاباء – وعهد إلى اطباء فرعون بتحنيط جثته على طريقة المصريين وحزنت مصر على يعقوب سبعين يوماً ، وسارت جنازته فى موكب رهيب كعادة ملوك الفراعنة، وحمل التابوت الفخم من مصر الى كنعان ليدفن فى مغارة المكفيلة فى حبرون (تك 50 : 13) . ويعتقد البعض ان جثة يعقوب قد تكون بحاله سليمه حتى الأن اذا تم الوصول اليها حيث جاء فى التوراه ان المصريين قاموا بتحنيطه.

يوسف

1915 – 1805 ق م

ولد يوسف فى حاران حيث كان يقطن أبوه عند خاله لابان – ولأنه كان الابن الأصغر فقد عاش مدللاً من أبيه وأمه راحيل – وكانت أخلاقه مميزة وبعيدة عن العنف كحال إخوته . وبسبب حب أبيه له غار منه إخوته خاصة بعد أن البسه والده قميصاً ملوناً دونهم . وبينما كان إخوته يسعون وراء العشب فى نواح عديده من شكيم ودوثان أرسل يعقوب نجله يوسف ليتفقد إخوته ويطمئن عليهم ، لكن القصة بعد ذلك معروفة حيث قبض الأخوة عليه ورموه فى بئر ثم بيع كعبد إلى الاسماعيليين ثم المديانيين وهما قبيلتان عربيتان تسكنان الصحراء ويشتغلان بالتجارة . وقد اكتشفت بعثة آثار امريكية فى سنة 1953 بئراً فى دوثان عمقها ثلاثة أمتار يُظن أنها بئر يوسف (والله أعلم).

بيع بعد ذلك يوسف عبداً فى مصر . ووصل إلى بيت فوطيفار (العزيز) والذى استحسن أخلاقه وأمانته حيث تقول التوراه إن "يوسف " وجد نعمة فى عينى سيده فوكله على كل بيته وعلى كل ماكان له " (تك 39 : 40) . وحدث أن أمرأة سيده أحبته وأغرته لكن يوسف حفظ عفته وطهارته وترك لها ثوبه فى يدها وهرب فما كان منها إلاَّ أن صرخت وادعت أنه حاول الاعتداء عليها فدخل بذلك السجن.

كان يوسف رجل أحلام .. وكان أيضاً يفسر الأحلام فبسبب أحلامه غار منه إخوته ... وبسبب تفسيره للأحلام داخل السجن صدقت رؤيته التفسيرية والتى زادت يقيناً بتفسيره حلم فرعون حول السبع بقرات السمينات التى أكلتها السبع بقرات الهزيلات ، والسبع سنابل الممتلئه التى ابتلعتها السبع الجافه ، والتى نبهت فرعون لما سيحدث من جفاف وقحط لمدة سبع سنوات ... وبهذا انقلب الهوان مجداً للرجل وعينه فرعون وزيراً ، وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف .

وكان الوزير أيام الفرعون على رأس الأداة الحكومية وكان من يعينه الملك فى هذه الوظيفة يقوم بمعاونته عدد كبير من الموظفين الموزعين على دوائر وإدارات مختلفه بالعاصمة والأقاليم.

وكان للوزير الإشراف الأعلى فى المسائل الخارجية والداخلية ، كما كان يشرف على فرض الضرائب وتجنيد رجال الجيش والعمال – وكان مكتب الوزير يعتمد على قوائم خاصة يحررها رب كل أسرة يضم فيها أفراد الاسرة وخدمه وأتباعه . كما كان الوزير يشرف على مكتب تسجيل الأراضى ، وعلى هذا الاساس كان يفصل فيما ينشأ من منازعات بشأن تحديد ملكية الأراضى.وكان كذلك الرئيس الأعلى للقضاء ورئيس محكمة الدور الستة المؤلفة من عظماء الجنوب الثلاثين التى كان لها حق الفصل فى الأمور القضائية . وكان له كذلك – بوصفه الحاكم على العاصمة الاشراف على الأمن وقوة البوليس (كتاب مصر : دكتور نجيب ميخائيل) وأختار له فرعون (اسنات) زوجة له وهى منسوبه إلى الالهه " انات " وهى ابنة (فوطى فارع) عظيم كهنة أمون والتى صارت أماً لإبنيّ يوسف منسى وأفرايم . وصار اسم يوسف (صفنات فعنيح) .

***اسرة يوسف فى مصر:**

أتت أسرة يوسف الى مصر سعياً إلى الرزق من زمن الجفاف وقابلهم يوسف واستقرت العائله فى أرض جاسان (صفط الحنة عند فاقوس) وطلب فرعون من يوسف أن يجعلِ من إخوته رؤساء على

الرعاة ومواشى فرعون (تك 43 : 32 ، 47: 6) . ولأن جاسان كانت أرضاً خصبة فقد تحولت إلى أرض زراعية وصارت القبيلة بعد عدة قرون أمة كبيرة.

وبعد حياة مزدحمة بالإحداث مات يوسف فى مصر عن عمر يناهز المائه وعشر سنوات وتم تحنيط جثته – ودفن يوسف فى مصر بعد أن وضع فى تابوت كعادة المصريين – ثم حمله بنو اسرائيل معهم عند خروجهم من مصر وظلت عظامه برفقتهم طوال رحلة العودة حيث ووريت فى شكيم (خروج 13 : 9 ، يشوع 24 : 32).

فرعون يوسف

تذكر المراجع الدينية أن يوسف حكم مصر عام 1885 واستمر فى الحكم حتى وفاته عام 1805 ق م . وهذه الحقبه تعاصر حكم الأسرة الثانية عشرة والتى حكمت مصر فى الفترة مابين 2000 إلى عام 1787 ق م وهى ماتسمى بالعصر الذهبى وعصر الاستقرار.

وحكم مصر فى هذه الأسرة ثمانية ملوك أولهم امنمحيت الأول ثم سنوسرت الأول ثم امنمحيت الثانى وسنوسرت الثانى ثم الثالث وامنمحيت الثالث والرابع وآخرهم سعك نفرو رع. حكم الفرعونان الأخيران حوالى 13 عاماً .. مما يرجع بنا إلى الفرعون امنمحيت الثالث الذى حكم مصر قرابة نصف قرن من عام 1850 إلى عام 1800 ق م – أما سابقه سنوسرت الثالث فقد حكم 38سنه مابين 1888 – وعام 1850 ق م .

وقد اتسم حكم سنوسرت الثالث بعدة حروب حتى أنه وصف برجل حرب – بدأ حكمه بتأديب القبائل النوبية – ثم هزم كوش – ثم قام بحملة الى سوريا لتأمين حدود البلاد من الأسيويين . كما تشير النقوش الى انه أخضع ليبيا – وأقام لنفسه هرماً فى دهشور .. وقد سجلت البرديات قصائد تتناوله بالمديح على شجاعته وجهاده فى توحيد الاراضى .

أما المثير للدهشة هو تفاصيل حكم امنمحيت الثالث – ويقال إنه ورث عن ابيه قوة العزيمه لكن فى ميدان آخر غير ميدان الحروب . فقد أوفد البعثات إلى وادى الحمامات بحثاً عن الأحجار – وكان أهم ما اهتم به هذا الفرعون هو تنظيم أمر فيضان النيل والتحكم فى مياه الفيضان الزائده عن الحاجة والتى تذهب هباءً . وقد أمر بتسجيل ارتفاع النهر عند القلاع التى أنشأها أبوه فى سمنة وقمه ولاتزال مستويات ارتفاع النهر مسجلة فى الاعوام 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 9 ، 14 – 15 – 22 – 23 -24 -30 -32 -37 -40و 41 وقد أقام خزاناً هناك رفع من مستوى ارتفاع المياه إلى مستويات أعلى من ارتفاعه فى العصور التالية.

ومن أهم أعمال امنمحيت الثالث ذلك العمل الهندسى الضخم الذى كان هدفه استصلاح أراضى منخفض الفيوم . كانت تشغل المنخفض فى عهد الدولة القديمة بحيرة كبيرة تدعى (مر – ور) وكانت الفيوم الحالية تقع على شواطىء البحيرة ومكانها الحالى يبعد عشرين كيلو متراً من شاطىء البحيرة ، وكان بحر يوسف ولا يزال يصب فيها وهو يخرج من شمال أسيوط كفرع من فروع النيل ويسير محاذياً مجراه من الغرب ثم ينحرف إلى الغرب مخترقاً المرتفعات الغربية بالقرب من اللاهون . ورغبة من الاستفاده من مياه الفيضان الزائده رؤى تخزينها فى منخفض الفيوم ثم تصريفها عند الحاجة لرى مساحات كبيرة شمال الفيوم وقت الجفاف – وقد دعاه ذلك إلى بناء سد عال عند مدخل الفيوم زوده بفتحات وقنوات لتصريف ماتحتاجه الأراضى. وبذلك أمكن اكتساب 27000 فدان من غمر الفيضان وبذلك استطاع أن يحول اقليم الفيوم إلى بقعة من اخصب بقاع مصر.

وعلى مقربة من هذا المشروع الضخم شاد امنمحيت مبنى هائلاً اشتهر باسم " اللابيرنت " وقد دُهش هيرودوت عند رؤيته ووصفه بأنه عمل يفوق الأهرام نفسها وأنه أكبر من أن يوصف وأعظم مما شاده اليونانيون – ومساحته تبلغ حوالى 75000 متراً مربعاً وهى مساحة تزيد عن مساحة معبدىْ الكرنك والأقصر معاً .

ويحتوى هذا المبنى على إثنى عشر بهواَ تدور حولها الأسوار وبه نوعان من الغرف يبلغ عددها ثلاثه آلاف غرفه نصفها فوق الأرض والنصف الآخر تحت الأرض مع عدد من الممرات والطرقات ويتصل باللابيرنت هرم ارتفاعه 340 قدماً وسقف كل غرفة كان مكوناً من كتلة واحدة من الحجر ، ويَظن أن كل مقاطعة فى مصر كانت لها به صالة اجتماعات خاصة بها.

لهذا نستطيع القول بأن هذا الفرعون هو فرعون يوسف والذى فسر له الحلم الذى ينبىء بسنين عجاف وجفاف وقحط استطاع فرعون أن يتعاون مع يوسف الذى وضع له خططاً لتجنب المجاعة . والتحكم فى مياه النيل وقت الفيضان للاستفادة منها فى مواسم الفيضان الضعيف الذى يسبب الجفاف .

التحنيط

جاء فى التوراه فى سفر التكوين 50 : 2 حول موت يعقوب وتحنيطه " ثم أمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه .. وقد استغرق ذلك أربعين يوماً وهى الأيام المطلوبة لاستكمال التحنيط – وبكى المصريون عليه سبعين يوماً .

والتحنيط هو استخدام الحنوط او الحناط وهو طيب يخلط للميت خاصة وهو كل ما يطيب به الميت من مسك وذريز وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك.

والكلمة تقابل بالانجليزية Embalm من الأصل اللاتينى in Balsamum التى تعنى حفظ الأشياء فى البلسم . ويطلق مجازاً على الجسد المحنط اسم " مومياء " لما يعتريها من سواد يشبه القار (الإسفلت) Bitumen وهو اللون المعروف للمادة التى وصفها " ديسقوريدس " وذكر أنها تسمى مومياء . وكان الفرس يستعملون هذه المادة كدواء ، وهى مادة قارية .. وربما استُخدمت فى التحنيط فى العهد اليونانى .

والتحنيط يستهدف المحافظة على الجسد من البلى عن طريق تجفيفه – أما الطرق الأخرى لحفظ الجسم كحقنه بمواد مطهره أو معقمة فى الأوعيه الدموية حيث تتسرب عن طريقها إلى أنسجة الجسم ، او وضعه فى مكان منخفض الحرارة أو فى ثلاجات ، فأمران لم يعرفهما المصريون .

ولما كان الجسم يحوى 75٪ من وزنه ماء ، فإنه ليس من اليسير تجفيفه من هذه النسبة كلها وخاصة ,إن التجفيف يتم عن طريق حرارة الشمس أو حرارة مُولده من الوقود أو عن طريق استخدام مواد تمتص الرطوبه .

وفى عهد الأسرتين الأولى والثانيه ظهرت محاولات بدائية للتحنيط ، اذ كان المصريون يلفون موتاهم بلفائف الكتان المحيطه بالأعضاء مشبعة بالراتنج ويغطى الوجه بمادة شبه كرتونيه مرسوم عليها شكل المتوفى . ويشير (بترى) إلى عثوره على مومياء من عصر الأسرة الخامسه ليس فيها مايدل على محاولة تحنيطها وإن بذلت فيها محاولات للتجفيف . ومما يميز بعض جثث الدولة القديمة كثرة استعمال المواد الراتنجيه كمواد لاصقه واستخدام النطرون والاهتمام بإبراز أعضاء التناسل فى شكلها الطبيعى.

وقد تقدمت محاولات التحنيط فى عهد الدولة الوسطى وظل استعمال الراتنج كمادة لاصقة، واستُعملَ كذلك مخلوطاً بنشارة الخشب لحشو فراغ الجسم . وقد عثر ببعض الأجسام على بلورات النطرون والملح (بترى ، Petrie) .

وكذلك استعملت الحناء – كما لوحظ حقن المواد الراتنجيه من الشرج وصباغة الشعر المستعار . ويشير فحص بعض الأجسام على خلوها من الأمعاء الداخلية وملء فراغ البطن والصدر بالكتان . وإن لم يحدث محاولات لإخلاء الجمجمه من المخ – أما أظافر اليدين والقدمين فوجدت ملفوفة تماماً حتى لاتنفصل أثناء عملية نقع الجثة.

وعند بداية الدولة الحديثة بدأت عملية إخلاء الجمجمه من المخ وشاع استخدام الراتنج بكثرة للحفاظ على كيان الجسم عند جفافه ، كما استُخدمت الحمامات الملحية – كملح النطرون – كما يشير بقاء

شعر فروة الرأس الى أنها لم تغمس فى المحلول الملحى – كما تشير دراسة الجثث التى عُثر عليها فى عصر الدوله الحديثه إلى قيام محاولات جراحية كالفتحة فى مؤخر الرقبه وقطوع الحشو فى أنحاء الجسم وعمل فتحة فى مؤخرة الجمجمة (لطرد الأرواح) ، والاهتمام عامة بالمظهر الخارجى اهتماماً كبيراً .

وقد زاد الاهتمام فى العصر البطلمى بصناعة غطاء " الكارتوناچ " الخارجى ونقوشه.

ويروى هيرودوت أن الجميلات من النساء كن لا يرسلن إلى المحنطين عقب الوفاة بل يتركن ثلاثة أيام أو أربعه حتى " لايتمكن المحنط من أن يسىء استعمال جثة المرأه الجميلة " وهذا يشير إلى ماقيل أن " أحد المحنطين فعل ذلك مرة وأبلغ عنه أحد رجاله ".

ويروى هيرودوت أيضاً أنه عندما يموت شخص – تلطخ النساء أيديهن ووجوههن بالطين، ويتركن المنزل طائفات يشققن الجيوب ويلطمن الخدود ثم يرافقن أهل الميت إلى مكان التحنيط.

وتشير بردية " رند " Rhind التى عثر عليها فى مقبرة من الأسرة الثامنة عشرة تزخر بموميات من العصر البطلمى إلى أن الميت يخرج سعيداً من غرفة العمليات (التحنيط) وتعمل له تسع احتفالات خلال 36 يوماً.

وبعد سبعين يوماً يوضع جسمه فى الجبانه بعد تسع احتفالات أخرى ، وهنا تأمر " ايزة " بالدفن. وبعد تسلم الجثة يتحرك الموكب الجنزى الى المقبرة وتوضع الجثة فوق زحافة كما توضع الأوانى الكانوبية فوق زحافة أخرى. وتمارس طقوس فتح الفم فى المقبرة ويتناول أهل الميت الطعام ثم يُقام حفل جنزى بعد الدفن .. وبعد إنزال المومياء إلى مقرها الآخير يشرف عليه الكاهن المختص الذى يمثل إله الجبانه " إنبو " .

وقد ذكر ديودور تكاليف عمليات التحنيط بما يشير إلى وجود أجر ثابت لكل عملية.

وقد أتيح للدكتور سامى جبره أثناء قيامه بالتنقيب فى منطقة تونه الجبل أن يكشف عن سراديب سفلية نُحتت فى الصخور تمتد لبضعة كيلو مترات خصصت لدفن القرود وطائر الايبيس (رموز عبادة تحوت)، وقد عثر عند مدخل أحد السراديب (عام 1937) على غرفة كاملة للتحنيط.

***غرفة التحنيط:**

ينفتح باب الغرفة من الضلع الجنوبى ، وعلى طول الضلع الشرقى سرير حجرى رأسه من ناحية الشمال وينحدر قليلاً إلى الجنوب – وفى وسط الضلع الجنوبى فتحة صغيرة . وقد عُثر تحت السرير على كتل خشبية محترقة . أما جوانب السرير فمرتفعة قليلاً – ويوجد عند الشمال الغربى من الغرفة كتلة حجرية كبيرة عبارة عن حوض ملىء بمواد بيتومينيه وبأرض الغرفة مجموعة من الأوانى ببعضها (قش) مختلط بالبيوتامين – كما تغطى أرضية الغرفة المواد المذكورة.

وبأخذ عينات وتحليلها توصل الدكتور شفيق الديب وصابر جبره الى وجود عدة مواد منها: القلفونيه وهى مادة صفراء لامعة داكنة ذات رائحة وطعم تشبه زيت التربنتينا – وهى مادة راتنجيه ذات رائحة عطرية تحضر من الأشجار الصنوبرية التى تنمو فى سوريا وسواحل فينيقية ، وتُحَضَرَ اليوم عن طريق عمل ثقوب فى الاشجار ثم تُجمع العصاره المنسابة فى أوان ويبخر الجزء السائل (زيت التربنتينا) ويبقى الجزء الصلب وهو القلفونيه . ومن خواص هذه المادة سهولة ذوبانها فى

بعض السوائل فتصبح محلولاً ذا قوه لاصقة – وهى تتفكك عند تسخينها فتكون سائلا للصق اللفائف والضمادات .

والمادة الثانية (الزفت) من الأصل الخشبى ذات رائحة قطرانية تلين عند التسخين وتتسامى مرسبة على جدران أنبوبة الاختبار مادة راتنجيه صفراء ، وهذه الماده تحترق بلهب لامع ذى دخان كثيف – ويحضر القطران النباتى بطريقة التقطير الإتلافى أو الحرق فى معزل عن الهواء لأخشاب صنوبرية – وتحوى المواد المطهرة كالفنيك والكريوزوت والنفتالين وغيرها مما يمنع تسرب الميكروبات إلى الاجسام ويحفظها من التلف.

أما محتويات بعض التوابيت فقد أظهر تحليلها أنها تحوى 60.7 ٪ من الرمل ، 33.1٪ من الحجر الجيرى والألومنيوم وملح الطعام والمغنسيوم والمواد العضوية.

وبجانب ذلك فإن المواد التى كانت تُستخدم فى التحنيط كانت النطرون والملح ثم الجير الحى وشمع العسل والزفت النباتى والمساحيق العطرية والزفت المعدنى والزيوت الصنوبرية والحناء والعرعر والشبَّه ونبيذ النخل والقلفونيه . أما المادة الأساسيه بينها جميعاً فهو النطرون وكان شمع العسل يُستخدم فى تغطية الفتحات كالأذن والعين والفم ومكان القطع الجراحى فى الخِصْر وأعضاء المرأه التناسليه .

***خطوات عملية التحنيط:**

أما معالجة الجثة منذ الوفاة حتى الدفن فقد كانت تُتبع فيها الإجراءات التالية :

1- تُنقل إلى غرفة المحنط وتُنزع عنها ملابسها وتوضع فوق لوح خشبى .

2- تُمرر قطعة معدنيه لكسر العظم المصفاوى ثم يدخل خطاف معدنى لسحب المخ.

3- يُعمل قطع فى الجانب الأيسر بشظية من الحجر الأثيوبى وتُفرغ الأمعاء وكل الأجزاء الداخليه فيما عدا القلب والكليتين .

4- يُغسل داخل الجسم بمحلول نبيذ النخيل والتوابل ثم تُغلق فتحات الجسم بشمع العسل .

5- تُعالج الجثة بالنطرون فتوضع بللوراته فوقها وتُوسد الجثة السرير الحجرى المائل ويتميع النطرون ويتحول إلى ماده سائله بعد امتصاصه ماء الجسم وينصرف عن طريق الفتحه عند طرف السرير إلى احواض بأسفله .

6- تُرفع درجة حرارة الغرفة عن طريق إشعال نار بداخلها للمساعدة على التجفيف .

7- تُحفظ بعض الأعضاء الداخلية فى الأوانهى الكانوبيه (التى توضع بداخلها الاحشاء) بمواد راتنجيه وزفت نباتى – ويوضع محل هذه الأعضاء بالجسم تماثيل صغيرة تمثل أبناء " حور " الأربعة .

8- يُستخرج الجسم من النطرون بعد فترة من الزمان وقد يُغسل بالماء ويُجفف أو يُغسل بنبيذ النخيل.

9- تُملأ فجوة الرأس بمواد راتنجيه أو بخرق مغموسة فى المادة الراتنجيه وتُعالج البطن بنفس الطريقة وقد تُعالج كذلك بنشارة الخشب الممزوجة بالمواد الراتنجيه والقرفة والمر وأحياناً توضع

بصلة أو بصلتان – ثم تغلق الفتحة التى صُنعت من قبل فى الجانب الأيسر من الخصر بأن تخاط وتُثبت فيها قطعة معدنيه بمادة راتنجيه وتُغطى بشمع العسل .

10- يُطيب الجسم بمختلف الطيوب ويُدهن بالعطور .

11- يُلف الفم بالكتان المغموس فى مواد راتنجيه وكذا الاذنان والأنف والعينان احياناً .

12- تُلف عضلات الجسم كذلك بالكتان المغموس فى المواد الراتنجيه (الذى استعيض عنه فيما بعد بالقار النباتى ثم المعدنى) كما تُلف الإصابع مفرده قبل ربطها معاً .

13- قد تُصب بعد ذلك مواد راتنجيه على الجسم كله حتى تتماسك أجزاؤه تماما وتُسد مسامه فلا تتسرب إليه الرطوبه بعد ذلك .

14- توضع بين اللفائف تمائم مناسبة وتُتلى عند وضع اللفائف أدعية وتعاويذ .

15- توسد الجثه داخل تابوت خشبى وتوضع معها حلى الميت (د. نجيب ميخائيل) .

الفصل الثالث

موسى

1406 – 1526

ولد موسى فى مصر لوالدين من سبط لاوى هما عمرام ويوكابد – وعند ولادته كان له أخت عمرها حوالى خمسة عشر سنه وأخ عمره ثلاث سنوات . وتنقسم حياة موسى إلى ثلاث فترات كل منها أربعون عاماً الأولى قضاها فى مصر والثانيه فى المنفى بأرض مديان ، والثالثه كقائد للشعب الإسرائيلى.

بعد أن استقر الشعب العبرانى لمدة 430 سنه فى مصر وبلغ تعداد الرجال حوالى ستمائة ألف مما يجعل تعداد العبرانيين قرابة المليونين، دأب المصريون على الالتفات نحوهم واضطهادهم ومحاولة تحجيمهم ، وبدأ هذا الشعب يرزح تحت نير العبوديه . وأمر فرعون بقتل الأطفال الذكور العبرانيين ليضع حداً لتزايد الشعب فى العدد والقوه . وبعد مولد موسى بثلاثه أشهر أخفاه أبواه ووضعته أمه فى سلة أحكمت طلاءها بالزفت واخفته بين الحَلْفَاء على شاطىء النيل أمام القصر الفرعونى. ثم انتشلته ابنة فرعون وشب فى بيت فرعون تحت رعايتها – وهناك تعلم موسى اللغة الهيروغليفيه وتلقى أرقى ثقافة فى العالم ونهل الكثير من المعارف كالفلك والطب والزراعه والادب والفنون . ورغم هذه الحياة المرفهة لم ينسَ انتماءه لإخوته المستعبدين .. وقتل مصريا ثم هرب من وجه فرعون إلى الصحراء عبر جبال سيناء إلى أن وصل إلى مكان منعزل شرق البحر الأحمر يدعى مديان . والمديانيون يتصلون معه بصلة قرابة حيث أنهم أحفاد إبراهيم من قطوره زوجته الثانية . وتزوج موسى من صفورة إبنة كاهن مديان وعمل راعياً للغنم.

***الدعـوة:**

" أطلق شعبى ليعيدوا لى فى البرية " (خروج 5 : 1)

طالب موسى فرعون بأن يطلق سراح قومه لكنه رفض هذا الطلب عدة مرات – ووقعت سلسله من الضربات المخيفة قبل أن يسمح فرعون للاسرائيليين بالخروج ، وقد كانت طبيعة الصراع أعمق من أن تكون بين الشعب المستعبد وفرعون ولكنها فى الحقيقة صراع بين الإله الواحد إله موسى والألهة الوثنية فى مصر (خروج 2. : 6) ففى الضربة الأولى حيث تحول ماء النهر إلى دماء ، كانت الضربة ضد النيل المعبود (حابى) مصدر الخيرات.

وسقط مع حابى آلهة اخرى مرتبطة به مثل (ست وخنوم وإنكت) كما سقطت الآلهه (هكت) فى ضربة الضفادع ، وهى آلهة الإخصاب وزوجة خنوم . وفى الضربة التاليه سقط الجعل وكانوا يصورونه بذبابة ذات رأس كبير . وفى ضربة البعوض لم يميز البعوض بين أجساد الشعب المصرى وأجسام البهائم وهى معبودات مقدسه ، وهى الإله حتحور البقرة المقدسه وأبيس ذلك العجل الموقر. كما سقطت آلهة الطب بضربة الدمامل ، وإله العواصف والرياح (رشبو) – وكذلك الإله ست إله الخصوبة حيث اجتاح الجراد الأرض وأتى على جميع المحاصيل . كما كانت ضربة الظلام موجهة للإله (نوت) إله السماء منظم الليل والنهار . كما سقطت معه آلهة الشمس (رع أتون أتوم وحورس) – كما سقط الإله سخمت إله النور والنار حيث عجزت النار عن اجلاء الظلام

وعاشت مصر ثلاثة أيام متصله فى ظلام توقفت خلالها الحياه وكذلك صلوات الكهنه مع شروق الشمس.

أما الضربة الأخيرة وهى موت الأبكار فقد حسمت الصراع .. حيث كانت ضد الإله رع واهب الحياه لفرعون .. وسقطت معه ايزيس واوزيريس أمام الإله الواحد – وأقر فرعون بالهزيمه وسمح بإطلاق الشعب بعد أربع مائه وثلاثين سنه فى مصر.

فدعا فرعون موسي وهارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبى (خروج 12: 31).

*الخروج من مصر:

كان لإقامة العبرانيين فى مصر منعزلين فى أرض جاسان الفضل فى تحولهم إلى أُمة – كما كانت حياتهم فى مصر تجربة حضارية وثقافيه تعلموا من خلالها الفنون المصرية والعمارة والكتابة ولكن فى المقابل تسربت الوثنية المصرية لعبادة هؤلاء القوم.

بعد الضربات المتتالية على مصر .. أصاب الشعب المصرى نوع من الضعف النفسى والجسدى والمادى .. انتهزها العبرانيون فسلبوا المصريين الذهب والفضه والثياب – وارتحل بنو اسرائيل من أرض جاسان – حاملين معهم عظام يوسف .. إلى خارج مصر.

*طريق الهروب:

لم يسلك موسى مع قومه الطرق المعروفه من مصر فى اتجاه الشرق وهما الطريق الساحلى والذى كانت تطرقه الجيوش ولا طريق القوافل وهو طريق القبائل الآتيه من بلاد العرب ، خوفاً من أن يتبعه فرعون – لذلك اتخذ طريقاً غير مأهول إلى مدينة سكوت فى وادى الطميلات (تل المسخوطه) واستراحوا فى مظال أقاموها من أغصان الشجر . ثم رحل الشعب إلى ايثام . وبعد مرور حوالى خمسة أيام من الهروب من مصر تراجع فرعون عن قراره وحاول مطاردتهم لإرجاعهم أو القضاء عليهم – فتتبع خطاهم عندما وصلوا إلى بقعه متاخمه للبحر الأحمر عند " فم الحيروث " حيث حوصروا بين البحر من الأمام وقوات فرعون من الخلف . وهناك وبعد الوصول إلى البحر رفع موسى عصاه فإنشق البحر بريح شديده وسار بنو اسرائيل على أرض يابسه وسار الماء لهم سوراً من الجانبين .. وحينما تبعهم فرعون بقواته وعجلاته .. أعاقت الأرض الطينيه سير العجلات التى غرقت فى مياه البحر الذى رجع إلى حاله بعد أن عبر بنو اسرائيل.

وتقول التوراه : وبعد عبور بنى إسرائيل البحر قال الله لموسى "إبسط يدك فوق البحر ليرتد الماء على المصريين مع مركباتهم وفرسانهم – فبسط موسى يده فوق البحر عند انبثاق الصباح فإرتد البحر إلى موضعه على المصريين الهاربيين فى اتجاهه – فجرفهم الرب نحو وسط البحر وارتدت المياه وأغرقت المركبات والفرسان وكل جيش فرعون الذى لحق بهم إلى البحر فلم يفلت منهم ناج واحد (خروج 14 : 26- 28) . وهكذا أنقذ الرب فى ذلك اليوم الاسرائيليين من يد المصريين وشاهدوا جثث المصريين مطروحة على شاطىء البحر (خروج 14 : 30).

وفى القرآن الكريم :

" ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فأضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لاتخف دركاً ولاتخشى فأتبعهم فِرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم" (طه 77 - 78).

" فأخذنهُ وجنودَهُ فنبذنَهُم فى اليم فأنظر كيف كان عَقِبَة الظلِمينْ " (القصص 40 - 4).

فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فإنفلق فكان كل فِرقِ كالطود العظيم وازلفنا ثَمِّ الآخرين وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين" (الشعراء 63 – 66).

ويرجح ان مكان العبور فى منطقة ما بين السويس والإسماعيليه ناحية القنطرة عند بحر القصب حيث أن اسم البحر الأحمر تعنى بحر سوف أو الغاب (خروج 17 : 8-16).

بعد عبور البحر الأحمر أتجه الشعب جنوباً حتى وصلوا الى " مارة " ثم واصلوا السير إلى "إيليم" حيث استقروا وسط اثنتى عشرة عين ماء وسبعين نخلة.

ثم دخلوا برية سين ... وساروا حتى ريفيديم وفيها ضرب موسى الصخرة لينفجر ماؤها وعَيَّن موسى يشوع بن نون قائداً عسكرياً تصدى لقبيلة من نسل عيسو تسمى العمالقة واستطاع أن يقهرهم.

من ريفيديم وبعد مسيرة ثلاثة أشهر وصلوا إلى سهل ... يطل عليه جبل موسى حيث تسلم موسى الشريعة من الله الذى رسم لهم خيمة الإجتماع والتى حملوها معهم طوال تواجدهم فى البرية.

فى هذه البقعة أعطى الله لهذا الشعب الوصايا العشر ... أعطاها لموسى فوق جبل حوريب .. وقال الله لموسى " لايكن لك آلهة غيرى" . وبعد فترة ... سقط الشعب فى عبادة العجل الذهبى .. وتوسل موسى بصلواته حتى لايفنى الله هذا الشعب.

***شعب متذمر :**

رافق الله هذا الشعب طوال رحلته .. أطعمهم المن والسلوى وكان يتقدمهم كعمود سحاب ونار .لكن كان الشعب كثير التذمر .. وعند " تبعيده " وبسبب هذا التذمر اشتعلت النار فى طرف المحله .. وبصلاة موسى خمدت النار (عد : 11 - 3).

وعند " قبروت هتأوه " تذمروا على المن فأعطاهم الله السلوى بوفره واكلوا حتى اتخموا ومات منهم الكثير.

وفى "حضيروت " ضربت مريم بالبرص لأنها تكلمت على موسى.

واستمرت القافله حتى برية فاران .. وأخيراً استقروا فى التلال والأودية حول واحة "قادش برنيع" .. حيث عاشوا حياة البدو الرحل وانتهت المسيرة بهم إلى حدود أرض كنعان.



موسى والوصايا العشر

*التيه فى برية سيناء:

"قادش برنيع" .. واحة هامة تقع شمال شرق سيناء بها عين ماء .. قضى فيها الاسرائيليون مدة طويلة وجعلوا منها نقطة تمركز .. قبل دخولهم أرض كنعان.

وبعث موسى اثنى عشرجاسوساً قاموابعملية استكشاف واسعة استغرقت أربعين يوماً . ولم يتحمس من هؤلاء إلاّ يشوع وكالب أما بقية الجواسيس فقد خافوا واضعفوا قلب الشعب الذى أحجم عن التقدم .. ولذلك صار غضب الله عليهم وأدبهم بالتيه فى البرية أربعين سنة .. حتى لايدخل أرض كنعان من هم أكبر من عشرين سنة بإستثناء يشوع بن نون وكالب بن يفنه.

استغرق الطريق من قادش برنيع حتى مؤاب 38 سنه بعد عامين من الخروج من مصر ، وتنتهى فى الليلة السابقة لدخول أرض كنعان – وتتضمن هذه المنطقة ثلاث ممالك قديمه : هى أدوم ومؤاب وعمون . تقع ادوم فى الجنوب بين خليج العقبة والبحر الميت . ومؤاب تشمل الأراضى شرق البحر الميت ومركزها حشبون أما عمون فتشمل شرق الاردن ومركزها عمان حالياً (عاصمة المملكة الأردنيه) ، ويخترق هذه الممالك الثلاث .. الطريق الملكى وهو الطريق الرئيسى للتجاره من خليج العقبة الى دمشق.

وكانت فتره التيه طويله امضاها بنو اسرائيل فى الاستيطان حول الآبار يرعون قطعانهم ويزرعون المحاصيل . وعند تقدمهم لم يسمح لهم ملك أدوم بالعبور فى أراضيه .. كما حاربهم ملك عراد فى الجنوب. وطالت عليهم المسيرة – حيث ساروا عبر برية فاران إلى عصيون جابر ثم شمالاً .. طائفين بحدود ادوم .. وبعد محاولة فاشلة لدخول مؤاب عادوا مرة أخرى .. وانتهت بهم المسيرة الى نهر أرنون ودخلوا أرض الأموريين .. وأصبحت المنطقة شرق نهر الاردن من أرنون إلى شمال اليرموك تحت سيطرتهم.

وبذلك وصل هذا الشعب إلى مشارف أرض كنعان – وبعد أن رأى موسى تلك الأرض مات وقد بلغ مائه وعشرين سنة ودُفن فى عربات مؤاب.

ولم يدخل الأرض من بنى اسرائيل والذين عاصروا أحداث الخروج من مصر .. لم يدخل أحد سوى اثنين فقط هما يشوع وكالب.



خيمة الاجتماع



تابوت العهد وأعلاه الكروبيم



المنارة

***خَيْمَةَ الاجتماع وتابوت العهد:**

تذكر التوراه فى سفر الخروج أوامر الله عز وجل لموسى كى يبنى ويؤسس خيمة الاجتماع (خيمة الصلاه) ، فتقول " وقال الرب لموسى تقيم مسكن خيمة الاجتماع فى اليوم الأول من الشهر الأول (من السنة العبريه) وتضع فيه تابوت العهد الذى فيه الوصايا العشر (لوحى الشريعه) ، وتستره بالحجاب .ثم تُدْخلّ المائده وترتب أوانيها عليها ، وأيضاً المناره وتضىء سرجها ، وتضع مذبَح

البخور الذهبى امام تابوت الشهاده (العهد) القائم وراء الحجاب ، وتعلق ستائر باب المسكن ، وتجعل مذبح المحرقه النحاسى أمام باب خيمة الاجتماع ، ثم تضع حوض الإغتسال بين المسكن والمذبح واملأه بالماء ، وتنصب ستائر الساحه المحيطه بالمسكن – وتعلق ستار مدخلها " .

ويسجل سفر الخروج توجيهات الله لموسى لبناء خيمة الاجتماع - واعطاه الله الوصف الكامل لهذه الخيمه وابعادها وارتفاعها ومكوناتها – وكانت معظم الخيمه وامتعتها مصنوعه من خشب السنط – حيث تنمو اشجار السنط جيداً في المناطق الجدباء ومنتشره فى ذلك الوقت وخشبها برتقالى قاتم شديد الصلابه مما يجعله ممتازاً لصنع الاثاث – وكان صنع الأنسجه من غزل ونسج يستغرق وقتا طويلاً لذلك ساهمت النساء لانهاء هذا العمل.

وكان التابوت (تابوت العهد) مصنوعاً ليوضع فيه لوحا الوصايا العشر ، ويمثل عهد الله لهذا الشعب . وكان ملاكان ذهبيان يسميان " الكروبيم " (ملائكه الحراسه) يوضعان فوقه – ويعد هذا التابوت اقدس الأشياء عند بنى اسرائيل ، ويحفظ فى قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع – وكان رئيس الكهنه لايدخل الى قدس الأقداس الاَّ مره واحده فى السنه ليرش دم الذبيحه فوق غطاء التابوت للتكفير عن خطايا الأمه .(يوم الكفاره).

رسم موسى خطوات العمل لبناء هذه الخيمه وأشرف على تنفيذها إيثامار بن هارون الكاهن .

كان على الكهنه أن يلبسوا ثياباً خاصه للخدمه فى الخيمه كل يوم ، وكانت بعض قطع هذه الملابس لها معناها واهميتها . و ضمن ثياب رئيس الكهنه قطعتان هما الأفود والصدره ، كان الافود يشبه العباءه ويلبس فوق الثياب الخارجيه ، وتثبت الصدره فى الرداء وهى مصنوعه من كتان ملون مربعه الشكل طول ضلعها نحو 22 سنتيمتراً ، وعلى وجهها اثنا عشر حجراً كريماً كل منها منقوش عليه اسم أحد اسباط اسرائيل ، مما يرمز لتمثيل رئيس الكهنه لجميع الشعب . كما كان بالصدره ثنيات يوضع بها حجران (الاوريم – والتميم) وبكيفية ما كان رئيس الكهنه يستطيع أن يعرف مشيئة الله للأمه بالرجوع الى الاوريم والتميم .

ومن المكونات الهامه للخيمه ، الحجاب أو الستاره التى كانت تفصل بين الجزئين المقدسين فى خيمة الاجتماع : القدس وقدس الاقداس . وكان يرمز الى انفصال الشعب عن الله بسبب الخطيئة . وفى المسيحيه ، عند موت المسيح انشق حجاب الهيكل من اعلى الى أسفل دلالة على اقتراب الانسان من الله فلم يعد الناس فى حاجة الى الاقتراب الى الله عن طريق كهنه وذبائح.

وكانت خيمة الاجتماع بيت الله على الأرض ، وبعد ذلك بنحو خمسمائه عام بنى سليمان الهيكل الذى حل محل الخيمه كمكان مركزى للعباده.

فرعون موسى

هناك جدل حول تواريخ الكتاب المقدس خاصة بما يتعلق بالأحداث المعاصره فى مصر الفرعونيه – ويختلف الدارسون حول فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج حيث أغفل الكتاب المقدس اسماء ملوك مصر واكتفى بكلمة فرعون. حتى الآثار المصرية القديمة فقد افتقرت أخبار تواجد بنى اسرائيل فى مصر واحداث الخروج وماحدث لجيش فرعون ونهاية فرعون نفسه. قد يكون السبب هو احتقار هذه الفئة الغريبة عن مصر " الرعاة " خاصة أن المصريين القدماء كانوا لايمارسون رعى الماشيه بالقدر الملموس وكانوا ينظرون إلى هذه المهنه نظرة دونيه – أما أحداث الخروج فلم تكن مشرفة للتاريخ الفرعونى والذى كان يهتم ويسجل الانتصارات.

وجاء فى سفر الخروج (1 : 28) " ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف".. أى أن أسرة جديدة فرعونية أتت إلى الحكم .. كانت شديدة التعسف مع الساميين الأجانب . وكانت الحقبة السابقة على الخروج معاصرة لستة فراعنة من الهكسوس حكموا لأكثر من قرنين وكانت عاصمتهم فى شمال القطر ، ومع نهاية الأسرة السابعة عشر بدأ أمراء الجنوب محاربة الهكسوس، بدايه على يد سنفرو الثانى ثم كاموزه .. ثم أحمس والذى تحقق على يديه النصر وطرد الغزاة وتعقبهم حتى فلسطين .. وبدأت بذلك الدولة الحديثه والتى شملت الأسرات 18 – 19 – 20 . والتى حكم فيها ملوك أشداء فى طيبة (1580 – 1090) . وتشهد المعابد والمقابر بثراء الآلهه والملوك وكبار القوم .. فقد كوّن فراعنة طيبة الجدد امبراطورية عظيمة واحسنوا استغلالها وهناك النصب التذكارية للانتصارات الحربية والمعارك التى خلدت فى معابد طيبه والنوبه ، وقوائم بأسماء الشعوب التى تم إخضاعها وتصوير الأشراف وهم يتسلمون الجزية – وفى أفريقيا ترك المصريون آثاراً ملموسة حتى الشلال الرابع .. كما انتشرت الجعلان فى الأماكن الأثريه فى آسيا . كما فرضت مصر الحماية على فينيقيا وفلسطين.

***ملوك التحامسه:**

أحمس الأول (1580 – 1558 ق م) هو محرر مصر من الهكسوس وثانى أبناء الفرعون قبل الآخير للأسرة السابعة عشرة ، وأخو الفرعون كاموسى – وأحمس يُعتبر آخر ملوك الفتره الانتقالية الثانية لأنه أكمل عمل أخيه كاموسى ، ويُعتبر مؤسس الاسرة الثامنة عشرة حيث تمكن من إحياء نهضة البلاد بعد توحيدها.

ثم جاء بعده ابنه امنحتب الأول (1558 – 1530) .. والذى خلفه الملكان تحتمس الأول (1530 – 1520 ق م) وبعده تحتمس الثانى (1520 – 1504 ق م) اللذان اندفعا إلى سياسة توسعية عظيمة مستندين إلى دوله فتية جددت قواها – لكن انتصاراتهما أوشكت على الانهيار بسبب أزمة حكم خطيرة . فقد نشأت مشكلة من التنافس بين ضرورة وضع شخصية عسكرية على رأس الامبراطورية .. ومبادىء توارث العرش والتى تكفل الملك لأكبر أبناء " الزوجه الكبرى " للفرعون . وكان تحتمس الأول – وهو الابن لزوجة ثانويه لأبيه امنحتب الأول – قد لجأ للزواج من أخته أحموسى وهى الوريثة الأصيلة ليدعم شرعية اعتلائه العرش – ولم يثمر هذا الزواج إلاّ ابنة واحدة هى حتشبسوت والتى تزوجت من أخيها غير الشرعى تحتمس الثانى ثم تزوجت بعد وفاته من ابن اختها الصغير تحتمس الثالث وهنا تمسكت الملكه بحقوقها كاملة (1504 – 1483) وأبعدت

زوجها عن كل المراسم الرسمية – وكانت حتشبسوت خالة هذا الملك وزوجة أبيه وزوجته وشريكته فى الحكم . فى الوقت نفسه خلعت حتشبسوت على نفسها الألقاب الملكية وارتدت الزى الملكى وصورت نفسها فى صورة الرجال غير أنها لم تلق بالاً للمشروعات العسكرية وانما كرست جهودها لإقامة المنشآت الدينيه لآمون . وبعد أن ماتت حتشبسوت انتقم تحتمس منها شر انتقام فطارد محبوبيها ودمر تماثيلها وشوه رسومها وازال نقوشها وأحل خراطيش الملكيْن تحتمس الأول والثانى محل خراطيشها ، واستمر تحتمس الثالث يحكم بعد موت حتشبسوت أكثر من ثلاثين عاماً (1483 – 1447 ق م) وكانت كلها سنوات مجد وازدهار . ثم خلفه ابنه امنحتب الثانى (1448 – 1420 ق م) والذى كان هو وأبوه من أعظم بناة المعابد ومحاربيْن عظيميْن وتمكنا من فرض سيطرتهما على الأقطار المجاوره – وتمكن خليفتاهما تحتمس الرابع (1425 – 1408 ق م) وامنحتب الثالث (1408 – 1372 ق م) من المحافظة على السيطرة على المناطق الشاسعة الممتدة من سهول كنعان شمالاً حتى الشلال الرابع جنوباً . لكن حدث تغير تدريجى فى اتجاهات الديانة الرسمية بين عامى 1483 ، 1380 ق م وأخذت العلاقات تتوتر بين الملكية الفرعونيه المطلقه ورجال الكهنوت الذين يديرون املاك آمون . ومن ثنايا هذه الاتجاهات والصراع ، فجّر الفرعون امنحتب الرابع (1372 – 1354 ق م) والذى عُرف بعد ذلك باسم اخناتون .. فَجرَّ " ثورة العمارنة " تلك التجربة السياسية الاجتماعية الدينية المذهلة التى قلبت مصائر امبراطورية الأسرة الثامنة عشرة رأساً على عقب.

*فرعون الاضطهاد تحتمس الثالث (1483 – 1447 ق م):

*فرعون الخروج امنحتب الثانى (1448 – 1420 ق م):

(بما فيها فترة مشاركة لأبيه في الحكم)

تقودنا التواريخ التى اعتمدنا عليها فى هذه الدراسة إلى أن الحقبة التى حدث فيها اضطهاد العبرانيين فى مصر تُرجِّحْ حكم تحتمس الثالث والذى يُعرف بعدو الساميين وهو صاحب قرار قتل أطفال العبرانيين – ويكون بذلك فرعون الخروج هو امنحتب الثانى (1448 – 1420 ق.م).

وتتفق هذه الرؤية مع مايراه بعض الأثريين ومنهم الأثرى المصرى العالمى دكتور لبيب حبشى وهم يبنون رأيهم على بعض الشواهد والتى منها:

1- أن بناء الهيكل حدث فى عام 960 ق م وإذا أضيفت إليها مدة 480 سنه من خروج بنى اسرائيل إلى بناء الهيكل (ملوك أول 6 : 1) فيكون بذلك تاريخ الخروج هو 1440 ق م وهذا التاريخ يقع فى نهاية حكم تحتمس الثالث أو بداية حكم امنحتب الثانى.

2- يظن أن حتشبسوت هى الملكة التى انتشلت موسى من الماء – حيث يشير أحد ألقابها التى كانت تحملها أيام حكم تحتمس الثانى انها "ابنة فرعون" فتربى موسى فى القصر وقت أن حكمت حتشبسوت . وأثناء حكمها لم تقع أحداث عسكريه ذات أهمية غير غارتها على النوبه ولكن خليفتها تحتمس الثالث المرعب عدو الأسيويين أنتصر على ملك قادش فى " مجدو " وزحف محققاً النصر حتى الفرات وسجل انتصاراته على جدران معبد الكرنك وفى نصب ارمنت التذكارى.

3- من رسائل تل العمارنة تلك الرسائل الدبلوماسية من حكام مصريين فى كنعان وكانت وقتها خاضعه لمصر – أرسلوها إلى امنحتب الرابع (اخناتون) (1372 - 1354ق م) يشكون فيها أن

العبيرو (العبرانيين) يستولون على حصون الملك – ومن ذلك يتضح أن غزو يشوع لكنعان حدث قبل ذلك أى مابين عامىْ 1400 ، 1385 ق م وهذا دليل على أن فرعون الاضطهاد هو تحتمس الثالث والخروج حدث فى عهد امنحتب الثانى .

4- ذكر مانيتو Manetho فى القرن الثالث ق م أن الملك امنحتب الثانى طرد الإسرائيلين ارضاءً للآلهه التى كانت غاضبة فأراد أن يطهر البلاد من البرص وجميع النجسين.

5- فى مقبرة وزير تحتمس الثالث ظهرت لوحة حائطيه تصور عبيداً يضعون الطوب من طمى النيل ويخلطونه بالتبن ، وفى اللوحة كتابة جاء فيها " العصا فى يدى لاتكن متكاسلاً ".

وبذلك نصل إلى فرضيه أن فرعون الخروج هو امنحتب الثانى والذى يدعى أيضاً أمينوفيس الثانى.

وقد تم اكتشاف مقبرة امنحتب الثانى فى وادى الملوك وعثر على مومياء وعليها باقة ورد . وتضم هذه المقبرة مومياوات لسبعة عشر ملكاً بجانب امنحتب الثانى – ويظن أنه تم جمعها معاً بواسطة ملك ما من الأسره العشرين.

وقد يتعارض وجود مومياء هذا الفرعون مع ماجاء فى التوراة والقرآن من أنه غرق . لكن هذا لايتعارض مع النصوص الإلهية .. لأنه من المنطق أنه بعد أن تحدث كارثة الغرق أن يهتم المصريون وجند الملك بالعثور على الجثة الغارقة.



موسى يشق البحر

التوحيد بين موسى واخناتون

كانت العبادات الخاصة بقدماء المصريين من أبرز السمات التى اتصفوا بها والتى كان لها تأثير عميق فى حياتهم اليومية . وقد كانوا أول من آمن بالبعث والحياة الثانية بعد الموت . ولكن مع ذلك تعددت آلهتهم إلى أن جاء اخناتون ودعا إلى التوحيد وصوّر الإله الواحد فى صورة قرص الشمس أتون .. فهو لم يجد حوله مايعبر عن الإعجاز الذى لم يفهمه البشر : إلا فى الشمس المشرقة والغائبة سبب الحياة والنمو والزرع والنور والدفء . لم يصور الإله الواحد فى أى من الأوثان والحيوانات لأنه أحس بالابدية والازليه فى الشمس كما أنها تستطيع أن تعبّر عن رضائها أو سخطها على البشر .. تارة حارقه وتارة أخرى دافئة .. قد تظهر وقد تحتجب .. تشرق على الأحياء ثم تغيب لتذهب إلى العالم السفلى.

وكما تشير متون الاهرام .. فإن الديانة التى سادت هذه المتون كانت الديانة الشمسية أى عبادة الاله "رع" – وظل هذا الحال إلى أن أخذت ديانة الإله "أوزير" تظهر فى عالم الوجود .. ويظن أن أوزير – منذ أزمان سحيقه قد ترجع إلى الأسره الأولى من التاريخ الفرعونى – كان قد أصبح نموذجاً لابنه الملك حور . والمعروف أن أوزير كان يعد فى بادىء الأمر ملكا عاش على الأرض وقُتل ومن ثم كان يًرمز به للقوى التى كانت تموت فى زمنه ثم تحيا ثانية كالنبات وفيضان النيل ، وكذلك تفسر اسطورته الحياة والموت – ثم القيامه – والحرب التى قام بها ابنه حورس ضد عدوه "ست" بمساعدة أمه "إيزيس" .. تحت رعاية " تحوت" و "انوبيس" وغيرهما من الآلهه. وقد امتدت عبادة اوزير من مدينة بوصير بجوار سمنود حالياً .. جنوباً حتى بلغت أسيوط – كما يُعرف أن عبادة اوزير قد وُجدت فى العرابه المدفونه منذ العهود السحيقه حيث كان يُعبد قبله اله يدعى "خنتامنتى" – وقد وًجدَ اوزير مع هذا الإله ويمثل فى صورة إبن آوى.

***اخناتون أو امنحتب الرابع (1372 – 1354 ق م):**

يذكر الدكتور سليم حسن أن اخناتون كان آخر نتاج لسلسلة من الزيجات داخل نفس الأسره (الثامنه عشر) وقد تسرب إليها الضعف والتخنث ويعد هذا الطفل الجميل للإله أتون أغرب شخصية فى التاريخ المصرى القديم ، كان ضعيف البنيه ، نحيل القوام ، بارز الوجنتين ، متدلى الفك – يوحى وجهه بالكآبه المحزنة – أما روحه فيتملكها إلهام مقدس حساس للطبيعة .. مرهف المشاعر الإنسانيه . كان شخصيه دينية عميقة التكوين – ولاشك أنه من أعظم المتصوفين فى التاريخ – غير أنه كان ينقصه الإحساس الكامل بالواقع – مما جعله يخفق فى أن يجمع فى شخصيته بين الملك والقداسة مثل لويس التاسع أو سافونارولا . ولم يتمكن من إعادة بناء الدوله الفرعونية بناءً جديداً ، مستخدماً شريعة أتون الجديدة ، إذ اكتفى بإقناع عدد من رجاله المقربين المخلصين وعاش فى عزلة مع أحلامه عن العدالة والانسانية والجمال ، تاركاً عامة الناس لأقدارهم وتصدى للإله آمون ، لكن صدمته مقاومة الكهنه الجشعين الذين أفزعتهم تلك الثورة الكفيلة بحرمانهم من امتيازاتهم المادية – فحرم اخناتون اسم آمون واغلق المعابد وصادر الممتلكات ثم أطلق على نفسه اسم أخناتون أى "الحائز على رضا قرص الشمس". وهاجر إلى إقليم هرموبوليس حيث أقام مدينة جديدة . ولقد أنكرت ديانة أتون .. الآلهه الأخرى مثل آمون فى طيبه ورع فى هليوبوليس وبتاح (منف) .. كما أنكرت هذا المنهج التوفيقى .. واتخذت معبوداً واحداً هو "رع".

وفى أحد الاناشيد يَرد أن قرص الشمس خلق بلاد خورى وكوش وأرض مصر وانهِ فجر فيضاناً من الأعماق من أجلَ المصريين وفيضاناً فى السماء من أجل الأجانب . وكان المخطِّط السياسى لإخناتون هو توحيد جميع رعايا الامبراطوريه حول عقيدة مقبولة من الجميع تستند إلى قوة الشمس.

لكن بعد موت إخناتون اعتلى العرش توت عنخ آمون وهو أحد أمراء البيت المالك وزوج إحدى بنات الملك الراحل – وأقام الملك الجديد فى العمارنة ثلاث سنوات (1354 – 1352 ق م) ولم يلبث أن عادت السطوة إلى طيبة وصدر مرسوم يعيد إلى الألهه ممتلكاتها وأعيدت طقوس الخدمة والقرابين وتمت إعادة اسم آمون إلى كل مكان أزاله منه أخناتون وظلت هذه العملية مستمرة حتى عهد رمسيس الثانى.

فرويد وكتاب " موسى والتوحيد

سيجموند فرويد (1856 – 1939) طبيب وعالم نمساوى متخصص فى طب الأعصاب ومؤسس علم التحليل النفسى ، والذى أقام نظاماً لعلاج الاضطرابات النفسية والسلوكية .

وُلد فرويد فى تشيكوسلوفاكيا من أسرة يهودية من الطبقة الوسطى وسُمى Sigmund Solomon ، ولكنه فى عامه السابع عشر تخلص من الجزء اليهودى من اسمه Solomon أو سليمان .انتقلت أسرته وهو فى سن الثلاث سنوات إلى فيينا ، وبعد حوالى عشرين عاماً هاجرت الأسرة إلى مانشستر فى انجلترا. ورغم ولعه بالعلوم الانسانية والفلسفية ، التحق بكلية الطب بفيينا عام 1873 حيث تولت إحدى الهيئات اليهوديه دعمه مالياً . وكان لأستاذه إرنست فون بروك تأثير عميق فى ابداعاته العملية خاصة المتعلقة بالنخاع الشوكى والتى كانت تساهم فى تأييد نظرية النشؤ والارتقاء . وفى عام 1900 نشر كتابه عن تفسير الاحلام ، ولكن كتابه بعد ذلك "Three Essays on the theory of sexuality" أثار جدلاً عنيفاً ورفضاً وكان مضمون الكتاب: الجنس فى الطفولة وتأثيره على التصرفات الجنسيه عند البلوغ . وفى عام 1914 نشر كتاب "تاريخ حركة التحليل النفسى" . وبسبب أفكاره الجريئة ورغم حصوله على الأستاذيه فقد حُرم من كرسى الاستاذيه ومن إلقاء محاضرات رسمية فى الجامعة . ولكنه كُرم بعد ذلك من جامعة كلارك – وفى عيد ميلاده الثمانين أصبح عضواً فى الجمعية الملكية.

***فرويد والنازيه:**

كان لاضطهاد الحركة النازية لليهود تأثير قوى على أعمال فرويد ، فقد هرب معظم مؤيديه من ألمانيا ، كما تم حرق مؤلفاته أمام العامة فى برلين . وكان لهذه الأحداث تأثير على فكر فرويد حول نشأة اليهودية. وكان كتابه " موسى والتوحيد " والذى لم ير النور آن ذاك بسبب السلطة الكاثوليكية فى فيينا التى منعت نشره ، ولكن ظهرت الطبعة الانجليزية بعد تركه فيينا وقبل موته بعدة أشهر ، كان هذا الكتاب مغامره فكرية يحتوى على وقائع يصعب تصديقها أو إنكارها وهو ينسب عقيدة التوحيد اليهودية إلى الـتأثير المباشر لتعاليم أخناتون – ويرى أن موسى كان مصرياً.. من النبلاء المحيطين بأخناتون ، والذى بعد موته رفض المصريون ديانته – وبهذا الموقف رفض المجتمع اليهودى فرويد.

ويرى أيضاً أن موسى زرع أفكار التوحيد بين اليهود رغم المعارضة الشديدة التى لاقاها منهم والتى أدت إلى قتله فى إحدى هذه الثورات المضادة له . لكن تعاليم موسى بقيت وأرسى دعائمها أنبياء أتوا بعده.

وخوفاً من النازيه أضُّطر فرويد أن يهاجر إلى انجلترا واستقر فى مارسفيلد جاردنز ورغم إصابته بمرض السرطان الذى انتشر فى جسده ظل يمارس نشاطه الاجتماعى والأدبى حتى ماقبل وفاته بشهر فى 23 سبتمبر 1939 .

*تعليق:

جاءت أحداث خروج العبرانيين من مصر وماسبقها من أحداث .. ومن الضربات العشر التى أصاب بها الله فرعون والمصريين .. جاءت قبل عصر أخناتون بحوالى قرن من الزمن. وإذا كان

أخناتون قد عاش مابين عامى 1372 ، 1354 ق م .. فتكون ولادته بعد دخول العبرانيين إلى أرض كنعان بحوالى أربعة وثلاثين عاماً . وتكون أحداث الخروج من مصر عام 1446 ق م وماسبقها من أحداث تقارب قرناً من الزمان.

وبلا شك أن هذه الأحداث كانت هامة وتتداولها الألسنة عبر السنين وسمع عنها اخناتون .. الذى كان عنده الاستعداد النفسى والشعور العميق بوجود الإله الواحد .. وبذلك لانستبعد أن يكون هذا الفرعون قد تأثر برسالة موسى ودعوته لعبادة الإله الواحد (الهنا أيضاً نحن المؤمنين).. ودخلت الوصايا العشر إلى قلبه وهى التى تدعو إلى الفضيلة وتضع الأسس لبناء ديانة سماوية توحيدية . وبجوار تعاليم موسى هناك أحداث إعجازيه حدثت بالفعل فى مصر وسيناء كلها تعود إلى قوه خارقة قادرة لايمكن استيعاب العقل لها ، كل هذا جعل اخناتون يعتنق الفكر التوحيدى ويدعو اليه .. لكن فى وقت لم يكن مناسباً لقبول ديانة جديدة (يعتنقها العبرانيون) الذين تسببوا فى كل هذا البلاء للمصريين – عوضاً على النظرة الدونية لهذا الشعب من قبل المصريين . لهذه الاسباب ، وبعد موت أخناتون وفى أول فرصة تم نقض هذه الديانة والعودة الى كهنوت آمون والألهه المصرية الأخرى . إذاً نستطيع القول بأن موسى هو أول من دعا إلى التوحيد وليس أخناتون ، وأن أخناتون من المرجح أنه هو الذى تأثر بموسى وليس العكس.

نعود الآن إلى مقولة فرويد بأن موسى كان أميراً مصرياً ، وبالتالى فهو لم يكن عبرانياً، كما أنه إذا كان موسى قد تتلمذ على الفرعون أخناتون ونقل عنه رسالة التوحيد فإنه إذن لم يكن أيضا نبيا ولا رسولا.

هذه الفكرة بالطبع تحوى إنكارا صريحا لما جاء عن موسى فى الديانات السماوية الثلاث ، ففى التوارة ومختلف فصول العهدين القديم والجديد مايدل على أن موسى تلقى رسالته من عند الله – كما أن القرآن الكريم يورد مكالمة موسى لربه.

من حق فرويد أن ينكر ديانته ، وهو بالطبع لكونه يهوديا كان منكرا للمسيحيه والإسلام ، إلا أننا نراه مناقضا لنفسه فهو عندما ينكر نبوة موسى فإنه ينكر كل ماجاء فى العهد القديم وبالتالى فهو لا يدلنا إذن على نشأة اليهود وأسباط العبرانيين ، وهو برغم كونه لا ينكر وجودهم فى مصر فإن إنكاره لهذه النصوص السماويه بأكملها – بما فيها مثلاً نبوة ابراهيم وأبوته لاسحق ورسالة يعقوب وقصة سيدنا يوسف ومجيئه الى مصر – يجعلنا نتساءل فمن أين إذن جاء العبرانيون ثم نشأ بنو اسرائيل والشعب اليهودى ؟ من حقه أن ينكر مايشاء ويصدق ما يشاء لكن الذى نختلف معه فيه هو أن يقسم ديانة سماوية كهذه إلى قسمين ينفى أحدهما ويؤمن بصدق الأخر ! .

قد ذهبت بعض المصادر المعاصرة إلى أن موسى اسم مصرى ، وأن نطقهالاصلى هو "موسيس" وأن اسم رمسيس – الذى هو بالطبع كلمة هيروغليفيه الاصل – يأتى من (رع – موسس) يعنى رع يولد من جديد ، وأن "موسس" اسم أطلق على موسى عندما عثروا عليه وليداً ، ومعروف أنه نشأ فى كنف فرعون على أنه أمير مصرى ولكن أصله ظل معروفاً ولعل قسماته – كطفل أسيوى العرق – كانت تختلف عن ملامح المصريين القدماء والتى مازلنا نراها فى وجوه العديد من الأقباط المصريين الذين لم يخالطوا مسيحيين غير مصريين . إلا أن هذا بالطبع أمر بعيد جداً فى أعماق التاريخ ولا يوجد فيما تركه الفراعنة من رسوم – مماهو متاح لنا – ما يساعد على التحقق منه.

*مدائح لآمون:

قد لا يختلف أحد على أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة وثنية ، لكنها تكشف جانباً هاماً وخطيراً فى علاقة الإنسان بالله وكان دائما هناك إحساس دفين يربط الله بالإنسان بحيث يمكن القول أنها رحلة أدم داخل تطور العقائد السامية فى منطقة الشرق الأوسط .

ومن قبل أخناتون .. آمنت الديانة المصرية القديمة بالخلود والبعث .. وحتمية الثواب والعقاب – كما آمنت بأن البشر يحوون قبساً آلهياً.

ومن الابتهالات التى وُجدت فى المقابر ودُونت فى البرديات :

1- التحية لك ياقرص أتون النهار الذى خلق الناس وجعلهم يعيشون – الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته دون أن ينجبه سواه – الراعى القوى الذى يقود قطيعه.

2- إن آمون بداية بدء ، أوحد ، إنك الأوحد الذى صنع كل مايوجد – الواحد وهو يظل أوحد ، الذى صنع الكائنات ، ذلك الذى بدأت صيرورته أول أمره ، آمون الذى أنجب نفسه فى البدء دون أن يُعرف سره ، لم يوجد إله قبله ولم يكن يوجد إله آخر معه ، ولم تكن له أم لتضع اسمه، ولم يكن له أب نسله وقال هذا هو أنا ، ذلك الذى قام بنفسه بصنع بيضته ، القوى الغامض الميلاد الذى خلق جماله ، الإله الإلهى الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته.

3- أنه خفى عن الآلهه ، لايعرف المرء مظهره ، إنه أبعد من السماء ، إنه أعمق من الجحيم ، إن أى إله لا يعرف شكله الحقيقى – إن صورته لاتبسط فى مطوى الكتب ، له بالغ الخفاء حتى أن مجده لايكشف ، أنه أكبر من أن يفحص ، وأعظم من أن يعرف – إن المرء ليسقط فى الحال ميتاً من الرعب إذا تلفظ بإسمه الخفى الذى لايستطيع أحد معرفته.

4- والى آمون ايضاً " الإله المحبوب الذى يصغى الى تضرع البسطاء ، والذى يمد يده إلى المتواضع والذى ينقذ الضعيف ، والذى يصغى إلى ابتهالات المصلين والذىيقبل على صوت المِعْوَز المكروب والذى يمنح الحياة حتى إلى الشرير".

5- ابتهال إلى تحوت : " إننى انا الذى ردد قسماً كاذباً أمام الإله القمر تحوت والذى جعلنى ادرك عظمة قوته امام جميع الأرض" أنت أيها الواحد الرحيم – إنك قادر أن ترفع هذا البلاء عنى".

6- وابتهال الى اوزوريس " إن تربة الأرض فوق ذراعيك ، وأركانها تستقر فوقك حتى عمد السماء الأربعه . إنك أب الناس وأمهم ، إنهم يعيشون بأنفاسك إنهم يطعمون لحم جسدك – الإله الأزلى هذا هو اسمك ".

(قارن هذه المدائح ، بمزامير داود النبى ، ص 147).

إذاً كان الكل يؤمن بإله واحد قدير .. لكن هناك آلهه أخرى !! ويمكن تفسير ذلك بما يقال عن الله إنه رب الأرباب وملك الملوك .. وأن الله فوق عرشه يحيط به الملائكه ورؤساء الملائكة والقوات السمائية.

ونجد العقاد فى كتاب (الله) يقول " إن التطور فى الديانات محقق لاشك فيه . أما التوحيد فهو نهاية تلك الأطوار كافة فى جميع الحضارات الكبرى ، فكل حضارة منها قد آمنت بإله يعلو على الإلهه قدراً وقدرة ، وينفرد بالجلالة بين أرباب تتضاءل وتخفت حتى تزول ، أو تحتفظ ببقائها بين زمرة الملائكة التى تحف بعرش الإله العلى ".

لذلك يكون أخناتون لم يأت بجديد .. ولعل ثورته الدينيه لم تكن فى خلفيتها الاَ إنقلاباَ سياسياَ .. موجهاً ضد كهنة آمون الذين كانوا يتمتعون بسلطات مطلقة جلبت لهم الثراء . فكانت حركة أخناتون لتحجيمهم وتفريقهم كمراكز قوى تتدخل فى أمور الدوله.

الفصل الرابع

الدخول إلى أرض كنعان

1406 ق م

فى هذا الوقت كان الجيل الأول قد انتهى وظهر جيل جديد يقف عند حدود أرض كنعان مستعداً لدخولها – وقد جعلت الأمم المجاورة بنى اسرائيل يعبدون آلهة أخرى . ولولا وجود موسى ورد فعله السريع لما دخل شعبه كنعان.

*احصاء بنى اسرائيل الثانى:

" وقال الرب لموسى وألعازر بن هرون الكاهن . إحصيا كل جماعة اسرائيل من ابن عشرين سنه فما فوق من القادرين على التجنيد فى جيش اسرائيل حسب انتماء كل منهم لسبطه " (عدد 26 : 1 – 2).

هذا هو التعداد العظيم الثانى فى سفر العدد وقد أُجرى لإحصاء عدد الرجال القادرين على الذهاب للحرب . وقد أحصى التعداد الأول (عدد 1 ، 2) العبرانيين الذين خرجوا من مصر ، وعندما انقرض الجيل الأول فى البرية لزم إجراء تعداد آخر لإحصاء الجيل الجديد الذى يوشك أن يغزو أرض كنعان . وقد أظهر التعداد الجديد أنه مع موت أكثر من ستمائه ألف رجل فى البرية فإن الجيل الجديد زاد بنفس العدد تقريباً (عبر حوالى ثمان وثلاثون سنه).

وقد شمل هذا التعداد تفاصيل أعداد الإسرائليين فى كل سبط من الإثنى عشر سبطاً ، كما تم إحصاء عدد اللاويين وهؤلاء لم يحصوا مع بقية الإسرائيليين لأنهم لم يرثوا نصيباً فى أرض كنعان وكانوا يحصلون على رزقهم من عشور الشعب ، وقد منحهم الشعب بيوتاً وقطعاناً ومراعى مقابل القيام بالأعمال الكهنويته.

*تطهير الأرض "تقول التواره":

أمر الله موسى أنه قبل أن يستقر شعبه فى أرض كنعان عليهم أن يطردوا الشعوب الشريره وأن يحطموا أصنامهم – إذ كانت عبادة الأوثان ممارسة ظاهره لشهواتهم الموغلة فى الشر . وقد حذر الله العبرانيين انهم إن لم يطردوهم فسيكون هذا سبب ازعاج عظيم لهم فيما بعد.

*يشوع القائد الجديد:

أشرف يشوع بن نون وألعازر الكاهن .. فضلاً عن رئيس واحد يمثل كل سبط على تقسيم الأرض المرتقبه بين الأسباط . ثم طلب موسى أن يختار كل سبط رجالاً حكماء عقلاء ليكونوا هم القاده.

وفى خطابه الثانى لشعب اسرائيل استعرض موسى تاريخ تجوالهم وقرأ عليهم الوصايا العشر وسائر الشرائع الأخرى وحثهم على طاعة الله والشريعة.

وبذلك عندما أيقن موسى أنه على وشك الموت – أقام يشوع خليفة له وسجل الشرائع .. وأعد الشعب للرحيل .. ونظم صورة الحكم بإختيار الحكام لكل سبط وبذلك ترك الساحة ممهدة ومرتبة لقيام أمَّه.

لقد ارتحل بنو اسرائيل فى البرية اربعين سنه لكن ليس لأنهم كانوا يتبعون قائدهم بل كان العكس هو الصحيح ، فقد أبوا أن يطيعوا الله وموسى وقائدهم وأن يدخلوا أرض كنعان عندما أتيحت لهم

الفرصه أول مره ، لذلك تاهوا فى البرية والأن أصبح الجيل الجديد بقيادة يشوع مستعداً لعبور الأردن – وكان يشوع قائداً عسكرياً فريداً كما كان له تأثير روحى على الشعب.

*دخول أرض كنعان تقول التوراة :

بعد عبور نهر الأردن .. عسكر العبرانيون فى " الجلجال " (تل المغجر)غرب الأردن ، وقد جعلها يشوع القاعدة لشن غزواته . ثم أتجهوا إلى اريحا واستولوا عليها ثم نجحوا فى الاستيلاء على مدينة عاى . وكان هذا المحور الأوسط فى كنعان ضرورة استراتيجيه إذ أن الاستيلاء عليه يفصل بين مدن الشمال ومدن الجنوب – ثم قام بالاستيلاء على مدن الجنوب – ثم تلاه بحملة الشمال وكانت أكثرهم شراسة – وتحرك بجيوشه من مدينة الى مدينة مطهراً البلاد من كل أثر لعبادة الأوثان .

*تعليق:

هناك سؤال: لماذا تم تطهير الأرض من الأوثان بالسيف ؟ ألم يكن ممكناً اتباع اسلوب آخر مثل التبشير!؟.

*تقسيم الأرض بين الأسباط:

بعد أن تقدم العمر بيشوع وبلغ التسعين من العمر وبعد أن دخل الشعب واحتل الأرض –جاءت المرحلة الأخيره فى مهمة يشوع وهى تقسيم الأرض بين الأسباط وقد كوفىء يشوع بأن أعطى المدينة التى طلبها فى جبل أفرايم.

وكانت المهمة الأخيرة تحديد ست مدن للملجأ وهى المدن التى يهرب إليها كل من قتل نفساً دون قصد ويقيم فيها حتى موت رئيس الكهنة فيكون هناك آمناً (عد 35 : 9) وهى أيضاً مدن الكهنة كما خُصصت ثمانيه وأربعون مدينه لسكن اللاويين القائمين بالمهام الدينيه.

وقد استمرت الحرب داخل أرض كنعان سبع سنوات – قبل أن تستقر الاحوال لبنى اسرائيل.

***كنعان قبل الغزو:**

كانت أرض كنعان ممراً لقوافل التجار ومعبراً للجيوش المتحاربة ، وسكن الأرض خليط من الشعوب ونزحت إليها قبائل من الشمال وخاصة من صور وصيدا وسُمى سكانها بالكنعانيين حيث كانوا السكان الرئيسيين .

كما كانت هناك قبائل من الأموريين تسكن كنعان بخلاف الحيثيين والحوريين والفرزيين والجرجا شيين واليبوسيين (تث 7 : 41 يشوع 3 : 10).

وكانت مدنهم حصينه محاطة بالأسوار – وكان من الشرق يقطن العمونيون والمؤابيون ونهر الأردن يفصل بينهم.

وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة وجود ممالك كنعانية سبقت دخول الاسرائيليين وأُكتشفت آثارها فى ابلا (تل مرديخ) وترجع إلى النصف الأخير من الألف الثالثه قبل الميلاد. وقد خضعت فى الالف الثانية قبل الميلاد للنفوذ المصرى وأصبحت ولاية تابعة للدولة الحديثه . وقد أكتُشفت مدينة أوغاريت بالقرب من اللاذقية – حيث تم الكشف عن مقبرة كبيرة وقصر ملكى ومكتبة . كما قامت بعثة فرنسية عام 1929 م بدراسة المنطقة أماطت اللثام عن حياة الكنعانيين وحضارتهم وثقافتهم

وعقائدهم ، كما أوضحت أن هذه الأرض لم تكن إقليماً متجانساً – بل تجمعات تسكن فى مدن محصنة يحكم كل منها ملك ولها جيشها الخاص.

أما عن عبادتهم فقد كانت وثنيه – تبيح السكر والزنى كما كانت تمارس عادة تقديم الذبائح البشريه وقد اكتشف فى عمان أعداد كبيرة من عظام أطفال محروقة قدمت للإله مولك وكموش إله المؤابيين (ملوك أول 11 : 5).

وكانوا يعبدون الأصنام على مايُسمى المرتفعات – كما أكتُشفت مذابح بشرية فى جازر وحاصور حيث كان يُعبد البعل وعشتاروت وداجون.

وكلمة " كنعان " كلمه حورية تعنى الصبغ القرمزى ، وهو الصبغ الذى كان الكنعانيون يصنعونه ويتاجرون فيه.

والكنعانيون من نسل كنعان بن حام بن نوح وبذلك يكونون حاميين رغم أنهم ساميون ، هاجروا من شبه الجزيرة العربية وسوريا فى شكل هجرات مكثفة فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد.

وقد ضمت مصر أرض كنعان إلى نفوذها فى الأسره الثانية عشرة وغزاها الحوريون فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

وأيضاً امتد نفوذ تحتمس الثالث إلى أرض كنعان ، ومع ضعف الدولة فى عصر اخناتون تسلل الخابيرو إلى أرض كنعان – وفى الأسره التاسعة عشر أعيد ضمها إلى مصر.

الشرق الأدنى حول كنعان

***الهكسوس:**

جماعة ذات أصل ساميّ ، وهم أسيويون خليط من العموريين والكنعانيين والحوريين – ويطلق عليهم (الملوك الرعاة) . وقد تسللت هذه القبائل إلى شرق الدلتا – فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ق م – بسبب الملوك الضعاف فى الاسرة الرابعة عشر . وقد احتفظ الوافدون الجدد بنظامهم وعاداتهم العسكرية لكنهم تأثروا بالحضارة الفرعونية ، واتخذ بعضهم اسماء مصرية بينما احتفظ البعض الآخر باسمائهم الأصلية ومنها يعقوب ، حبير ، ويعقوبيم ، وعاناتٍ التى تدل على ولاء أصحابها لآلهة سامية وأحياناً يطلق الأمراء على أنفسهم لقب "ابن رع" ويلقَّبون "حكاخاسوت" أى رئيس القبائل الأجنبية ومن هذا اللقب اشتق المؤرخ مانيتون اسم هكسوس وأطلقه على الأسرات البربرية التى خلفت الأسره الرابعة عشر ، وفتحت مصر أثناء حكم ديدوميس الثانى (حوالى 1675 ق م). ويورد المؤرخ ما ارتكبه هؤلاء الرُحَل القساة من جرائم بشعة فى أثناء الفتح . ونُصب أحد أمرائهم " ساليتيس " على العرش وأسس الأسرة الخامسة عشره ، واتخذ مدينة " أواريس" على الحدود الشمالية الشرقية عاصمة عسكرية . وبسبب سطوتهم تمكنوا من الوقوف فى وجه أية هجرات جديدة من أرض كنعان ومن العبرانيين . واستمر حكم الهكسوس فى الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشره ، ولم يكن لدى ممثلى الأسرة السابعة عشرة الطيبية المصرية إلا نفوذ ضئيل ، حتى مَلك " سوبك امساف " الثانى والارجح أن هذا الملك هو الذى دفع بالهكسوس إلى شمال مدينة القوصيه (المنيا).

ثم يأتى الملك "كاموسى" ليعلن أن الأمة يجب أن تتحد تحت قيادته ويتصدى لقتال الهكسوس ويهزمهم عند هرمو بوليس ثم يحرر مدينة منف ، وفى عام 1580 ق م استولى أخوه الملك أحمس على عاصمة الأعداء (أواريس) – ولم يبق بعد ذلك سوى سيد بلاد كوش ومقره فى بوهن وتمتد مملكته من كرمة إلى الفنتين فتوغل أحد القواد العسكريين المصريين حتى منطقه توشكا جنوب مصر حيث سجل على الصخر اسمىْ الملكيْن كاموسى وأحمس.

***الحيثيون:**

الحيثيون شعب قديم نشأ فى آسيا الصغرى فى الألف الثانى قبل الميلاد وبسطوا نفوذهم على الشرق الأدنى القديم .. وخرجوا عام 1650 ق م من الأناضول واستولوا على شمال سوريا وحلب وهزموا حمورابى فى بابل عام 1600 ق م – وتدهورت المملكة الحيثية بسبب الصراعات الداخلية لكنهم استعادوا قوتهم وأسسوا المملكة الثانية حوالى (1450 – 1400 ق م) وبسطوا نفوذهم على آسيا الصغرى وسورياولبنان ، وأصبحت المنطقة حلبة صراع بين الحيثيين والمصريين على سوريا . وبعد قرنين ونصف قرن من الزمن ضعفت واستقلت البلاد التابعة لها فى عام 1200 ق م .. وبعدها ظهرت ممالك صغيرة متفرقة كانت قرقميش أهمها .

***الأكاديون:**

هم من أقدم الاقوام السامية التى استقرت فى دلتا الرافدين (2350 – 2159 ق م) بمدينه " اكاد " التى تأسست عام 2370 ق م ، شمال بلاد بابل على الجانب الأيسر من نهر الفرات . عاش

الاكاديون منذ اقدم العهود مع السومريين ، وآلت اليهم السلطه نحو عام 2350 ق م بقيادة زعيمهم سرجون الاول وجعل أكاد (اكد) عاصمته عام 2800 ق م .

استطاع سرجون أن يفرض سيادته على جميع مدن العراق ، ثم بسط نفوذه على بلاد بابل وشمال بلاد مابين النهرين وعيلام وسوريا وفلسطين والاناضول ، وامتد هذا النفوذ الى الخليج العربى ، وبذلك اسس أول امبراطوريه معروفه فى التاريخ – جعل اللغه الأكاديه تحل محل اللغه السومريه (والاكاديه خليط من السومريه والساميه) ، وظلت هذه اللغه سائده فى الشرق الادنى طوال 2000 عام .

وكان يطلق على سرجون لقب " شروكين " أى الملك الصادق ،ويقال أن أمه كانت من نساء المعبد ، وحين ولادته وضعته فى سلة وألقت به فى مياه الفرات، حيث عثر عليه بستانى ورباه ، واستهوت الطفل الإلهة عشتار فشملته بعطفها وحبها .

وشهدت البلاد فى عصره انتعاشاً اقتصادياً كبير بسبب توسع العلاقات التجاريه خاصه مع منطقه الخليج العربى ، كما انتظمت القوافل وكان اهمها طريق مدينه أكد وسط العراق الذى يصلها بمناجم النحاس فى بلاد الاناضول ، وكان النحاس له اهميته فى صناعة الادوات والمعدات الحربيه.

***الكلدانيون:**

هم الأراميون المقيمون فى كلده جنوب وادى دجله والفرات ، وبسطوا نفوذهم على المنطقه فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد . وقد قام هذاالشعب بإسقاط حكم الأشوريين وتأسيس المملكة الكلدانية فى القرن السابع قبل الميلاد – وقد أسس نبوخذ نصر امبراطورية ضخمة تمتد من أشور حتى حدود مصر وهو الذى قضى على المملكة اليهودية الجنوبيه وسبى أهلها إلى بابل عام 586 ق م.

*الأراميون:

شعب سامى استقر فى منطقة بلاد الشام حول حوران ، وهم من نسل " أرام " بن سام بن نوح ، وهناك علاقه بينهم وبين العبرانيين. وقد أقاموا عدة ممالك شرق الفرات وفى الشام وسهل البقاع . وفى نزاعهم مع الأشوريين استولى الاشوريون على دويلات أراميه .. ثم استمرت المعارك ونجحت بعضها فى الانتصار على الأشوريين. وقد تأسست الدولة البابلية نتيجة للتحالف الذى قام بين الكلدانيين والميديين.

*الحوريون:

أقوام مجهولة الأصل ظهروا فى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد – هاجروا إلى فلسطين حيث أسسوا عدة إمارات – وقد قام نزاع بينهم وبين المصريين . جاء فى التوراة أن الحوريين اشتبكوا مع العموريين والكنعانيين وبعد ذلك طردهم الأدوميون . وقد اختفى الحوريون فى القرن السادس قبل الميلاد.

*الفينيقيون:

شعب سامى .. استوطن عدة مدن على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط ، وعند سفوح جبال لبنان – وقد سيطر المصريون على فينيقيا عقب طرد الهكسوس . ثم استقلت فينيقيا .. وتحالف حيرام ملك

صور مع سليمان. وقد توالى على فينيقيا البابليون والفرس واليونانيون ثم العرب.

الفلستيون أو الفلسطينيون أو شعوب البحر .. أتت من اليونان والأناضول وصقلية وكريت واستوطنت شاطىء فلسطين الجنوبى الغربى فى خمس مدن – أشدود وغزة وأشقلون وجت وعقرون . وكانوا دائما يزحفون إلى الداخل فى مواجهة بنى اسرائيل . وقد احتكر الفلسطينيون صناعة الحديد والحداده – فكانت سيطرتهم القوية على تكنولوجيا صناعة الحديد ، مع غاراتهم المفاجئة ، سبباً فى اضعاف معنويات بنى اسرائيل ، وهزموها أيام حكم القضاه واستولوا على اجزاء من المنطقه التى سميت فيما بعد فى اسرائيل باسم المملكة الجنوبيه . وفى القرن السابع قبل الميلاد خضع الفلستيون لسلطان أشور ثم لسلطان مصر ثم بابل . ومن أبطال الفلسطينين وجبابرتهم كان جليات الذى قتله داود ، بأن قذفه بحجر فى عينه (عين جالوت).

*الخابيرو:

جماعات مهاجرة عاشت حياة التجوال كجنود مرتزقة ، تزاوجوا واختلطوا بغيرهم من الأجناس.

*عابيرو:

ذكر هذا الاسم فى الآثار المصريه بين منتصف القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ومعناها " عبد " – كما تشير الكلمه إلى العمال الذين استخدموا فى السخره – وفى نصب تذكارى أقامه امنحتب الثانى اشارة إلى انه أسر ثلاثة آلاف وستمائه من الـ " عبيرو"، أثناء غزوة قام بها فى كنعان.

ويقرن بعض المؤرخين هذه الكلمة بكلمة " خابيرو " التى ذُكرت فى المدونات الاكادية ، وتُقرن أيضاً بالعبرانيين.

*مصر:

يرتبط تاريخ مصر بهذه المنطقة منذ بداية التاريخ الإنسانى ، وكان فراعنة مصر يلعبون دوراً كبيراً فى تحديد سياسة الدولتين العبرانيتين وهما المملكة الشماليه والمملكة الجنوبية – وإلى مصر حدثت الهجرات المتواصلة بحثاً عن الماء والطعام أيام المجاعات والجفاف.

وكان ملوك العبرانيين يبادلون الخيول المصرية بالجنود العبرانيين ، فكانوا ضمن جيش من المرتزقة كوّنه بسماتيك الأول (664 – 610 ق م) ونجح فى طرد الغزاة الأشوريين . وفى عام 605 ق م أقيمت مستعمرة إلفانتاين (فى أسوان حالياً) لحماية حدود مصر الجنوبية استوطن فيها بعض العبرانيين.

وتواصلت الحملات المصرية نحو الشرق الأدنى عبر الأسر المختلفة ، فقام امنحتب الثانى بغزو فلسطين وسوريا – ثم عقد امنحوتب الثالث معاهدة مع مملكة ميتانى الحورية .. وبعد موت توت عنخ آمون هزم الحيثيون مصر واستقلت فلسطين لبعض الوقت.

وفى عهد الرمامسه من ملوك الأسره التاسعة عشره ، عادت السيطرة المصرية على فلسطين – وخاض رمسيس الثانى حرباً ضد الحيثيين فى معركة قادش عام 1288 ق م والتى تم بعدها تقسيم الشام إلى قسمين : الشمالى للحيثيين والجنوبى شاملاً فلسطين للمصريين.

وعند تراجع النفوذ المصرى – إتحدت القبائل العبرانية وكونت المملكة المتحده وقد شهد عهد سليمان استقراراً بسبب ضعف النظام الحاكم فى مصر ذلك الوقت.

الفصل الخامس

قيام الدوله

1406 ق م

دخل العبرانيون أرض كنعان – ويورد سفر القضاة قصة إسرائيل من موت يشوع حتى صموئيل النبى . وتبلغ حوالى أربعة قرون – وكان أول ذكر لإسرائيل على نصب مرنبتاح سنة 1230 ق م ، كما جاء فى تاريخ الفراعنة أن رمسيس الثالث هزم جيوش البحر (الفلسطينيون وغيرهم) سنة 1191 ق م . وطبقاً لما جاء فى التوراه تم تجميع بنو اسرائيل فى أرض كنعان كشعب اختاره الله (فى البدء) لكى ينشر كلمه الله الإله الواحد ولمحاربة عبادة الأوثان وتعدد الآلهه. لكن هذا الشعب كانت لاتمر عليه عدة سنوات حتى يعود لعبادة الأوثان والبعد عن الله .. وظل هذا الشعب طوال تاريخه كما تصفه التوراه نفسها شعباً صلب الرقبه لايتبع تعاليم موسى التى أعطاها له الله فى صورة الوصايا العشر. ولم يؤمن هذا الشعب بنبوءات العهد القديم ولم يعترف بالسيد المسيح الذى قيل عنه انه جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله – وكان حكم الله عليهم بالشتات بعد هدم الهيكل عام "70 " ميلاديه وبالطبع ماعادوا شعباً مختاراً لله.

بعد أن دخل الاسرائيليون كنعان لم يفلحوا فى اخضاع كل الشعوب التى تعيش هناك واكتفوا فى أماكن كثيره بفرض الجزية (قض 1 : 27) - وقد كانت هناك تهديدات من دول الجوار مثل الفلسطينيين وهم محاربون أشداء يستوطنون السهل الساحلى فى مدنهم الخمس الحصينه، ويحتكرون صناعة الحديد ، كما كانت هناك تهديدات من ملوك الشمال ومن العمونيين والمديانيين والمؤابيين والعمالقه.

وفى وقت انعدمت فيه السلطة المركزية ولم يكن هناك ملك لإسرائيل أو أى تنظيم قومى أو نظام حكم دستورى – سادت الفوضى بين الأسباط الاثنى عشر .. الذين يتصارعون ولايتحدون إلاّ للدفاع المشترك ضد الغزوات الخارجية – لكن فى الوقت نفسه كانت هناك روابط جوهرية منعتهم من أن ينقسموا إلى أثنتى عشره أمة صغيرة منها : الأصل المشترك والتاريخ القومى والدين الواحد فى خيمة الاجتماع فى شيلوه والكهنوت والذبائح والأعياد السنوية .. كل هذه الروابط ظلت كامنة حتى قام لهم أول ملك وهو شاول.

ومن قبله ظهر القضاة أبطالاً يخلِّصون الشعب من يد الأعداء .. فحيناً كان يرتد الشعب عن الله كان يدفعهم إلى يد أعدائهم .. وفى مذلتهم يتوجهون إلى الله فيرسل لهم هؤلاء القضاه . ولم يكن القضاة مجرد مستشارين قضائيين بل كانوا رجال حرب يحافظون على ما استولوا عليه من الأمم المجاورة – ومنذ ذلك الوقت ابتدأ اسم الاسرائيليون يحل بدلاً من اسم "العبرانيون" (قضاه 1:1).

*العبرانيون وفن الهندسة المصرى:

عندما دخل اليهود أرض كنعان ، وعندما بدأ تقسيم الاراضى بين الاسباط كان لابد من الاستعانه بأشخاص لهم باع طويل فى الهندسه ، وهو مايقوله يوسيفوس " بعث جوشوا برجال لكى يقوموا بقياس الأرض وكذلك بأشخاص مهره فى الهندسه " – وكانت مصر تعتبر مدرسة لليهود فى هذا العلم كما كانت فيما بعد بالنسبة لليونان.

*بدِاية فن الهندسه فى مصر:

وفقاً لهيرودوت فإن المصريين كانوا يتمتعون فى عصر سيزوستريس (الاسرة الثانيه عشر – عام 1970 ق م) .. بنسبة متساويه من الاراضى ، وعندما ارتفع النيل نتيجه للفيضان السنوى قام المساح بقياس انخفاض الارض – وقد تم اختراع هذا الفن فى عصر كان للنيل فيه فيضان عظيم مما أدى إلى اختلاط الحدود الوراثيه – وتم الاستعانه بفلاسفه لتوضيح هذه الحدود وهؤلاء قاموا بتقسيم الأقاليم الى خطوط ومن هنا جاء اسم الهندسه ، التى لاتقوم بقياس الاراضى فحسب ، بل البحار والفضاء ايضاً . وكانت المشكله القائمه فى ذلك العصر ، أن الاراضى التى اختفت بعد الفيضان ثم عادت إلى الظهور – عندما عاد النيل الى وضعه الطبيعى – كان من الصعب على السكان ان يميزوا املاكهم مما دفع بالمصريين الى اختراع طرق لقياس الاراضى قياساً صحيحاً.

وبذلك لم يكن المصريون ماهرين فى مسح الاراضى فقط بل فى الهندسه ايضاً وكانت نظريات الهندسه والحساب مألوفه بالنسبة لهم وكانت جزءاً أساسيا من تعليم الأطفال ، وقد قام فيثاغورس وهو من نفس المدرسه بإقتباس هذه النظريات التى اسندت اليه – وقد قضى عشرين عاماً فى مصر لدراسة الهندسه.

وقد اتقن فيثاغورس حساب المثلثات ونقله الى اليونانيين كما جاء إلى مصر ايضاً ديودور الصقلى وهيرودوت وافلاطون – حتى ارشميدس زار مصر ايضاً واستفاد من علوم المصريين.

والانشاءات الضخمه والمعابد المصريه لايمكن أن تقام دون أن يكون هناك عناصر للهندسه أو دون الفرجار (مثلا) وغيره من الأدوات.

ويتفق المؤرخون على أن مشروع وصل البحرين اللذين يحيطان بمصر قد تم تأجيله عند المصريين القدماء خوفاً من غرق البلاد لأن مياه البحر الأحمر كانت أكثر ارتفاعاً من الارض – وقد اكد الفرنسيون بعد ذلك هذه الحقيقه حيث وجدوا فارقاً بين البحر الأحمر وسهل الاهرامات يقدر بأربعة اقدام وثلاث بوصات . اما عن بناء الهرم الاكبر فذلك يمثل مجموعه كبيره من المعطيات الهندسيه المعقده التى لامجال لذكرها فى هذا الموضع ، لسبب بسيط هو عدم قدرة كاتب هذه السطور فى استيعاب حساباتها المعقده.

*المعارك ضد الاسرائيليين:

بعد دخول أرض كنعان ولأن الشعب الاسرائيلى لم يقم بالاستيلاء على هذه الأرض تماماً من الكنعانيين .. تواجدت بؤر معادية .. شجعت بعض الأمم المجاورة على شن غزوات ضد الشعب الاسرائيلى . وقد كانت هناك ست غزوات الأولى من الشرق (قضاه 3 : 5 -11) قام بها كوشان ملك ما بين النهرين واستمرت ثمانى سنوات ثم تم طرد المهاجمين وساد الاستقرار أربعين سنة.

والثانية قامت بتحالف يضم المؤابيين والعمونيين بقيادة عجلون ملك مؤاب واستمرت هذه الغزوة ثمانى عشرة سنة وانتهت على يد " أهود " ثانى القضاه الاسرائيليين الذى قتل عجلون ، وبذلك استقرت الأوضاع فى هذه الأرض ثمانين سنة.

أماالغزوة الثالثة فقد كانت على يد الكنعانيين الذين استعبدوا الإسرائيليين عشرين سنة (قضاه 4 : 25) وأدار هذه الحرب يابين (وهو لقب لملوك كنعان وليس اسم الملك نفسه كما يقال فرعون فى مصر) بقيادة سيسرا رئيس الجيش والذى جند جيشاً عظيماً من الفرسان والعربات الحديدية التى بلغ عددها 900 مركبه . لكن العبرانيين تصدوا لهم بجيش كبير بلغ عشرة الاف رجل وكانت

تحكمهم فى هذا الوقت " دبوره " ، اما باراق فقد كان قائداً حربياً . وقد ساهم فى انتصار العبرانيين فى هذه الموقعة هبوط الأمطار مما جعل الأرض طينيه وأعاقت تقدم المركبات.. وهرب سيسرا ولكن كانت نهايته على يد امرأة تدعى "ياعيل" وتوقف القتال اربعين سنه.

الغزوه الرابعة على يد المديانيين من الشرق (قض 6 : 8) وهم بدو، والعمالقة وهم قبائل من عرب الصحراء – وكانوا يزرعون الرعب فى قلوب العبرانيين بسبب هجمهاتهم الخاطفة وقت الحصاد حين ينهبون المحاصيل ويقتلون الأفراد . وقد قاد العبرانيين فى هذه الحرب هذه المرة قاض يدعى جدعون انتصر فى معركته وتتبع الفلسطينيين خارج أرض كنعان التى خلت من الحروب أربعين سنه أخرى.

والغزوة الخامسة كانت من الشرق على يد العمونيين (قض 11 ، 12) وتقول التوراه ان الاسرائيليون كانوا فى ذلك الوقت قد زاغوا عن الإيمان وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة آرام ومؤاب – وعانوا ثمانى عشرة سنة من غزوات العمونيين – وقاد الحرب فى هذه المرة رجل من جلعاد يدعى "يفتاح" كان شريراً وإبن زانيه لكنه كان جندياً كفئاً استطاع أن يطرد العمونيين.

أما العداء الفلسطينى لهذا الشعب فكان متميزاً .. فلم تسلم فترة واحدة من هجمات خاطفة ضد العبرانيين يقومون من خلالها بالقتل والنهب والإستيلا ء على المحاصيل .. خاصة فى الجنوب فى نواحى أسباط شمعون ودان ويهوذا. وكان الفلسطينيون يستوطنون فى خمس مدن على ساحل البحر الأبيض (صموئيل أول 6 : 17)- وكانت معركتهم الأخيرة هى الغزوة السادسة الهامة على الاسرائيليين خلال حقبة القضاه . وكان سر تفوق الفلسطنيين الحربى هو استغلال الحديد لصناعة الاسلحة وكذلك المركبات الحربية بينما كان النحاس هو المعدن المستخدم فى صناعة السيوف الإسرائيلية.

ربما تكون هذه المعارك ضد الإسرائيليين في العهد القديم صارت جذورا للمعارك الأسرائيلية الأنتقامية في العهد الحديث في هذه الأيام .

وجدير بالذكر أن الصراعات العسكرية لم تقتصر على العدو الخارجى بل كانت ايضاً من الداخل وبين الأسباط – ومن أهم هذه الصراعات ، ماحدث من هجوم على أرض سبط بنيامين التى رغم صغرها كانت أرضاً مخصبة ، فأعظم المصائب التى حدثت لقبيلة بنيامين ماجرى اثر اغتصاب سَريَّة رجل لاوى فى مدينة "جبعه بنيامين" مما تسبب فى موتها . ولم تكن الجريمه الموصوفه أسوأ خطَايا اسرائيل ، فقد كان الأسوأ منها فشل الأمة فى إقامة حكومة على أساس مبادىء الله الإخلاقيه – لكن فى هذه المره تألب بنو اسرائيل جميعهم من دان فى الشمال إلى بئر سبع فى الجنوب وقامت عدة معارك انتهت بمقتل خمسة وعشرين ألف رجل من بنيامين وتمكن ستمائة رجل منهم من الهرب – وارتد بنو اسرائيل إلى مدن بنيامين وقضوا على أهاليها وبهائمها واحرقوها بالنار!! .

نتائج هذا الإغتصاب والقتل كان يجب ألا تتعدى المجتمع الذى حدثت فيه – فكان يجب أن يُقَدَّم الرجال المسئولون عن تلك الجريمه للعدالة وان يعالَج الانحلال الذى سمح أساساً بوقوع الجريمة لكن عوضاً عن ذلك دافع رجال المدينة أولاً ثم السبط كله عن هذا الشر وتمادوا فى الأمر إلى درجة الدخول فى حرب.

*صموئيل النبى آخر القضاه:

امتد الفساد الاجتماعى والروحى فى أواخر حكم القضاه ليشمل الشعب والكهنوت – فكان الشعب يذهب لخيمة الاجتماع وهم سكارى . وكان عالى الكاهن قاضياً فى اسرائيل ورغم نقائه كان ابناه حفنى وفنحاس فاسدين ، على نحو ماورد فى سفر صموئيل الأول.

وُلد صموئيل عام 1105 ق م من أم عاقر وهى "حنه" فنذرته للرب .. وتربى الطفل فى خيمة الاجتماع فى "شيلوه" بالقرب من أورشليم – وهى مدينة مؤمنه لم يسكنها الكنعانيون فخلت من العبادة الوثنيه.

وفى هجوم فلسطينى فى معركة قرب (حجر المعونة) هُزم الاسرائيليون شرهزيمة – وعندما استعان الاسرائيليون بتابوت العهد – سقط هذا التابوت فى أيدى الفلسطينيين وبداخله نسخة من الشريعة وقُتل ابنا الكاهن عالى الذى سقط ميتاً عند سماعه هذه الأخبار – وانتقلت رئاسة الكهنوت من بيت عالى إلى بيت صادوق (صم 8 : 17).

أشار الكهنة على الفلسطينيين أن يعيدوا تابوت العهد إلى اسرائيل خشيه اللعنة فاستجابوا لذلك وعاد التابوت إلى " شيلوه " .. ولما كانت هذه البلدة خربة بعد الهجمات الفلسطينية الأخيرة نُقل التابوت إلى كيريات يعاريم.

بدأ صموئيل خدمته مساعداً " لعالى " الكاهن – فكان يفتح أبواب الخيمه كل صباح وينظف أثاثها وأرضها .. ثم يساعد الكاهن فى تقديم الذبائح – وكان يرتدى أفودا (جبه) من الكتان. وفى عام 1075 ق م أصبح صموئيل قاضياً على اسرائيل . حث صموئيل بنى اسرائيل على أن يتخلصوا من الألهة الغريبه والأصنام – ومن " المصفاة " وجه صموئيل دعوته إلى الشعب الاسرائيلى – وجعل الشعب يتوب عن خطاياه . وتقول التوراه أنه لما تاب الشعب وأقام الصلوات استطاع أن يهزم الفلسطينيين أخيراً . اصبح صموئيل النبى آخر حلقة فى السلسلة الطويلة لقضاة اسرائيل .. وكانت طاعته لله قد جعلت منه واحداً من أفضل القضاه في تاريخ اسرائيل – وفى أيامه انتقلت اسرائيل من الحكم الثيوقراطى (برآسة الله) إلى الحكم الملكى برآسة الملك.

جزيرة كريت

فى محاولة دراسة أحداث التوراه ، لابد من معرفة أحوال الأمم التى تحيط بمنطقة أرض كنعان لكشف الظروف السياسية والاجتماعية والحربية التى تؤثر على هذه المنطقة – وقد اتصلت بلاد الإغريق بمصر اتصالاً مباشراً وغير مباشر من منتصف الألف الثانيه قبل الميلاد ، وازداد هذا الإتصال فى القرن السابع قبل الميلاد حينما بدأت البلاد الإغريقيه تلعب دوراً هاماً فى تاريخ الشعب المصرى إلى أن انتهى الأمر باحتلال الاسكندر المقدونى البلاد عام 332 ق م.

أما عن جزيرة كريت فقربها من الشواطىء الشرقيه للبحر المتوسط أوجد رابطة حضارية وثقافية وأيضاً عسكريه بينها وبين بلاد الشرق الأدنى القديم .. وخاصة الفلسطينيين .. الذين ترجع بعض أصولهم إلى شعب جزيرة كريت (رجال البحر).

*جزيرة كريت وبحر إيجه:

تقول الأساطير أن "مينوس" ملك جزيرة كريت كان ابن "زيوس" أكبر الآلهه .. وكان نفوذ هذا الملك يمتد إلى بحر إيجه – وكان ابنه قد ذُبح غيلة فى أثينا ، وانتقاماً لذلك الحدث أجبر مينوس ملك أثينا أن يقدم له كل تسع سنوات سبعة من الشبان وسبعاً من العذارى كضحايا . وبعد أن تكرر ذلك العمل مرتين ، وفى المرة الثالثه قرر الأمير تيسيوس ابن الملك ايجيبوس وضع حد لهذه المقتله وذهب بنفسه هذه المرة واستطاع أن يقتل المارد (مينوتور) ويهرب من كريت إلى أثينا وذلك بمساعدة ابنة الملك . وكان قد وعد والده ايجيبوس أن ينشر ملاحوه شراعاً أبيض فى حالة نجاحه فى مهمته ونجاته . لكن بالخطأ رُفِعَ الشراع الأسود . فلما رآه ايجيبوس اعتقد بوفاة ابنه والقى بنفسه فى الماء – وهذا هو السبب فى تسمية هذا الجزء من البحر الأبيض المتوسط ايجى أو إيجه من (ايجيبوس).

*مملكة جزيرة كريت:

كانت جزيرة كريت جميلة بما فيها من جبال ومرافىء وأشجار وأزهار مثل السوسن والورد والزعفران ، وكانت تحتوى على تسعين مدينة وعدد عظيم من السكان يشتغل بعضهم بالنسيج وصباغة الملابس ، وصناعة الحلى الذهبية والأسلحة من النحاس ، ويعمل البعض عبر البحار على ظهر السفن أو صيادين أو فلاحين.

وقد امتدت التجارة بين كريت والبلاد المجاورة ، فكان يأتى إليها النحاس من قبرص والقصدير من كورنول والكهرمان عن طريق أوروبا عبر البلطيق والبحر الأسود ثم إلى بحر ايجه وكريت.

اما مصر فكانت تصدر لها الأوانى المصنوعة من الحجر والعاج والخرز ، وفى المقابل كانت تستورد مصر منها الزيت والنبيذ والمواد المعدنية وقد ازدهرت التجارة بين مصر وجزيرة كريت فى عهد الأسرة الثامنة عشره . ولم تكن مصر بعظمتها وجبروتها وقتئذ لترفض التجارة مع كريت (سيدة بحر ايجه) . وقد كان حكام هذه الجزيرة يسيطرون تماماً على البحر الأبيض فلا وجود للقراصنة حتى أنهم تركوا مدن جزيرتهم دون تحصين.

*قصر لابرنت:

كان لأحد ملوك كريت بمدينة (كنوسوس) قصر عظيم يحتوى على ردهة فخمة بها حجرة تسع خمسمائه من النظارة تطل عليها درجات ومقعد ملكى – وكانت تقام فى هذه الردهة الألعاب الرياضية والحفلات ، وكانت مساحة القصر تربو على مايزيد على أربعه فدادين ونصف فدان وتتألف من ثلاثه طوابق أو أربعة . وهذا القصر ومايضمه من حجرات عديدة وممرات معقدة ومسالك ملتوية والتى لايمكن أن يجد فيها الاشخاص طريقهم بسهوله دون دليل يرشدهم ، هو منشأ قصة التيه أو اللابرنت.

وقد أُطلق نفس الاسم على القصر الذى بناه امنمحات الثالث بالقرب من الفيوم . والذى أشاد به هيرودوت ووصفه بأنه " أعظم مما شاده اليونانيون".

*المدنيه المنوانيه:

بذل الباحثون جهداً عظيماً لحل رموز نقوش كريت ، وقد نجح اللغوى هروزنى فى إماطة اللثام عن أسرار لغة هذا القوم – واستنبط أن سكان كريت كانوا خليطاً من أقوام عدة من أصل هندى وأوروبى من البلقان ومن ثم تألفت المدينة (الخارقة) المعروفة بالمدينة المنوانية (نسبة إلى ملكها الشهير مينوس) وهى التى سبقت المدنيه الإغريقيه . وكانت تمثل بجانب سومر وأكاد ومصر وبلاد خيتا (والسند والصين) مهداً سادساً هاماً للثقافه القديمة بالإضافه إلى أنها الأقدم تاريخياً بين المدنيات الأوربية.

ومنذ بداية القرن العشرين الميلادى أخذ الأثريون بقيادة سير ارثر ايفانز يقومون بعمل حفائر فى آثار هذه الجزيرة مما كشف النقاب عن قصة المدينة منذ حوالى 3000 ق م.

*زلزال كريت:

حوالى عام 1380 ق م ومع بداية حكم القضاة فى اسرائيل عام 1375 ق م وقبيل حكم عثنئيل (1367 ق م) أصاب كريت زلزال مفاجىء قضى عليها ، وقد عثر الحفارون على مايثبت حدوث مصيبة مفاجئة حلت بالناس وهم منهمكون فى أعمالهم ، يضاف إلى ذلك انتشار الحرائق وعقب ذلك قضى أعداء البلاد على ماتبقى بالسلب والنهب . ولم تعد الحياة فى (كنوسوس) كما كانت عليه – وأخذ أسطولها فى الضعف شيئاً فشيئاً وانتشر القراصنة وضاع الأمن والسلام ، حتى سقطت الجزيرة فى أيدى الإغريق.

*بلاد اليونان والحرب مع طرواده:

قبل سقوط كريت هاجر أقوام من الجنس المسمى الآخيين (Achean) جنوباً من موطنهم فى الجزء الشمالى من بلاد الإغريق . وحوالى 1200 ق م كانوا قد أصبحوا أقوياء وسادوا بحر إيجه بعد أفول نجم جزيرة كريت – وكانت مدينة "مسيينى" تمثل العظمة وكان ملكها يدعى "أجا ممنون" ذا ثروة عظيمة من الذهب والعربات والسفن ويعيش فى ترف فى قصره المنيف . وقد أُطلق على حضارة هذه البلاد "الحضاره الميسينيه" .

وفى الشمال الشرقى من بحر ايجه كانت توجد مدينة أخرى تُدعى طرواده ذات سور منيع وتقع على الدردنيل.

وعندما طمع الأخيون فى الحصول على منافذ جديدة شرقى بحر ايجه شبت نار الحرب بينهما حوالى 1190 ق م واستمرت نحو عشر سنوات.

وبعد هذه الحرب أنشد الشعراء الملاحم التى تشيد بالبطولات التى قام الرؤساء من كلا الجانبين بها وقد تناقلتها الأجيال واضيف اليها فى أثناء انتقالها من جيل إلى جيل كثير من الاساطير والأعجايب طغت على مافيها من حقائق.

ولايخلو التراث الشعبى العربى من سير مشابهة ، مثل قصص ابو زيد الهلالى والزناتى وعنتره .... الخ.

وقد تم تدمير طرواده عام 1183 ق م أثناء عصر القضاة مابين دبوره (1209 ق م ، وجدعون 1162 ق م).

الملاحم الشعبية بين الحقيقه والخيال

وجد الإنسان نفسه عبر العصور يواجه ظواهر خارقة لا يستطيع أن يفسرها حتى أكثر العقلاء وأحكمهم فهو لا يدري من أين تأتى الشمس ولأين تذهب. من أين يأتى المطر ولماذا يكف؟ كيف تدفن البذرة لكي تعطي شجرة وما هو الموت وما بعده؟

كانت نتيجة هذه الغوامض الإيمان بالسحر والخرافات والأساطير.. ثم جاءت الديانات فقدمت لنا العزاء في ذلك كله وأعلنت أن هذا الكون يوجد له محرك لكل هذه الظواهر. وكما قال جمال الدين الأفغاني: أن الدين يِجلُ على مخالفة العلم وإذا وجدت المخالفة وجد تأويلا لها.

ولن بعض أحداث التوراه أحداث خارقة مثل الأساطير فمع ذكرها جاءت المقارنة بأساطير معاصرة لها في مصر وبلاد اليونان.

تزخر أحداث الشعوب بقصص لاتخلو من بعض الحقيقه والكثير من الخيال – وتتداولها الألسنه عبر الأجيال وقد تضيف إليها – من خيالها مايتسم بالإثاره ويضمن تداولها جيلاً بعد جيل.

واذا تأملنا أحداث التوراة فقد نجد معارك عنيفة ومواقف لاتتفق مع تعاليم الله المتسامحه.. ولكن كما جاء فى التوراة قامت تلك المعارك بحجة تصفية شعوب عبدت الأوثان وتاهت عن الإيمان بالإله الواحد . ومثال ذلك ماحدث عند دخول العبرانيين أرض كنعان .. فحسب أوامر موسى .. ليشوع أن يبيد هذه الشعوب الكنعانيه ، اولاً بسبب وثنيتها وثانيا حتى لاتُترك بها مدن تتآمر فيما بعد على بنى اسرائيل ، تزرع القلاقل وتغريهم بترك دين موسى الإلهى والدخول فى عبادة الاصنام ، وهذا ماحدث بالفعل ، عندما لم يستطع يشوع عن طريق الاسباط أن يطهر هذه الأرض تماماً من السكان الاصليين.

*قصة سقوط "اريحا" و " عاى" : (سفر يشوع 6 ، 8)

تقول التوراة " كانت اريحا قد احكمت اغلاق بواباتها خوفاً من الاسرائيليين فقال الرب ليشوع ها أنا قد اخضعت لك اريحا وملكها ومحاربيها الأشداء – فليدر محاربوكم دوره واحده كل يوم حول المدينه مدة ستة أيام – وليحمل سبعة كهنه ابواق الهتاف ويتقدموا أمام التابوت وفى اليوم السابع تدورون حول المدينة سبع مرات بينما ينفخ الكهنه بالأبواق – وما أن يسمع جميع الشعب صوت نفخ بوق ممتداُ حتى يطلقوا دوى هتاف عظيم ، فينهار سور المدينه فى موضعه فيندفع الشعب نحوها كل رجل حسب وجهته " وتحقق ذلك وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير . "فى ذلك الوقت انذر يشوع الشعب قائلاً "ملعون أمام الرب كل من يحاول أن يعيد بناء مدينة أريحا ، فإن بِكْره يموت وهو يضع أساساتها وصغيره يهلك وهو يقيم بواباتها" .

*مدينة عاى:

ماحدث لأريحا حدث لمدينه عاى " فمد يشوع الحربة التى بيده نحو المدينه فإندفع الكمين (من بنى اسرائيل) من مكانه بسرعة عندما مد يده بالحربه وركضوا واقتحموا المدينه واستولوا عليها واحرقوها بالنار .. ولما رأى يشوع ومحاربوه أن الكمين قد استولى على المدينه .. شرعوا فى

مهاجمة رجال "عاى" والقضاء عليهم .. اثنى عشر الفاً .. وشنق ملك عاى على شجره الى وقت المساء " .

وفى السفر العاشر ليشوع: فى ذلك اليوم الذى هزم فيه الرب الأموريين أمام بنى اسرائيل ابتهل يشوع الى الرب على مسمع من الشعب " ياشمس دومى على جبعون وياقمر على وادى ايلون فثبتت الشمس وتوقف القمر حتى إنتقم الجيش من أعدائه . فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تسرع للغروب نحو يوم كامل ولم يحدث نظير ذلك اليوم لا من قبل ولا من بعد " .... كيف توقفت الشمس لاتتحرك !؟ طبعاً الشمس لاتتحرك بالنسبة للأرض بل هى ثابته والارض هى التى تدور حول الشمس – لكن العبارات التى قيلت فى يشوع لاتجعلنا نشك فى المعجزة .. بعيداً عن الشروق والغروب فالنقطة الهامة هى أن اليوم استطال .. فهل أبطأت الأرض فى دورانها المعتاد فأتيح ليشوع وقت أطول أو أن بعض انكسارات غير عادية لأشعة الشمس ضافت ساعات من الضوء!.

ويقول يشوع معقباً على هذا النصر "أليس هذا مدوناً فى كتاب ياشر"؟ .. والأرجح أن سفر ياشر كان مجموعة من أحداث تاريخية فى صورة أناشيد موسيقيه . وتحتوى أجزاء كثيرة من التوراه على اقتباسات وأناشيد ومواد سابقة منقولة أو مكتوبة .

ولكن الواقع – بنظرة محايده – ان يشوع قام بعدوان على قوم يدافعون عن أنفسهم " وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهليه والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها".

طبعاً كل هذه البطولات المزعومه لابد وأن تترك تأثيرها الدينى والمعنوى والثقافى على الأجيال التاليه .. فتتداولها ويمكن أن تزيد عليها لتصبح ملاحم.

*نشيد دبوره:

كانت دبوره القاضى الرابع والمرأة الوحيدة بين قضاة اسرائيل وكانت تمتاز بحسن القيادة والتخطيط وحسن اختيارها للقادة المعاونين وكان قائد جيشها يدعى "باراق".

وكان الغناء والموسيقى جزءاً عزيزاً فى تاريخ اسرائيل والسفر الخامس من القضاة عبارة عن اغنية قد تكون من تأليف دبوره وباراق وهما اللذان أنشداها أيضاً فهى تتغنى بأحداث انتصار بنى اسرائيل على "يابين" ملك كنعان وقائد جيشه سيسرا فى "مدينة حاصور" . وكان يصاحب أنشودة الانتصار احتفال عظيم فقد تغنوا بعظمة الله الذى نسبوا النصر إليه.

أما جدعون خامس القضاه فقد كان لديه جيش من ثلاثه وعشرين الفاً .. لكن عند ملاقاته المديانيين – تقول التوراه أنه قاتلهم بثلثمائه محارب فقط فى يد كل منهم بوق وجرة فارغه فى وسطها مصباح وفى منتصف الليل نفخوا بالأبواق وحطموا الجرار وأمسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى فدب الزعر بين الأعداء وتمت هزيمتهم.

ماسردناه ماهو الاَّ القليل من قصص الحروب فى التوراه والبطولات ولايتسع المجال للإجمال ويكفى أن نضيف بإشاره الى قصة شمشون الجبار ودليله وهدم المعبد .. وشق الأسد الى نصفين وبعد عدة أيام رجع الى الأسد فوجد فى جوف جثته سرباً من النحل وبعض العسل فتناول منه قدراً وأكل منه وأعطى والديه.

وعندما أوثق بحبلين حديدين ، قطع الحبلين وكأنها خيوط كتان محترقه وعثر على فك حمار طرى تناوله وقتل به ألف رجل.

اما داود النبى هذا الغلام الصغير فقد استطاع أن يقتل جليات الجبار بقذفه بحجر.

*ملحمة الإلياذة:

الالياذه أشهر ملاحم الشعوب القديمه مع قرينتها فى الشهره "الأوديسه" ويجمع النقاد والمؤرخون أن أحداث الالياذه وقعت فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر قبل ميلاد المسيح . أما هوميروس فحسب قول هيرودوت ، كان يعيش فى مدينة خيوس القديمة فى ولاية يونانيه على ساحل الأناضول اسمها "ايونيا" ويقول أيضاً أنه عاش فى القرن السابع قبل الميلاد.

الالياذه The Lliad تعنى قصه اليوم أو اليوس وتدور حول مدينة اسيوية قديمة هى طرواده التى تقع على شاطىء البوسفور حيث وجدت أثارها بعد أن دمرتها قبائل إغريقية قديمة فى حروب امتدت قرناً كاملاً . وقد يكون سبب هذه الحرب المنافسة على التجاره والسيطرة البحرية على جزر بحر إيجه وسواحل الأناضول وشمال اليونان . غير أن الالياذه تزعم أن الحرب نشبت بسبب اختطاف الملكة الإغريقيه "هيلين" بواسطة الأمير الطروادى "باريس" وتزعم أيضاً أن الحرب استمرت عشر سنوات فقط.

وتروى الالياذه كيفية اختطاف باريس لهيليين ، وغضب أخيل بطل أبطال الإغريق، كما تروى تواريخ حياة قادة الإغريق وتاريخ طرواده قبل الحرب ، كما تروى ملخصاً لكل ماحدث فى السنوات التسع لحصار طرواده.

وتبدأ الالياذه بالمشاجرة التى وقعت بين "أخيل" و "أجا ممنون" ، القائد الإغريقى والملك الذى سلب الفاتنة "بريسيز" . ولايحتمل أخيل الاهانة خاصة وأنه فى هذه الحرب يضحى بحياته من أجل أجا ممنون وأخيه الملك "مينلاوس" ، فيعتزل الحرب ويترك بنى وطنه يواجهون الهزيمة. وعندما يناشده أعز اصدقائه أن يعود للقتال يفقد أخيل أعز اصدقائه فى الحرب على يد هكتور وينتقم أخيل لصديقه بقتل هكتور . وقبل موت هكتور يتنبأ لأخيل بأنه سيقتل نفسه بسهم من سهام باريس – شقيق هكتور – لكن طرواده ستسقط فى ايدى الإغريق وتلتهمها النيران.

وبجانب أحداث الحرب تتعرض الالياذه لحضارة الإغريق والطرواديين راصدة أدوات المعيشه واسلحة القتال وأساليب الحرب المتبادلة . كما تدخل فى أعماق النفس فى مواقف الحب ، والنزال وحتى النقاش – كما تتعرض لطقوس الزواج والعبادة ودفن الموتى – وكذلك إقامة المآدب ومجالسة الضيوف والالعاب الرياضيه.

وحول أخيل وهكتور مجموعات من الرجال والنساء أبطال وآلهة فيهم الداهية الماكر لكنه النبيل العاقل مثل "أوديسيوس" بطل الأوديسة الذى يدخل الحرب مكرها لكنه يصبح عقل الإغريق المدبر وصاحب الحيلة التى ستهزم طرواده فى النهاية . وفيهم "أجاكس" الجبار والشجاع الذى يقتل نفسه فى نوبة جنون حيث يحرمه القادة من دروع أخيل. وأيضاً .. فيهم أجا ممنون الذى يتميز بالنبل والنذاله ، وبين الكرم والخسه ، وبين الشجاعه والجبن . وفيهم مينلاوس الزوج الذى خانته زوجته فأشعل الحرب ثم يتوارى فى الظل لكى يفوز بكل شيىء فى النهايه – وفيهم بريام ملك طرواده الضعيف صاحب النهايه المفجعه.

اما أرباب الالياذه فقد صورتهم كالبشر العاديين بكل أهوائهم وانفعالاتهم بل يخضعون للبشر بأكثر مما يخضع البشر العاديون – وبذلك تكون ألوهيتهم خرافة ينبغى التمرد عليها مثلما فعل أخيل –

وهذا هو التمرد الذى مهد لتمرد سقراط فيما بعد.

هذه هى الياذه هوميروس والتى تُرجمت الى كل لغات العالم وترجمها الى العربيه درينى خشبه .. وكتب سامى خشبه المقدمة والتى رجعنا اليها في ماتقدم . وقد ترجمها سليمان البستانى ونشرها فى دار الهلال عام 1904 مصدره بمقدمه فى هوميروس وشعراء اليونان والعرب . واخيراً ترجمتها مجموعة متخصصه فى الادب الإغريقى برئاسة الدكتور أحمد عثمان وتم نشرها فى مشروع الترجمه بالمجلس الاعلى للثقافه بالقاهره عام 2006 .

*الاوديسه:

تدور أحداث هذه الملحمة حول ملك (رئيس) إغريقى "أودسيوس" وكيف وصل أخيراً إلى مسقط رأسه فى "أتاكا" بعد عشرة أعوام هائماً فى البحر.

ومن أحداث هذه الملحمه ، أن الإلهه "كاليبسو" قد احتجزت أودسيوس سبع سنوات فى جزيرتها الجميله وبذلت كل ماتملك من سحر لكى تنسيه اتاكا مسقط رأسه .. ولكن الشوق لبلده جعله يتوسل للاله "زيوس" أن يخلصه من سجنه – فأرسل زيوس الإله "هرمس" ليخلصه . وقد سمح له هرمس أن يصنع لنفسه قارباً ويذهب فى عرض البحر – وبعد سبعة عشر يوماً لاحت له جزيرة الفاسيين (Phaecians) ولكن قبل أن يصل إليها قامت عاصفة أغرقت قاربه – وقام بالسباحة يومين قذفت به الأمواج بعدها إلى شاطىء أرض صخريه . وعلى الشاطىء تقابل مع "نوسيكا" إبنة الملك وبعد أن حكى لها ماصادفه من مغامرات ومخاطر أمرت بإستضافته فى القصر واكرمت وفادته. وفى اليوم التالى وضعه الملك (السينوس) فى إحدى سفنه السحريه حملته الى اتاكا.

وحين عودته إلى قصره وجد عدة رجال عشاق يحاولون الوصول الى زوجته (بنلوبى) بوقاحه غير أن النجده كانت قد أتت إليها من "أوليمبوس" .. فخلصتها الإلهه (بالاس اثينا) بعد أن أتت اليها بسرعة الريح عابره البحر والاراضى – ونفخت فى روح (تلماكوس) ابن أوديسيوس الأصغر فتحدى هؤلاء العشاق – وقام اوديسيوس بمساعدة تلماكوس بقتل العشاق .. وخلص زوجته بنلوبى – وسادت الطمأنينه والسلام وذهب الخراب .

*ملحمة قادش:

القصيدة التى قيلت فى انتصار "رمسيس الثانى" على الحيثيين وحلفائهم جديرة بان تسمى ملحمة ، لما توافر فيها من الخصائص التى ينفرد بها هذا اللون من الأدب . وقد عنى الدكتور سليم حسن بجمع النصوص المختلفة المبعثرة على جدران المعابد والبرديات وترتيبها فى مجلد واحد.

ومعركة قادش لها جذور تاريخيه .. ترجع إلى الامبراطورية العظيمة التى أسسها تحتمس الثالث تمتد من أعالى نهر دجله والفرات إلى الشلال الرابع، وقد بقيت هذه الامبراطورية متماسكة الأطراف إلى أن تولى إخناتون الملك فشغله دينه الجديد عن المحافظة على أملاك أجداده خاصة فى آسيا فإستقلت ولاياتها ، فضلاً على قيام مملكة جديدة اسمها "الخيتا" فى آسيا الصغرى.

وحاول سيتى الأولى استرجاع مجد بلاده لكن مهمته كانت صعبة لأنه كان ينازل دولة قوية فتية هى الخيتا – وكان لزاماً على ابنه رمسيس الثانى أن يستمر فى حمل السلاح ، وقد أشار لنا هذا الفرعون فى قصيدته إلى اهمال آباء والده ولهوهم الذى أدى الى ضياع ممتلكات مصر.

وتفيد النقوش أن حملة رمسيس الثانى خرجت للغزو فى السنة الخامسة من حكمه فكان على رأس جيش عرمرم .. تقدم مباشرة بحماس نحو عدوه المنشود دون أن يخضع بلاد فلسطين لتأمين جيشه وكانت النتيجة أنه وقع فى الفخ حيث كانت جيوش الخيتا وحلفائهم تعسكر شمال بلدة قادش .. ونجح ملك الخيتا فى تشتيت شمل الجيشين المصريين المتقدمين وهما جيش آمون وجيش رع – وبذلك أصبح رمسيس محاصراً بالعدو .. لكنه بقى يناضل ويُظهر من ضروب الشجاعه لصد العدو حتى أتته النجده وانهزم الخيتا .. وماظهر بادىء الأمر هزيمة للمصريين صار فوزاً ، وتهادن العَدُوانْ.

وقد جعل الشاعر – كاتب الملحمه – الفرعون يقص الحوادث الجسام التى قام بها فى صيغة المتكلم فكان بذلك دارساً لشخصية هذا الفرعون الذى كان يفوق كل الفراعنه فى المبالغة والفخر وحب الظهور والعظمة . ومقدمة هذه القصيده قد كُتبت نثراً بينما نهايتها قد نُظمت شعراً – وتبدأ عندما يشتت العدو شمل جيش الفرعون ويحاصره وعندئذ نرى الفرعون يتوسل لآله آمون قائلا "ماذا جرى ياوالدى آمون؟ هل نسى الأب حق ابنه؟ وهل عملت شيئا من دونك؟" ثم يعدد له ماقام به من أعمال الخير وبناء المعابد وتقديم القرابين ، ويرجوه أن يخلصه من ذلك المأزق الذى وقع فيه وعلى أثر ذلك يهب أمون لنجدته ويقول له " الى الامام : إلى الامام ! أنا والدك وإنى أكثر نفعاً من مائة ألف رجل ، أنا رب النصر الذى يحب القوة".

ويُنبه سليم حسن الى التقارب فى هذه الأدعية والتوراه ومافيها من مناجاة الله عند الضيقات وصوت الله يشجع رجاله وانبياءه ويبشرهم بالنجاة والنصر.

ويلتفت رمسيس إلى جنوده ويأمرهم بالشجاعه ويؤنبهم " مأأشد تخاذل قلوبكم يافرسانى وانه من العبث الاعتماد عليكم ... الخ)... وبعد ان تم النصر للفرعون هرع إليه الجنود واخذوا يكيلون له المدائح ويفاخرون بشجاعته ، لكن الملك يوبخهم مره أخرى ويعدد لهم ما قام به من جليل الأعمال.

ومن أصل ماجاء فى الملحمة على لسان رمسيس الثانى : "انى ادعوك ياإلهى آمون وإنى فى وسط أعداء لا أعرفهم وكل البلاد قد تضافرت علىّ وإنى وحيد وليس أحد آخر معى وان جنودى قد هجرونى ولم يلتفت أحد من فرسانى حوله إلىَّ ، وإذا ناديت عليهم فلا يسمع لى أحد".

يذكّرنى هذا النداء ماقاله داود فى موقف مشابه فى المزمور 141 " بصوتى إلى الرب صرخت ، بصوتى إلى الرب تضرعت ، اسكب أمامه توسلى – أبث لديه ضيقى عند فناء روحى منى وأنت علمت سبلى . فى الطريق الذى أسلك أخفوا لى فخاً – تأملت عن اليمين وأبصرت فلم يكن من يعرفنى . ضاع المهرب منى وليس من يسأل عن نفسى فصرخت إليك يارب وقلت أنت هو رجائى – انصت إلى طلبتى فإنى قد تذللت جداً – نجنى من الذين يضطهدوننى لأنهم قد اعتزوا أكثر منى".

وفى الملحمة يقول رمسيس " ما اعظم الجريمة التى ارتكبتموها ياكبار ضباطى ويامشاتى ويافرسانى . أنتم يامن لم تحاربوا ... لقد حاربت وتغلبت على آلاف الآلاف من الأراضى – كل ذلك وحدى . وقد كان معى جواداى العظيمان "النصر فى طيبة" والإلهة (موت مرتاحه) – وهى زوجة آمون ممثلة الإله (سخمت).

وفى اليوم الثانى بعد انهزام الأعداء .. يقول " أخذوا يقبّلون الأرض أمامى أما جلالتى فكانت قويه خلفهم إذ أعملت القتل فيهم وقد مَّزقوا إربا إربا أمام جيادى – وعندئذ أرسل خاسىء لغيتا المغلوب رسالته لرمسيس قائلا " إنك حور رع أختى .. العظيم البطش ، والفزع منك سرى إلى ارض الخيتا وقد كسر إلى الأبد ظهر أمير الخيتا".

وبعد النصر يقول رمسيس " وقد سمحت جلالتى لنفسى أن أستريح ممتلئاً بالحياه والحظ الحسن ".

وقد استراح إله الحرب بعد النصر واستجاب لما كتبه كبير الخيتا بحكمة ، عندما قيل له " فى استطاعتك أن تتمتع باحترام الناس فى السلم وفى أوقات أخرى يكفيك خوفهم منك ".

وبعد الموقعة عُقد الصلح مبدئياً ، أما معاهدة الصلح الحقيقية فلم تبرم إلا بعد 16 سنه.

وتُختتم الملحمه بالسطور : " ولما اقترب جلالته بلواء السلم إلى مصر كانت الحياة والثبات والسعادة تلازمه وكان الآلهة والإلهات يحمون أعضاءه – أما قوة جلالته فكانت تحمى جنوده وقد تهللت بطلعته البهيه كل الأراضى الأجنبيه ووصل سالماً إلى قصره ممتلئاً حياة مثل "رع" على عرشه ورحبت الألهه بحضرته قائلين له مرحبا يا ابننا المحبوب رعمسيس محبوب "آمون" وقد منحوه آلاف الآف الأعياد والخلود على عرش والده "أتوم" وكل البلاد والأراضى الأجنبيه أصبحت تحت قدميه ".

شاؤول (شاول) اول ملوك اسرائيل

(1050ق م)

طلب الشعب من النبي صموئيل أن يكون لهم ملكاً لعدة أسباب : أولها لم يكن إبنا صموئيل اهلاً لقياده إسرائيل ، وثانياً كان الاثنا عشر سبطاً ضعافاً يعوزهم النظام ونسبوا هذه المشكله لعدم وجود جيش متحد وعاصمة مركزية وسلطة حاكمة ، وكان لكل سبط قائده ومنطقته ، وكان المأمول أن يوحد الملك الأسباط فى أمة واحدة وجيش واحد – ثالثا أراد الشعب أن يكونوا مثل الأمم المجاوره فى نظام الحكم.

حذر صموئيل الشعب من أنهم سيندمون على قرارهم بأن يكون لهم ملكاً لأنه كان يعرف طباع هذا الشعب وتنبأ فعلاً بذلك فقد حدث فيما بعد أن كان لاسرائيل (بما فى ذلك المملكتان الشمالية والجنوبية ، بعد الانقسام) 41 ملكاً فى نحو 450 سنه – كان منهم أحد عشر ملكاً فقط يعدون صالحين ، وتمرد الملوك روحياً هو سبب ماحدث من سبيهم بواسطة الأمم الأجنبيه (2مل 17: 25).

*اختيار شاول ملكاً:

ذهب شاول وغلامه يبحثان عن حمير مفقودة فى جبل أفرايم وأرض بنيامين – فذهبا إلى "الرامه" وطلبا العون من صموئيل النبى – وبينما كان شاول هناك وجد نفسه على غير انتظار – يُمسح أول ملك لإسرائيل ، ودعا صموئيل كل اسرائيل إلى المصفاة لكى يخبرهم بمن اختاره الله لهم ملكاً . ويبدو أن العاصمة السياسيه (المصفاه) ، كانت هى العاصمة الدينية أيضاً . وكان ملك اسرائيل عندما يتبوأ العرش لا يتوج فحسب بل كان يُمسح أيضا . كان التتويج عملاً سياسياً لإقامة الملك حاكماً ، اما المسح فكان عملاً دينيا ليجعل من الملك ممثلا لله امام الشعب – وكان الملك يُمسح بواسطة الكاهن أوالنبى ، وكان سكب الزيت فوق رأس الملك رمزاً لحلول روح الله القدوس وقوته فى حياته وليذكر الملك بمسئوليته العظيمه فى أن يقود الشعب بحكمة الله ، لا بحكمته هو .

اختار بنو اسرائيل أول ملك لهم " بالقرعة المقدسه" والأرجح أنهم استخدموا الاوريم والتميم : والأرجح انهما قطعتان من الحجارة الكريمة أو من أدوات مصنوعة بشكل مسطح يحتفظ بهما الكاهن فى كيس متصل بقميصه و يُظن أن الأوريم كان الجواب (بلا) وأن التميم كان الجواب (بنعم) فكان الكاهن يهزهما فى الكيس فيجعل الله الحجر المناسب يسقط – وهناك رأى آخر ، أنهما كانا شيئيين صغيرين وكان لكل منهما وجه عليه لا والآخر عليه نعم . وكان الكاهن يخرجهما من كيسه ، فإذا رسا الاثنان على الوجهين (نعم) فيكون جواب الله بالايجاب ، وأن رسا الاثنان على الوجهين لا فيكون بالنفى – أما اذا رسا احدهما على الوجه نعم والآخر على الوجه لا فمعناه أن الله لايجيب بشيء .

وكانت أول معارك شاول، حينما أستعد العمونيون للهجوم على يابيش جلعاد ، فأرسل سكان يابيش رسلاً إلى شاول فى جبعة طالبين النجده – فجمع شاول جيشاً فى بازق ثم هاجم العمونيين وأحرز نصراً باهراً وتألق كقائد جيش ناجح ... فأسكت نصره صوت معارضيه ، وعقد اجتماع فى الجلجال وفيه توج شاول رسمياً ملكاً على اسرائيل .

وبسبب احتكار الفلسطينيين لسر استخلاص وتصنيع الحديد كسلاح صلب ، كان لهم التفوق العسكرى .. وكان الفلسطينيون يسيطرون على ممر هام عند (مخماس وجبعه) يؤدى إلى المرتفعات التى يسيطرون عليها .. وفى حرب غير متكافئة اشترك فيها يوناثان ابن شاول تم طرد الفلسطينين ومطاردتهم حتى الشاطىء – وبذلك تم تأمين المرتفعات والتى تعتبر قلب مملكة شاول.

كما انتصر شاول فى عدة حروب أخرى ضد جميع أعدائه .. فقد حارب مؤاب وبنى عمون وأدوم ... وكذلك مملكة صوبه فى سوريا .. وأخيراً العماليق.

*سقوط شاول:

كان لشاول مظهر مثالى كملك ..حسن المظهر أخاذاً طويل القامة شجاعاً وكريماً ورغم انتصاراته لم تكن قدراته القيادية تعادل القدرات المستوحاة من مظهره. وكانت ميوله الشخصية كثيراً ماتنحرف عما يريده الله منه كملك.

وفى آخر معاركه مع الفلسطينيين .. حارب الفلسطينيون بنى اسرائيل على جبل جلبوع فقُتل منهم جمع غفير وهرب الباقون – وتعقب الفلسطينيون شاول وابناءه وقتلوا الأبناء الثلاثة يوناثان وابيناداب وملكيشوع – واشتدت المعركة حول شاول واثخن بالجراح فطلب من حامل سيفه أن يسل سيفه ويقتله به – لكن هذا الأخير أبى أن ينفذ أوامر مليكه – فأخذ شاول السيف ووقع عليه .. وهكذا مات فى ذلك اليوم شاول وأبناؤه الثلاثه وحامل سلاحه (الذى قتل نفسه بعد موت سيده) وجميع رجاله . وهرب جيش اسرائيل وترك المقيمون من الاسرائيليين ديارهم وفروا فأتى الفلسطينيون وسكنوا فيها.

وعندما جاء الفلسطينيون فى اليوم التالى قطعوا رأس شاول ووضعوا سلاحه فى معبد عشتروت وسمروا جسده على سور (بيت شان) – وعندما سمع الاسرائيليون بما فعله الفلسطينيون بجثة شاول – هب كل المحاربين من يابيش وجلعاد وساروا الليل كله وانزلوا جثث شاول وابنائه ونقلوها الى يابيش حيث أحرقوها – ثم جمعوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة فى يابيش وصاموا سبعة أيام.

الملك داود

(1010 ق م)

يعد داود واحداً من ثلاثة رموز إسرائيليه : الأول هو ابراهيم أبو الشعب الاسرائيلى وموسى واضع الشريعة وداود الملك العظيم . بينما كان شاول مازال ملكاً ، مسح صموئيل داود ملكاً على اسرائيل .. كان ذلك إثر أخطاء شرائعيه لشاول وَصَمته بعدم الاعتماد على المشيئه الإلهيه ومخالفته لقوانين الشريعة مما أدى الى قطيعة بينه وبين صموئيل . هزم داود الصغير جليات الجبار الفلسطينى هذا المقاتل المارد المتحصن بالدروع والذى دأب على معايرة الإسرائيليين مدة طويلة لعدم استطاعة أى منهم من مصارعته .. لكن داود تقدم إليه وبرميه من مقلاعه أصابت رأسه ، أرداه قتيلا ثم أجهز عليه بسيفه فإنقلبت الموازين فى المواجهة وفر الفلسطينيون .وأصبح داود بعد ذلك بطلاً يحقق نصراً بعد نصر فى خدمة مليكه – لكن شاول الملك أعماه الحقد والغيرة من داود، خاصة أنه أيقن ان داود سيكون ملكاً فى يوم من الأيام .. فحاول قتله مراراً وهرب داود إلى ارض الفلسطينيين إلى أن قُتل شاول فى الحرب . ويذكر سفر صموئيل الأول أنه وسط المعارك العنيفة التى خاضها شاول ضد أعدائه ، كان هدفه الثانى مطاردة داود .. وظل شاول يطارده طوال أيام حياته لكن لم يستطع النيل منه ، فى الوقت الذى كان داود يستطيع أن يقضى عليه ويقتله فى مرات كثيره وقع فيها شاول بين يديه وتحت سيفه.

مُسح داود ملكاً فى السر ولم يُتوج الا بعد مدة طويله، إذ كان شاول مازال الملك الشرعى.

انقسمت الأمة الاسرائيلية إلى قسمين بعد موت شاول ، فإنضمت عشرة أسباط لإبشبوشت (ابن شاول الذى بقى حياً) – وإنضم سبطان وهما يهوذا وشمعون لداود . وبذلك توج داود ملكاً على يهوذا ، وتوج ابشبوشت ملكاً على اسرائيل ... وقامت الحرب بينهما وتقابل الجيشان فى جبعون ، وكان جيش يهوذا بقيادة يوآب وجيش اسرائيل بقيادة " أبنير " . وأنتهت هذه المعركة بالغلبه لجيوش يوآب – لكن استمرت الحرب فى الأمة المنقسمة إلى أن تُوج داود أخيراً ملكاً على كل اسرائيل ، بعد أن ملك على يهوذا سبع سنوات ونصف سنة ، وملك أبشبوشت على اسرائيل سنتين فقط . وبعد أن أتى شيوخ الأسباط الشمالية إلى داود فى حبرون وتوجوه ملكاً على كل اسرائيل فى احتفال عظيم فى السنة السابعه والثلاثين من عمره .. ظل يحكم المملكة لمدة ثلاثه وثلاثين عاماً تالية.

*الاستيلاء على اورشليم:

كانت اورشليم فى ذلك الوقت مدينة متواضعة لا تتعدى مساحتها 12 فداناً ولا يزيد عدد سكانها عن 2500 نسمه – لكنها مدينة عريقة يرجع تاريخها لأبينا ابراهيم . وكانت المدينة محصنة طبيعياً فهى وسط الجبال ، وتقع على رابية يحدها من الجانبين واد عميق وحولها جبال جيرية . كان بها ينبوع ماء وسفوح الجبال غنية بأشجار الزيتون وبساتين الكروم.

وكان هناك حصن فى جبل صهيون يحتله اليبوسيون السكان الأصليون للمدينة ولم يسقط بعد وكان تحت نفوذهم منذ زمن يشوع – لكن استطاع داود أن يتسلل برجاله إلى داخل الحصن وأخضعه لنفوذه ، وبذلك صارت المدينة كلها موحدة تحت إمرة داود – وتتبع داود الفلسطينيين فى الوادى

الذى نزلوا إليه بين أورشليم وبيت لحم ولف حول أشجار البكا (البلسم) وهزمهم واستولى على حصنهم فى "جت".

*مملكة داود:

امتدت غزوات داود فى جميع الاتجاهات فأخضع شعوب أدوم (2صم 8 : 13) وموأب وعمون (2 صم 8 : 2 ، 10) والعمالقة فى النقب (2 صم 8 : 3) وكذلك السوريين (2 صم 8: 3) – وبذلك فتح وأمَّن أمام بلاده الطريق الملكى التجارى الهام الممتد من البحر الأحمر إلى الفرات حيث امتد سلطانه فى إقليم نهر الفرات شمالاً والمدن الفينيقيه غرباً – وبذلك اتسعت مملكته.

وكانت الجزيه تُفرض على الأمم المهزومه ، وكانت هذه الضريبة تدعم الحكومة وتثبت أن الأمة المهزومة تقع تحت سيطرة اسرائيل.

*عودة تابوت العهد:

كان تابوت العهد هو كنز اسرائيل القومى وكان عادة يحفظ فى خيمة الشهاده – وبعد أن عاد التابوت إلى اسرائيل بعد أن سلبه الفلسطينيون مدة قصيرة (1 صم 4 – 6) حفظ فى بيت ابيناداب – وحشد داود ثلاثين ألفاً من مختاريه من رجال اسرائيل وانتقل بهم إلى بيت ابيناداب حيث وضعوه على عربة جديدة ونقلوه إلى مدينة داود (2 صم 6: 12) . وكان لاينقل التابوت إلاّ اللاويون باستخدام العصى ، وكان عليهم الاَّ يلمسوا التابوت نفسه – واخيراً أُدخل التابوت إلى الخيمة التى نصبها داود – لكن لم يسمح له الله أن يبنى بيتاً (هيكلاً) لتابوت العهد لكن ترك ذلك ليكون مهمة سليمان ابنه.

*إبشالوم ومحاولة الاستيلاء على الحكم:

لم يكن فى كل اسرائيل رجل وسيم المحيا يحظى بالإعجاب مثل ابشالوم نجل داود ، الذى تودد للشعب وتقرب منه وكان يستيقظ مبكراً صباح كل يوم ويقف إلى جوار طريق بوابة المدينه ويدعو إليه كل صاحب دعوى يقصد الملك ليعرض عليه قضيته ، ويقول لو أصبحت الملك لأنصفت كل إنسان ، وكان إذا تقدم أحد ليسجد له يمد يده وينهضه ويقبله .. وبذلك تمكن من اكتساب قلوب رجال اسرائيل.

وكان أبشالوم هو الوحيد بين أبناء داود الذى ينحدر من أصل ملكى عن طريق أمه لذلك رأى فى نفسه أنه الأحق بالعرش - وبعد ثلاث سنوات هرب ومعه مائتان من الرجال وأعلن نفسه ملكاً فى حبرون وأشعل الثورة ضد داود أبيه.

أما داود فلم يحاول أن يخمد الثورة وهرب من أورشليم وذلك لأن الثوره كانت قد انتشرت بالفعل ولم يكن من السهل إخمادها ولم يشأ أن تتعرض مدينة أورشليم للتدمير أو يُقتل ابنه ، وكان فى نفس الوقت متأكداً أنه سيعود سريعاً إلى أورشليم لأنه ترك عشراً من نسائه لحفظ القصر.

انتهت المعركة عبر الاردن بموت ابشالوم فى غابة أفرايم ومعه الألاف ، وحزن داود لمقتل ابنه واخذ فى النحيب والبكاء عليه .. ورجع داود بعد ان طلب ذلك منه رجال يهوذا .. ووصل إلى الاردن حيث توافد عليه رجال يهوذا هؤلاء إلى الجلجال لاستقباله والعبور به نهر الاردن.

*قصر داود:

وأرسل "حيرام" ملك صور وفداً إلى داود محملاً بخشب أرز ونجارين وبنائين ، فشيدوا لداود قصراً" (2 صم 5 : 11) – كانت فينيقية على شاطىء البحر المتوسط بلاداً تتعم بالاستقلال. وعقد داود معاهدة مع الملك حيرام ، وكانت صور ميناءاً شهيراً مزدهراً بسبب موقعها على البحر والتجارة عبره إلى الأمم الأوربية ومصر – وقد ساهم ذلك فى تميزها فى الأعمال الحرفية والفنية وساهمت تقنيتهم الرفيعة فى بناء قصر داود وهيكل سليمان فيما بعد .

*نهاية داود:

وشاخ الملك داود وطعن فى السن ، فكانوا يدثرونه بالأغطية فلا يشعر بالدفء ، فأتوا إليه بحاضنة وكانت فتاة جميله تدعى "أبيشج- الشونميه" فكانت تخدمه أيضاً ، لكن الملك لم يعاشرها (ملوك 1 : 1-4) وعندما أحس داود بدنو أجله طلب سليمان وأعطاه الوصايا والحكم – ثم مات داود ودفن فى أورشليم فى السبعين من عمره (970 ق م).

*المزامير:

يشغل سفر المزامير موقع المركز من الكتاب المقدس ، وهذه المجموعة العظيمة من الأناشيد والصلوات تعبر عن قلب ونفس البشرية – ففيها نجد تعبيراً عن كل أنواع الاختبارات البشرية – حيث نجد داود وغيره من الشعراء يسكبون بأمانة مشاعرهم الحقيقية .. فيعترف أصحاب المزامير بخطاياهم وشكوكهم ومخاوفهم ويلتمسون من الله المعونة فى وقت الضيق بالتسابيح والعبادة .
وعندما نقرأ هذه المزامير نسمع مؤمنيين يصرخون إلى الله من أعماق اليأس، كما نسمعهم يترنمون بأسمى التراتيل ، وسواء فى اليأس أو فى الفرح نسمعهم يعبرون لله عن مشاعرهم الصادقة .

والمزامير مائة وخمسون مزموراً كتب منها داود 37 مزموراً ً، وكتب أساف 12 مزموراً، وأبناء قورح تسعة مزامير ، وكتب سليمان مزمورين وكتب كل من هيمان (من أبناء قورح) وايثان وموسى مزموراً واحداً ، وهناك 51 مزموراً لا يُذكر كاتبها، وينسب العهد الجديد مزمورين من المزامير مجهوله الكاتب الى داود وهما المزمور الثانى والمزمور الخامس والتسعون.

وبذلك يكون تاريخ كتابة هذه المزامير مابين زمن موسى (حوالى 1440ق م) والسبى البابلى (586 ق م).

ولم يكن القصد من المزامير أن تكون سجلاً لأحداث تاريخيه ، لكنها كثيراً ما تذكر أحداثاً فى التاريخ مثل هروب داود من شاول وخطيئته مع "بتشبع" . وقد وضعت لغالبية المزامير، أصلاً ، ألحان موسيقيه تُعزف على العود والقيثاره.

*أقسام المزامير:

يمكن تقسيم المزامير إلى خمسة أجزاء ، وبينما لا ترتب بحسب الموضوعات فإن البعض يرى أن تقارن بعض الموضوعات الغالبة فى كل قسم من المزامير مع أسفار موسى الخمسة.

*الجزء الأول:(من المزمور الأول حتى الواحد والاربعين):

هذه المزامير شبيهة بسفر التكوين من ناحية خلق الجنس البشرى وسقوط الإنسان فى الخطيئة.

* أمثلة المزمور السادس:

" يارب لا توبخنى بغضبك ولا تؤدبنى بغيظك ، ارحمنى يا الله لانى ضعيف ، اشفنى يا الله لأن عظامى قد رجفت ، ونفسى قد ارتاعت جداً عد يارب – نج نفسى – خلصنى من أجل رحمتك .. تعبت فى تنهدى ، أعَومْ فى كل ليله سريرى بدموعى ، إبعدوا عنى ياجميع فاعلى الإثم".

*المزمور 32 :

" طوبى للذى غُفر إثمه وسترت خطيته ، طوبى لرجل لايحسب له الرب خطيه ولا فى روحه غش ، كثيرة هى نكبات الشرير ، أما المتوكل على الرب فالرحمه تحيط به ، افرحوا بالرب وابتهجوا يا ايها الصديقون واهتفوا ياجميع المستقيمى القلوب".

*المزمور 34:

" ابارك الرب فى كل حين دائما تسبيحَهُ فى فمى ، بالرب تفتخر نفسى يسمع الودعاء فيفرحون، عظموا الرب معى ولْنُعل اسمه معاً. من هو الانسان الذى يهوى الحياه ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً . صن لسان عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش – حد عن الشر واصنع الخير ، اطلب السلامه واسع وراءها – قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح، كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ، يحفظ جميع عظامه واحد منها لاينكسر – الشر يميت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون " الرب فادى نفوس عبيده" وكل من اتكل عليه لايعاقب.

*الجزء الثانى (من المزمور 42 حتى المزمور 72):

وهذه المزامير والتى كتب غالبيتها داود وبنو قورح شبيهة بسفر الخروج فكثير من هذه المزامير يصف الأمه فى خرابها ثم رجوعها.

* أمثلة المزمور 51:

" ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك وحسب كثرة رأفتك امح معاصى اغسلنى كثيرا من اثمى ومن خطيتى طهرنى لأنى عارف بإثمى وخطيتى امامى دائماً . إليك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت – قلباً نقياً إخلق فى يا الله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى – لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى – نجنى من الدماء يا الله اله خلاصى ، يارب افتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك لانك لا تسر بالذبيحه والاّ كنت اقدمها .. ذبائح الله روح منكسره وقلب منسحق.

*المزمور 52 :

" لماذا تفتخر بالشر ايها الجبار –رحمة الله هى كل يوم – لسانك يخترع مفاسد – احببت الشر أكثر من الخير – الكذب اكثر من التكلم بالصدق .. يهدمك الله الى الأبد .. ويستأصلك من أرض الأحياء" .

*المزمور 57 :

" ارحمنى يا الله ارحمنى لأنه بك احتمت نفسى وبظل جناحيك احتمى الى ان تعبر المصائب – اصرخ الى الله العلى المحامى عنى .. يرسل من السماء ويخلصنى ، اضطجع بين بنى ادم .. اسنانهم اسنه وسهام ولسانهم سيف ماضى .. ليرتفع على كل الأرض مجدك ... حفروا قدامى حفره .. سقطوا فى وسطها".

*المزمور 63 :

" ياالله الهى انت – اليك أبكر عطشت اليك نفسى يشتاق اليك جسدى فى أرض يابسه بلا ماء .. التصقت نفسى بك يمينك تعضدنى –اما الذين هم للتهلكه ويطلبون نفسى فيدخلون فى اسافل الأرض".

*الجزء الثالث:(من المزمور 73 الى المزمور 89):

كتب معظم هذه المزامير (آساف) شبيهة بسفر اللاويين فهى تتحدث عن الهيكل وجلوس الله على عرشه .

*المزمور 73 :

"حقاً إن الله رفيق بذوى القلوب التقيه – أما أنا فقد أوشكت قدماى أن تزلا لانى حسدت المتكبرين – اذ شاهدت نجاح الاشرار فإن أوجاع الموت لا تصيبهم واجسامهم سمينه. لايقاسون من اتعاب البشر ولايعانون من المصائب كالناس – لذلك لبسوا الكبرياء قلاده وارتدوا الظلم كثوب ، عيونهم جاحظه من كثره شحم لحمهم وشرهم تجاوز مايتصوره القلب – جدفوا على السماء ويقولون كيف يعلم الله وهل يدرى العلى بما يحدث ؟ هاهم الاشرار المفلحون فى العالم يزدادون ثروة . وعندما نويت أن أفهم هذا تعذر الأمر على . إلى أن دخلت أقداس الله وتأملت مال الاشرار – حقاً انك أوقفتهم فى اماكن زلقه واوقعتهم فى التهلكات .. كيف صاروا للخراب فجأه ؟ انقرضوا وافنتهم الدواهى كحلم يتلاشى عند اليقظه هكذا تختفى صورتهم عندما تنهض يارب لمعاقبتهم عندما تمرمر قلبى ووخزنى ضميرى أدركت اننى كنت غبياً لا أعرف شيئاً – اذ كنت كبهيمه امامك .. غير انى معك دائماً وانت قد امسكت بيدى اليمنى وبعد ذلك تأخذنى إلى المجد".

*المزمور 77 :

" إلى الله ارفع صوتى – إلى الله أصرخ فيصغى إلىّ ، فى يوم ضيقى طلبت الرب .. اذكر الرب فأتنهد ... يا الله ان طريقك هى القداسه . فأى اله عظيم مثل الله؟ أنت الإله الصانع العجائب وقد اعلنت قوتك بين الشعوب".

*المزمور 79 : فى الغالب بعد تدمير البابليون اورشليم

" يا الله أن الامم قد دخلت ميراثك ونجست هيكلك المقدس وجعلت اورشليم اكواماً ".

*الجزء الرابع (من المزمور 90 إلى المزمور 106):

هذا الجزء من المزامير التى لايذكر الكاتب فى غالبيتها ، شبيهه بسفر العدد وكثيراً ماتتحدث عن علاقة ملكوت الله بالأمم.

*المزمور التسعون:

هذا المزمور لموسى مما يجعله أقدم مزمور – ويقول فيه:

"يارب أنت كنت لنا ملجأ نلوذ به جيلاً بعد جيل ، قبل أن أوجدت الجبال أو كونت المسكونه ، انت الله من الأذل وإلى الأبد – تعيد الانسان إلى التراب ، فإن ألف سنه فى عينيك كيوم أمس الغابر أو مثل هزيع من الليل . إلى متى يطول يارب غضبك ؟ ارجع وتلطف على عبيدك – فَرِحْنا بمقدار الأيام التى بليتنا بها – ولتكن نعمة الرب الهنا علينا ، انجح عمل ايدينا".

*المزمور الثالث والتسعون:

(حول طبيعه الله القديره فخليقته تذكرنا بقدرته العظيمه)

" الرب قد ملك مرتديا الجلال ، متمنطقاً بحزام القوه – الأرض تثبتت فلن تتزعزع ، عرشك ثابت منذ القدم لأنك الله منذ الأزل – الرب فى العلاء أعظم من أمواج البحر الهادره – اقوالك ثابته الى الأبد ، وببيتك يارب تليق القداسه مدى الدهر.

*المزمور المائه وثلاث :

" باركى يانفس الرب ولاتنسى جميع خيراته ، انه يغفر كل أثامك ويبرىء كل امراضك ويفدى من الموت حياتك ويتوجك بالرحمه والرآفه فيشبع بالخير عمرك فتتجدد كالنسر حياتك – الرب يحكم بالعدل وينصف كل المظلومين – الرب ثبت فى السماوات عرشه ومملكته على جميع البشر تسود.

*الجزء الخامس (من المزمور 107 حتى المزمور 150):

هذه المجموعه كتب غالبيتها داود وتشبه سفر التثنيه وهى عباره عن أناشيد تسبيح وحمد لله وكلمته.

*المزمور المئه وعشر : مزمور لداود يتكلم عن المسيح المنتظر

" قال الرب لربى ، أجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك – أقسم الرب ولم يتراجع ، انت كاهن إلى الأبد على رتبه ملكيصادق – الرب واقف عن يمينك فى يوم غضبه يحطم ملوكاً ، يقضى بين الأمم".

*المزمور المئه وسبع عشر:

" سبحوا الرب ياجميع الأمم ومجدوه يا كل الشعوب ، لأن رحمته قد غلبت علينا وأمانة الرب إلى الأبد تدوم .

*المزمور المئه وأربع وعشرين:

" لو لم يكن الرب معنا عندما قام الناس علينا لإبتلعونا ونحن احياء عند سخط غضبهم علينا ، ولجرفتنا المياه وطغا السيل علينا – مبارك الرب الذى لم يجعلنا فريسة لاسنانهم – نجت انفسنا كالعصفور من فخ الصياد – الفخ انكسر ونحن نجونا – عوننا بإسم الرب الذى صنع السماوات والأرض.

*المزمور المئه وسبع وعشرين:

" إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناؤون وان لم يحرس الرب المدينه فباطلاً سهر الحراس – البنون ميراث من عند الرب وابناء الشبيبه مثل السهام فى يد القوى طوبى للذى يملأ جعبته منهم".

*المزمور 146:

" سبحوا الرب فإن المزمور جيد ، لإلهنا يلذ التسبيح الرب يشفى منكسرى القلوب ويجبر جميع كسرهم ، المحصى كثره الكواكب ولكافتها يعطى اسماء – عظيم هو الرب وعظيمة هى قوته ، ولا احصاء لفهمه – الرب يرفع الودعاء ويذل الخطاه الى الأرض ، الذى يجلل السماء بالغمام ، الذى يهيىء للأرض المطر – الذى ينبت العشب على الجبال والخضره لخدمة البشر ويعطى البهائم

طعامها ولفراخ الغربان التى تدعوه ... لا يؤثر قوه الفرس ولا يسر بساقى الرجل، بل يسر الرب بخائفيه وبالراجين رحمته.

الملك سليمان

ملك سليمان مابين عامىْ 970 ، 930 ق م ، والأحداث الرئيسية فى سفر الملوك الأول هى موت داود وملك سليمان وانقسام المملكه ، وحياة ايليا النبى.

كان ادونيا رابع أبناء داود وكان له الحق أن يخلف أباه فى الحكم ، فابن داود الأكبر أمنون قتله أبشالوم لإغتصابه أخته (2 صم 13 : 2 – 33) وابنه الثانى دانيئيل كان قد مات قبل ذلك الوقت والابن الثالث أبشالوم مات اثناء ثورته (2 صم 18 : 1- 18) . ومع أن الكثيرين أيامها كانوا يتوقعون أن يكون أدونيا هو الملك القادم إلاّ ان اخاه الأصغر سليمان اعتلى العرش . وقرر أدونيا أن يستولى على العرش بدون علم داود إذ كان يعلم أن سليمان هو المفضل وله الأولوية عند داود ليكون الملك بعده، لكن باءت خططه بالفشل ، واكتفى سليمان بطرد أخيه – ثم حاول مرة أخرى (ادونيا) أن يصل ألى المُلَكَ ، فذهب إلى أم سليمان بتشبع وقال " أنت تعلمين أن الملك كان لى ، وقد جعل جميع اسرائيل وجوههم نحوى لأملك ، فدار المُلْكْ ، وصار لأخى . والآن اسألك سؤالاً واحداً فلا ترديني فيه فقالت له تكلم ، فقال : قولى لسليمان الملك – لأنه لا يُردك – أن يعطينى " ابيشج الشونميه" امرأة " . ولما سمع سليمان هذا المطلب أجاب بتهكم " ولماذا أنت تسألين أبيشج الشونميه لأدونيا ، فاسألى له الملك لأنه أخى الأكبر منى" ... وحلف سليمان الملك بالرب أن اليوم يقتل أدونيا ، فأرسل الملك سليمان بناياهو بن يهويا داع وقتل أدونيا . لقد كانت خطة أدونيا للوصول الى الحكم أن يتزوج خليلة والده وحاضنته فى شيخوخته – ويصبح بذلك له الحق فى العرش لأنه تزوج إحدى نساء الملك وهى عادة كانت سائده فى ذلك العصر .. حتى فى مصر الفرعونية والتى كان يلجأ فيها البعض إلى الزواج من أخواتهم ليصلوا الى العرش.

ثم أمر سليمان بقتل يؤاب وقد كان قائداً عسكرياً بارعا لجيش داود ولكنه انضم الى أدونيا – وطرد أبياثار أحد رؤساء الكهنة فى عهد داود لنفس السبب . وعين رجالاً آخرين مكانهم واحكم قبضته على المملكة ، ويقول الكتاب المقدس " وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك ، من النهر إلى أرض فلسطين والى تخوم مصر" – أما عن حكمته وعظمته فقد اعطاهما الله له كطلبه – فيقول الكتاب " هوذا قد فعلت حسب كلامك ، هوذا أعطيك قلباً حكيماً ومميزاً ، حتى انه لم يكن مثلك قبلك ، ولا يقوم بعدك نظير .. فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض فى الغنى والحكمه .. وفاقت حكمة سليمان حكمة كل بنى المشرق وكل حكمة المصريين" .. فتكلم بثلاثه الآف مثل ، وكانت نشائده ألفاً وخمساً وتكلم عن الأشجار من الأرز التى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك ، " وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان .. من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته " (1 ملوك ص3 ، ص4 ، ص10).

*ملكة سبأ:

جاء فى الأصحاح العاشر من سفر ملوك أول " سمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب ، فأتت لتمتحنه بمسائل ، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً ، بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً وحجارة كريمة ، وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ماكان بقلبها ، فأخبرها سليمان بكل كلامها .. فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان ، والبيت الذى بناه ، وطعام مائدته ، ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم ، وسقاتِه .. ومحرقاته التى كان يصعدها فى بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد فقالت للملك :

صحيحاً كان الخبر الذى سمعته فى أرضى عن أمورك وعن حكمتك ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناى ، فهو ذا النصف الذى لم أخبر به .. فانصرفت وذهبت إلى أرضها".

*تعليق:

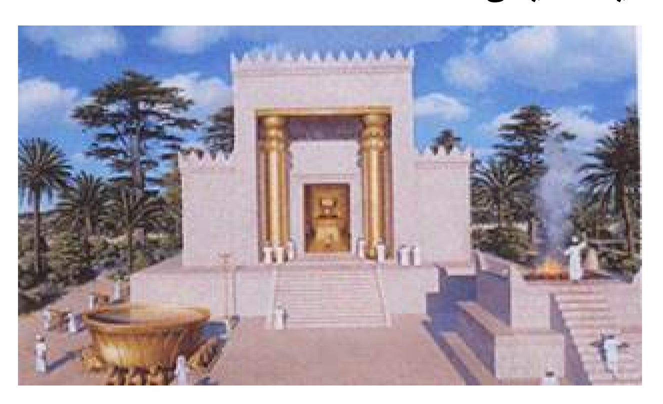
لم تذكر التوراة اسم ملكلة سبأ .. وما جاء فى القرآن الكريم حول هذه القصه على لسان الهدهد " فمكث غير بعيد ، أَحَطت بما لم تُحِطْ به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيىء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله " (النمل 22 : 24).. " فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ، قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين" (النمل 32) وعند رؤية ملكلة سبأ مايوصف وكأنه حوض سمك زجاجى ضخم " قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" (النمل 44)

أما الاسم (بلقيس) فهو من التراث العربى .. وقد يكون الاسم مشتقاً من كلمة (بلتيس) وهو اسم إلهة كان العرب يعبدونها وقد تكون هى نفسها فينوس أو الزهرة.

ويذكر الدكتور سيد القمنى فى كتاب "الأسطورة والتراث" ، أن آخر أباطرة الحبشه "هيلاسيلاسى" كان يزعم أنه الحفيد الأخير فى سلسلة أباطره حكموا الحبشه ، وأن هذا السلسال يعود بالبنوه إلى العلاقه التى قامت بين سليمان وبلقيس بعد ان خلبت لبه بفتنتها. ولتأكيد علاقته بسليمان ملك اليهود فقد استساغ لنفسه لقب (أسد يهوذا).



هيكل سليمان



هيكل سليمان من الداخل

والغريب حول هذه الأسطورة كما ورد فى الكتاب سالف الذكر ، أن " الثعلبى" قال إن ملكة سبأ كانت بنت جنية اسمها بلقيس بنت اليشرح وهو الهدهاد – وكان ملك أرض اليمن .. وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بإمرأه من الجن يقال لها ريحانة .. فولدت له بلعمه وهى بلقيس . وعلى قول "ابن كثير" أن بلقيس كانت نتاجاً هجيناً كثمرة زواج ، كان أحد أبوى بلقيس جنياً ، فكان لها سيقان ماعز وأن حافرها كان كحافر الدابة.

هناك دهشه حول الرحلة التى قطعتها ملكة سبأ من اليمن الى فلسطين بطول الجزيرة العربية وبطول البحر الأحمر ، وكيف تحملت هذه السيدة مشقة هذا السفر الطويل لمجرد أن تشاهد عظمة سليمان ولكن دراسة الآثارى (فرتز هومل) تشير إلى أن القبائل التى كونت دولة سبأ اليمنية، كانت قبل نزوحها الى اليمن تسكن شرقى خليج العقبه .. أى أنها كانت تسكن على الحدود الجنوبية لفلسطين – كما جاء فى النصوص الرافدية القديمة مايدعم هذه الفرضيه حول بدو أعراب يعيشون فى مملكة تحكمها النساء وأطلقت النصوص على هذه الملكة اسم اريبى أو عربى ، وأشارت أنها تقع شرقى خليج العقبه أو إلى الجنوب الغربى من بلاد العراق.

*عظمة مملكة سليمان:

كان سليمان يحكم مملكة عظيمة وله قصر فخم وينعم بثراء فاحش ويعيش وسط مظاهر الأبهه والعظمة ، وامتدت مملكة سليمان من وادى العريش فى مصر جنوباً حتى قادش شمالاً وكانت الصحراء العربية تُحِده من الشرق والبحر المتوسط من الغرب ، وامتدت دائره نفوذه حتى الفرات . وأمن سليمان مملكته بعقد اتفاقيات فأقام علاقات دبلوماسية مع مصر وتزوج إبنة فرعون مصر "سنوست الثانى" الذى أهداه مدينة جازر والتى كانت خاضعة لمصر (ملوك أول 9 : 15 ، 3 : 1) وأقام علاقات سياسية وتجاريه مع "حيرام" ملك صور وبذلك حصل على تسهيلات بحريه فى موانى البحر المتوسط (1 ملوك 5 : 1).

ولتأمين المملكة سعى سليمان ليكون له جيش قوى منظم وعين على رأسه بناياهو بن يهوياداع – منفذ خططه – وأقام بجانب الجيش العامل قوات خاصة للحرس الملكى (1 اخ 27: 1 – 15) – وكان الجيش يضم 1400 عربه حربيه ، 12000 فارس مدرب (1 ملوك 4 : 26 ، اخ 9 : 25) – واهتم أيضاً ببناء الاسوار والحصون حول المدن – فحصن أورشليم بأن أقام حولها سوراً وسد الشقوق والفتحات التى بالأسوار وبنى القلعه (1 ملوك 3 : 1 ، 9 : 15) كما اهتم بحماية المدن الكبرى فبنى ثلاثه حصون هامه فى حاصور ومجدو وجازر كمراكز دفاعيه – فكانت حاصور تتحكم فى طرق الشمال ومجدو تتحكم فى الممر الرئيسى لسلسلة جبال الكرمل ، وجازر تتحكم فى مدخل الطريق الممتد مباشرة من الشاطىء الى مرتفعات يهوذا ثم أورشليم – كما حصن (بعلة) لتكون قاعدة لحراسة الحدود من جهة الغرب ، وأيضا (تامار) لصد هجمات ادوم فهى تشرف على الطرق المؤديه الى مناجم النحاس لوادى العربه وميناء عصيون جابر (العقبه).

وحكم سليمان مملكة هادئة وطوال حكمه لم تتعرض المملكه لأى حروب خارجيه . "وسكن يهوذا واسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان الى بئر سبع كل أيام سليمان" (1 ملوك 4 : 20 -25).



جبل الهيكل في أورشليم والموقع المفترض للهيكل الأول والثاني

*القصـر والهيكل :

من اهم المنشئات المعمارية التى قام بها سليمان بناء بيت الرب أو الهيكل (هيكال بالكنعانيه) وكذلك القصر الذى خصصه لسكناه ومقراً للحكم . والهيكل طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون وارتفاعه ثلاثون .. وقد غشاه بذهب .. وعمل فى المحراب كروبين (الكروب .. ملاك فى هيئة نسر مجنح) وغشاها أيضاً بالذهب .. وقد اشرف على البناء مهندسون وعمال مهره من النجارين والبنائين والنحاتين من فينيقيا ذات الشهره الواسعه فى فن البناء بعث بهم اليه ملك حيرام ، كما امده بخشب السرو والارز. وقد بنى الهيكل على جبل " الموريا " فوق قبه صخريه (تك 22 : 2) ويتجه للشرق – وقد بُدء فى بنائه فى العام الرابع لحكم سليمان وتم البناء بعد سبع سنوات (959 ق م). وبعد تدشينه أحضر اليه تابوت الرب ووضع فى المقدس . وظل هذا الهيكل قائما حتى خُرب على يد نبوخذنصر فى عام 586 ق م.

*أما القصر:

فقد كان أكثر ضخامه من الهيكل فقد كان طوله مائه ذراع وعرضه خمسون وارتفاعه ثلاثون ذراع .. مؤسساً ومزخرفا بالاحجار الكريمه وعمل البحر مسبوكاً عشرة أذرع (حوض اسماك الزينه). أما العرش فقد غشاه بذهب من ابريز وللكرسى ست درجات – اسدان واقفان بجانب اليدين – واثنا عشر اسداً واقفه على الدرجات الست . جميع آنية شرب الملك من ذهب ، وجعل الملك الفضه فى أورشليم مثل الحجاره .

أما عن حجم الهيكل فهو يظل بناء صغيراً بالمقارنة بمعابد المصريين القدماء والاشوريين. ويقول عنه (ويلز) " إننا لو استخرجنا من قصة التوراة أطوال معبد سليمان ، لوجدنا أن بالإمكان وضعه داخل كنيسه صغيره من كنائس الضواحى" . كما يعلق (جوستاف لوبون) "لاينبغى لنا أن نتحدث عن وجود شيىء من فن النحت أو التصوير عند بنى اسرائيل ، وقل نفس الشيىء عن فن البناء – وانظر إلى هيكلهم تجده بناء أقيم على الطراز الأشورى المصرى ، من قبل بنائين من الأجانب ، ولم تكن قصورً سليمان غير نسخ رديئة للقصور المصرية والآشورية".

*حياة سليمان:

بدأ عصر سليمان بداية دينية لكنه إنتهى .. نهاية مؤسفه. ففى البداية كان يسجد فى جبعون، وبنى الهيكل ونظم فيه خدمة الكهنة واللاويين والبوابين والمغنيين وكون فرق الموسيقى فى الهيكل وأوكل

إلى صادوق الكاهن الخدمة الدينيه . كما نقل تابوت العهد فى موكب مهيب يوم عيد المظال – وبدأ كرجل صلاة يوم تدشين الهيكل وكان الرب حاضراً وتكلم إليه (2 اخ 7 : 1 ، 8 : 13) وظل الهيكل مركز العبادة الروحية والإيمان بالله الواحد وسط ديانات وثنية تحيط بدولته وتتسم بالانحلال والشهوات والجنس.

لكن سليمان لم يحتفظ بحياته الدينيه الراقية فإنحرف بسبب كثرة نسائه الوثنيات وسمح لهن بعبادة آلهتهن وبذلك تسللت العبادة الوثنية واصبحت فخاً لإسرائيل فيما بعد.

ويقول الكتاب " وأحب سليمان نساء غريبه كثيرة فوق إبنة فرعون كُنَّ من الحثيات والمؤابيات والعمونيات والأدوميات والصيدونيات ، وانجب رحبعام ابنه من امرأه عمونية " (1 ملوك 11 : 1) . وكان له سبعمائه من الزوجات وثلاثمائه من السرارى – وبذلك دخلت عبادات ملكوم وعشتاروت ومولك فى وسط عبادة الله فى الهيكل . وبزيجاته المتعدده لم يكن متعصباً لشرائع اليهود.

ويطلق العدد الهائل لزوجات سليمان .. يطلق الخيال لبعض المؤرخين ، فإبن كثير يقول "كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً" .. والبعض يؤكد فحوله سليمان الى حد مضاجعه تسعين امرأة وبعضها يصل إلى مائه امرأة وبعضها إلى الألف امرأه فى ليلة واحده !! – ويقول فى ذلك الصدر الجزائرى " كان لسليمان حصن بَنَاهُ الشياطين له فيه ألف بيت – في كل بيت منكوحه ، منهن سبعمائه أمَة قبطية وثلاثمائه حرة أمهريه فأتاه الله قوة اربعين رجلاً فى مضاجعة النساء ، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفهن".

*مصير المملكه:

تميز حكم سليمان بالهدوء والسلام ، وشجعت المعاهدات السياسية والتجارية فى وجود مملكة قوية وغنية وعاشت عصراً ذهبياً – وزاد من ثرائها استخراج النحاس من خليج العقبه ونشاط أسطولها التجارى فى البحر الأحمر.

ولكن مملكة سليمان العظيمة فى الحقيقة لم تكن أكبر الممالك فبالتأكيد لا تصل عظمتها واتساع نفوذها إلى ممالك تحتمس الثالث مثلا أو الامبراطوريه الآشورية أو امبراطورية الاسكندر.

ومن الأسباب الرئيسية لإستتباب الحكم والهدوء فى هذه المملكة ، الجو العام للممالك المحيطة والمؤثره دائماً فى هذه المنطقة وهى مصر الفرعونيه والأشوريين.

*الوضع فى مصر:

تبع رمسيس الثالث فى الحكم تسعة ملوك ضعاف سموا كلهم باسم رمسيس الكبير ولكنهم لم يستحقوا هذا الاسم العظيم – واخذت سلطة هؤلاء الملوك تقل بسرعة فبلغت الحضيض فى مدة يسيرة – وسيطر الكهنه على مقاليد الأمور طوال هذه الفتره فى نهاية الاسرة العشرين . وتمكن الكهنه من ابتزاز الفراعنه ، مؤكدين لهم أن معبودهم سيهب لهم حكماً طويلاً – وانعدمت الحمية فى نفوس المصريين وتغلغلت فيهم عقائد فاسدة دينية وسحرية وهكذا تغلب الجهل والضعف وسارت سفينة السياسة المصرية فى طريق أعوج خطير يفضى إلى الدمار لأن السلطة التنفيذية أخذت تخضع تدريجياً للسلطة الدينية ، فلم يكن هناك صعوبة على رئيس كهنه آمون أن يغتصب الملك وينفرد بالحكم ، بعد مضى سبع وعشرين سنه على حكم رمسيس الثانى عشر .. وهذا الكاهن هو حريحور .. وتأسست الاسرة الحادية والعشرون.

وقد أثر استقلال طيبه الدينى كثيراً فى كيان الامبراطورية المصرية لإنه جاء بمثابة انهيار صرح مجدها وانفكاك عرى مملكتها – وبعد أن سيطر كهنة آمون على طيبة نشأت منازعات داخلية بسبب محاولتهم السيطره على القطر نجم عن ذلك انقسام القطر وانحلاله وقد بدأ هذا الانحلال فى عهد نسويا بندد وحريحور فى أواخر القرن الحادى عشر قبل الميلاد واستمر نحو اربعمائه وخمسين سنه . أما الليبيون فقد بسطوا نفوذهم بسهولة على الوجه البحرى بطريق الهجرة السلمية ومما ساعد على ذلك زيادة الجنود الليبيين المأجورين بالجيش المصرى بإطراد.

واستمرت الاسرة الحادية والعشرون فى الضعف المطرد مدة حكمها البالغة مائة وخمسين سنه – كانت فى اثنائها تتعظم قوة الليبيين بمدينة اهناس حتى تمكن أحد أفرادها وهو شيشنق من قيادة أسرته الليبيه وفى عام 945 ق م تمكن من الاستيلاء على عرش مصر والتربع فيه بمدينة تل بسطا شرق الدلتا . ويعتبر مانيتو شيشنق مؤسس الاسرة الثانية والعشرين.

*سقوط المملكة:

حكم سليمان أربعين عاماً كانت اسوأها تلك التى عاشها فى ختام حياته ، والتى انتهت بموته وانتهت معه مملكته بكل عظمتها ومجدها.

وهناك أسباب عديدة لهذا السقوط .. أولها حياة البذخ الشديد التى عاشها سليمان فى قصره المنيف واقتناء الذهب – فجميع آنية شرب الملك من الذهب وجعل الملك الفضة فى أورشليم مثل الحجارة – وتزوج من بنت فرعون وعاشر نساء غريبات معها يصل عددهن إلى الألف

وكانت مائدة سليمان لليوم الواحد " ثلاثين كر سميد ، وستين كردقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المراعى ، ومئة خروف ماعدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمن".

كما كان ينفق الكثير على جيشه العرمرم من المركبات والفرسان . وكانت قمة البذخ فى الكم الهائل من الأحجار الكريمة والذهب التى استخدمها سليمان فى بناء منشآته .. وردم أسس هذه المنشآت بالأحجار الكريمه. ونتيجه لهذه الضخامة فى البلاط وفخامته اضُّطر سليمان إلى اقامة نظام ضرائب ألقى على شعبه عبئاً ثقيلاً فسارت البلاد نحو أزمة اقتصادية والدليل ماجاء فى سفر ملوك أول عن أسلوب سداد سليمان لديونه من أجور البنائين والمهندسين للملك حيرام فيقول "وبعد نهاية عشرين سنة بعدما بنى سليمان البيتين – بيت الرب وبيت المُلك – وكان حيرام قد ساعف (أمد) سليمان بخشب أرز وخشب سرو وذهب – حسب كل مسرته – أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة فى أرض الجليل وشمالى الكرمل وسهل عكا " . كما بدأ نفوذه يضمحل ويفقد سيطرته فى جنوب الفرات . وفى الجنوب حدثت قلاقل من هُدد ملك أدوم وفى الشمال بدأت المتاعب من رزون ملك دمشق.

وفى الداخل حدثت مؤامرة انقلاب فاشل يقودها القائد العسكرى يربعام(1 ملوك 11: 14- 40).

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت من مملكة سليمان مملكه هشة أنقسمت على ذاتها بعد وفاته مباشرة.

ولكن بالرغم من أن سليمان الحكيم عاش فترة ضياع خطيرة لكنه رجع إلي الله بتوبة صادقة وحول سقطاته إلي حكمة بثها الأخرين وعظة وحول ضعفه إلي قوة وحول الأحداث المرة والتجارب التي يعيشها الإنسان إلي نصائح غالية يتوجه بها إلي العالم من إنسان مارس الخطية ثم عرف طريق الله.

وقد كان سليمان فيلسوفاَ... عاش قبل ظهور فلاسفة اليونان بعدة قرون.. وأتت أقواله وفلسفته دون أن يقتبس شيئاً من هؤلاء.. كما أنه أيضاً لم يقتبس شيئاً من العالم الأممي الوثني في أسفاره في العهد القديم.

فقد أهتم بالطبيعة (1 مل 4: 33) ودعا الإنسان لكي يتعلم من العالم المحيط به بما فيه من حيوانات وحشرات حتى النملة (أم 6: 6). كما ركز على أن الله هو الحق ومصدره وأن الإنسان يستطيع أن يملك الحكمة إذا عرف طريق الله.

أما عن حياة سليمان الخاصة.. فقد تزوج في بداية حكمه من إبنة فرعون حتى يكون مصدر أمن له. وقد يكون هذا الاتجاه الدبوماسي هو سبب زيجاته المتعددة.. والتي حفظت السلام لبني إسرائيل أربعين سنة (1مل 4: 24).

أما ما ذهب إليه البعض عن قدرته الجنسية وخلافه.. فهذا شيء مشكوك فيه حتى من الناحية الطبية.. فلا يستطيع الإنسان لا جسديا ونفسياً ولا حتى غريزياً أو مزاجياً أن يعاشر ألف امرأة.

ولكن علي أي الأحول تبقي لنا أسفار سليمان.. الأمثال والحكمة ونشيد الأنشاد. وما فيها من حق الإله علي البشر وواجبات البشر نحو بعضهم البعض و نحو الإله الواحد ونحو حياة أفضل.

ويري البعض أن سليمان جمع بعض أمثاله من الذين سبقوه سواء كانوا عبرانيون أو من الأمم... ولم يسجل كل ما جمعه ولكن بإعلان الله اختار ما يتفق مع الفكر الإلهي وتعاليم الله وأودعه بين ايدي المؤمنين.

سليمان الحكيم وسفر الأمثال

بعد أن طلب الملك سليمان من الله أن يعطيه الحكمة ولبى الله طلبه هذا ، وفى بداية سنى حكمه كتب سليمان هذا السفر لتعليم الناس كيف يكونون ذوى فهم وعادلين ومٌنصفين ولتحذير الشباب من بعض المشاكل التى سيواجهونها ومساعدة الحكماء ليكونوا قادة صالحين . وبإختصار لتطبيق الحكمة السماوية على الحياة اليوميه ولتزويد الانسان بالتعليم الأخلاقى.

والمعرفة صالحة لكن شتان مابين المعرفة (تحصيل الحقائق) والحكمة (تطبيق هذه الحقائق على الحياه) فقد نكدس المعلومات ، ولكن بدون حكمه تصبح معرفتنا عقيمة . وفى هذا السفر يقدم لنا سليمان نصائحه العملية على شكل أمثال – والمثل هو جملة موجزة ومُركَزه تحمل فى طياتها نصيحه أخلاقيه .. ويغطى السفر مجالات متعددة تشمل الشباب ، التأديب ، الحياة الأسرية ، ضبط النفس ، مقاومة التجربة ، واللسان ومعرفة الله والزواج والثروة والفقر والفجور.

وهذه الأمثال عبارة عن أشعار قصيرة عادة من شطرين . ومع انه ليس المقصود منها تعليم عقائد فإن الشخص الذى يتبع مابها من نصائح ، يكون قريباً من الله – وما يُبْغَى من التصرف السليم فى تعامل الإنسان مع نفسه ومع الآخرين . وكلمة مَثَل فى العبرية مشتقه من كلمة معناها يحكم أو يُوَجِه.

*مقتطفات من الأمثال:

(1) نصائح للشباب:

• استمع ياإبنى إلى توجيه أبيك ولاتتنكر لتعليم أمْك – فإنهما إكليل نعمة يتوج رأسك وقلائد تطوق عنقك (1: 8 – 9).

• يا إبنى ان استغواك الخطاة فلا تقبل (1 : 10).

• لاتدع الرحمة والأمانه يتخليان عنك ، فتحظى بالرضى وحسن السيرة فى عيون الله والناس (3 : 3).

• ياإبنى لاتحتقر تأديب الرب لأن الرب يؤدب من يحبه ويسر به كما يسر أب بإبنه (3: 12).

• لاتحجب الإحسان عن أهله كلما كان فى وسعك أن تقوم به . لاتقل لجارك إذهب الأن ثم عد ثانية ،غداً أعطيك ماتطلب ، طالما لديك مايطلب.

• لا تتآمر بالشر على جارك المقيم مطمئنا إلى جوارك – لاتخاصم أحداً من غير علة طالما لم يؤذك (3 : 27).

• لا تدخل فى سبيل الأشرار ولاتنتهج نهجهم لأنهم يأكلون خبز الشر ويشربون خمر الظلم – أما سبيل الأبرار فكَنُور متلألىء (4 : 14).

• حدق باستقامة امامك ، ووجه أنظارك إلى قدامك – تبين موقع قدمك فتضحى جميع طرقك ثابته . لاتحد يميناً او شمالاً وابعد رجلك عن مسالك الشر (4 : 25).

• شفتا المرأة العاهرة تقطران شهداً وحديثها أكثر نعومة من الزيت ، لكن عاقبتها مرة كالعلقَم (5 : 3).

• ليكون ينبوع عفتك مباركاً واغتبط بإمرأة شبابك فتكون كالظبية المحبوبة فترتوى من فيض فتنتها وتظل دائماً أسير حبها . لماذا تولع يابنى بالمرأة العاهرة أو تحتضن الغريبة؟ (5 : 18).

• يا إبنى إن ضمنت أحداً وإن أخذت على نفسك عهداً للغريب ، إن وقعت فى فخ أقوال فمك وعلقت بكلام شفتيك ، فإفعل هذا يابنى ونج نفسك ، لانك أصبحت تحت رحمة صاحبك (6 : 1).

• إذهب إلى النملة أيها الكسول تمعن فى طرقها وكن حكيماً فمع أنها من غير قائد أو مدبر أو حاكم ، إلا أنها تخزن طعامها فى الصيف وتجمع مؤونتها فى موسم الحصاد – فإلى متى تظل راقداً أيها الكسول ؟ متى تهب من نومك. فَبِطىّ اليدين للهجوع تجعل الفقر يقبل عليك كقاطع طريق والفاقه كغازٍ مسلح (6 : 6).

• الرجل المغتاب – الرجل الأثيم هو من يسعى بنميمة الفم الكاذبة (6 : 12).

• ستة أمور يمقتها الرب وسبعة مكروهة لديه : عينان متعجرفتان ، ولسان كاذب ويدان تسفكان دماً بريئاً ، وقلب يتأمر بالشر ، وقدمان تسرعان بصاحبهما لارتكاب الإثم ، وشاهد زور ينفث كذباً ، ورجل يزرع خصومات بين الأخوة (6 : 16).

• من حفر حفرة لأخيه وقع فيها (26 : 27).

• أمرأة فاضله إن وجدتها ثمنها يفوق اللآلىء (31 : 10).

(2) نصائح للجميع

• كنوز المال الحرام لاتجدى ولكن الحق ينجى من الموت (10 : 2).

• فى كثرة الكلام زلاَّت لسان ومن يضبط شفتيه فهو عاقل (10 : 19).

• فى الميزان المغشوش رجس لدى الرب والمكيال الوافى يحوز رضاه (11: 1).

• من يحتقر جاره يفتقر الى الادراك السليم (11 : 12).

• الواشى يفشى السر والأمين النفس يكتمه (11 : 13).

• المرأه الجميله المجرده من الحكمه كخِزامه من ذهب فى انف خنزيره (11 : 22).

• المرأه الفاضله تاج لزوجها أما جالبة الخزى فكنخر فى عظامه (12 : 4).

• أقوال الشفاه الصادقه تدوم الى الأبد أما اكاذيب لسان الزور فتنفضح فى لحظه (12: 19)

• من يعاشر الحكماء يصبح حكيماً ورفيق الحمقى يناله الأذى (13 : 20).

• الجواب اللين يَصرف الغضب والكلمه القارصه تهيج السخط (15 : 1).

• القلب الفرح يجعل الوجه طلقاً وبكآبه القلب تنسحق الروح (15 : 13).

• أكلة من البقول فى جو مشبع بالمحبه خير من أكل وجبة من لحم عجل معلوف فى جو من البغضاء (15 : 17).

• جميع تصرفات الانسان تبدو نقيه فى عينى نفسه ، ولكن الرب مطلع على حوافز الارواح (16 : 2).

• قبل الانكسار الكبرياء وقبل السقوط غطرسة الروح (16 : 18).

• يؤثر التأنيب فى الحكيم اكثر من تأثير مئه جلده فى الجاهل (17 : 10).

• الخمر مستهزئة والمسكر صَخَّاب ومن يدمن عليها فليس بحكيم (20 : 1).

• من يشتم أباه أو أمَّه يطفىء الرب سراج حياته فى الظلمه الحالكه (20 : 20).

• اجراء العدل والحق اكثر قبولاً عند الرب من الذبيحه (21 : 3).

• عاشق اللذه فقير والمولع بالخمر والطيب لا يغتنى (21 : 17).

• الصيت مُفَضَّل عن الغنى الطائل ونعمة المعروف خير من الذهب والفضه (22 : 1).

• لا تأكل من خبز رجل بخيل ولا تشته اطايبه لانه يفكر دائما فى الثمن (23 : 7).

• لاتمتنع عن تأديب الولد ان عاقبته بالعصا لايموت (13 : 13).

• لمن المعاناه ؟ لمن الويل والشقاء والمخاصمات والشكوى ؟ لمن الجراح بلا سبب؟ ولمن احمرار العينين؟ إنها للمدمنين الخمر الساعين وراء المسكر الممزوج ، لاتنظر إلى الخمر اذا التهبت بالاحمرار وتألقت فى الكأس وسالت سائغه فإنها فى آخرها تلسع كالحيه وتلدغ كالافعوان فتشاهد عيناك اموراً غريبه وقلبك يحدثك بأشياء ملتويه فتكون مترنحاً كمن يضطجع فى وسط عباب البحر او كراقد على قمة سارية .. فتقول فمتى استيقظ سأذهب التمس شربها مرة أخرى (23 : 19).

• ان جاع عدوك فأطعمه وان عطش فأسقه (25 : 21).

*نصائح للقاده:

• فى كثرة الشعب فخر للملك ، وفى فقدان الرعية دمار لمقام الأمير (14: 28).

• من الرجس أن يرتكب الملك الشر ، لأن العرش يقوم على البر (16 : 12).

• سخط الملك مثل زمجرة الأسد ، ومن يثير غيظه يسىء إلى نفسه (20 : 2) .

• ابعد الشرير من حضرة الملك يتثبت عرشه بالعدل (25 : 5) .

• الحاكم العاتى المتسلط على الضعفاء ، مثل أسد زائر أو دب ثائر – الحاكم المفتقر إلى الفطنه هو متسلط جائر (28 : 15).

• إذا ساد الأبرار فرح الشعب وإذا تسلط الأشرار أَنَّ الناس (29 : 2).

• بالعدل يشيع الملك الاستقرار فى أرضه والمولع بالرشوه يدمرها (29 : 4).

• ان اصغى الحاكم الى الاكاذيب ، يكون جميع رجال حاشيته اشراراً لأنهم يتملقونه (29 : 12).

• عرش الملك القاضى بالحق للفقراء يثبت إلى الابد (29 : 14).

- من أرتقى إلى السماء ثم هبط منها ؟ ومن جمع الريح فى كفيه؟ ومن صر المياه فى ثوبه؟ من أرسى جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه ؟ خبرنى إن كنت تعلم (30 : 4).
- ليس للملوك أن يدمنوا الخمر ولا للعظماء أن يجرعوا المسكر (31 : 4).

سفر نشيد الأنشاد

يؤمن المسيحيين أن هذا السفر كتبه سليمان الحكيم فى اواخر أيامه بوحى الهى ، وأن كلمات السفر حوار بين النفس البشريه والكنيسه السماويه ، وكل ماجاء فيه من عبارات غزليه تعبر مجازاً عن العلاقه الحميمه بين الانسان والله ، ويصور الرحمة الالهيه بصدر الله الحنون الذى يحتضن الانسان ، كما يحتوى على عبارات حب وشوق لأورشليم السماويه أو الكنيسه السماويه.

ويرى البعض الآخر أن هذه السطور لسليمان الحكيم موجهة الى خطيبته السمراء التى احبها وتزوجها كما جاء فى الاصحاح الثانى من هذا السفر. وكلمات الحب والغزل فى رأى هؤلاء تعد نصائح لما يجب أن تكون عليه العلاقه الحميمه بين الشاب وخطيبته .. وهى زوجته المقبله. فكل مشاعر الحب المتبادله فى هذا السفر مشروعه .. لأنها بين زوجين بما تحوى أيضاً من مشاعر الغيره من الزوجه لزوجها اذا غاب عنها وطال انتظارها له .. فتخرج حافيه تبحث عنه فى الطرقات.

وهناك رأى آخر وهو رأى اليونانيين ومن بعدهم ، ويزعمون أن شاعراً (أو شاعره يهوديه) قام بكتابه هذا السفر فى نهاية القرن الثالث الميلادى – ويرى اليونانيون أنه يفوق جمالاً وروعه فنيه الكتابات من الشاعرة الاغريقيه سافو .. الى ثاوفريطس ، لكن فيه فوق هذا مالايمكن العثور عليه عند أى مؤلف من مؤلفى ذلك العصر من الخيال وعمق الشعور واخلاص مثالى – وبه مايعبر عن الحب ، جسداً وروحاً ويتسامى الجسد حتى يتبدل الى روح.

لذلك قد يعتبر البعض أن هذا السفر نموذجاً للأدب اليهودى.

سفر الحكمه

مع ذكر سفر نشيد الأنشاد ، يقودنا السرد الى سفر الحكمه ، كأمثله للأدب اليهودى . ويشترك معهما اسفار المزامير والامثال والجامعه.

كتب سفر الحكمه " يشوع ابن سيراخ" وترجم الى اليونانيه عام 132 ق م نقلاً عن العبريه . وكان ابن سيراخ عالماً ، عديد الأسفار ، وبعد استقراره اتخذ منزله كمدرسة للطلاب يلقنهم الحكمه ويبشر بتعاليمه ، وكان يندد باليهود الذين خرجوا عن تعاليم اليهوديه ، ويحذر الشباب من الانزلاق فى الغوايه ويذكرهم بشريعة موسى . مع ذلك لم يكن يسلك مسلك المتقين فى التزمت فهو يندد بالمتصوفين الذين يرفضون تناول الدواء بحجه أن المرض من عند الله.

وقد ورد فى الاصحاح 24 أن " الحكمه أول ما اوجده الله فقد خلقها من بداية العالم " ، وهى نظرية (أو حقيقة) " الكلمة " بوصفها خالقاً وسطاً عهد اليها الله تنظيم العالم.

ووصف الحكمه بهذه الصوره جعلها الكلمة المتجسده التى اصبحت من المبادىء الرئيسيه ذات الشأن فى الدين اليهودى قبيل ظهور السيد المسيح.

الجزء الثاني

الفصل الأول

انقسام المملكة

(930 ق م)

بعد موت سليمان مباشرة بدأت المملكة فى التصدع واشتعلت الحرب الأهلية فتمزقت المملكة إلى مملكتين إحداهما فى الشمال وضمت عشرة أسباط ، وسُميت مملكة اسرائيل والأخرى فى الجنوب وضمت سبطى يهوذا وبنيامين وسُميت مملكة يهوذا.

كانت مملكة اسرائيل (أفرايم) يحكمها "يربعام" وحدودها التلال الوسطى والسهل العظيم ومنطقه الجليل وشرق الأردن . أما مملكة يهوذا فكان يحكمها " رحبعام بن سليمان " وتشمل جزءاً من أرض الفلسطينيين وجزءاً من الصحراء تمتد إلى عصيون جابر مع بعض أجزاء من ادوم . وامتد الخط الفاصل على طول الحدود التقليدية بين افرايم وبنيامين – ففى الشمال الغربى تركت جازر وعجلون وطريق بيت حورون الحيوى فى أيدى يهوذا . ثم يمرهذ الخط جنوب بيت ايل وشرقاً إلى وادى الأردن جنوب أريحا.

*أسباب انهيار المملكة:

كان انهيار المملكة ناتجاً طبيعيا وافرازاً منطقياً لمجموعة من الصراعات والنقائض . كان أبرزها جذور التركيبة الأساسية للدولة ، فهناك العنصر الوطنى من أهل المنطقة الأصليين الذين كانوا يشكلون ممالك صغيرة فى هيئة مدن متناثرة فى أرض كنعان – أما العنصر الثانى فهو العبرانيون الوافدون غلى ارض كنعان – وكانت وصية موسى للعبرانيين أن يبيدوا الشعب الكنعانى تماماً بسبب انحرافاتهم الأخلاقيه وعبادة الأوثان !! .. ولكن الشعب الغازى فى ذلك الوقت لم يستطع أن يسيطر سيطرة كاملة على الكنعانيين فبقيت مناطق ومدن خارج هذه السيطره. وكان العنف الذى صاحب انشاء المملكه من الأسباب التى ادت إلى الانسلاخ عن الدولة والعصيان حيث ظل الحقد والكراهيه والسعى للانتقام متأججاً فى صدور أهل البلاد الأصليين.

والسبب الثانى كان الصراع بين رجال المؤسسة السياسية الحاكمة وارستوقراطية كهنوتية عريقة يمثلها سبط لاوى – فقد بسطت الدولة حمايتها على الدين مع الحاق اللاويين بإدارات الدولة واذابتهم كموظفين تابعين للمؤسسة السياسية وتم اخضاع الكاهن الأكبر (أبيثار) لسلطان الملك . ولذلك تحفز بيت ليى (لاوى) وترقب الفرصة للقفز على كرسى السلطة.

وكان السبب الثالث تسييس الكهانة الذى نتج عن تحول العبريين من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار فى مناطق زراعية والتوحد فى كيان مركزى واحد ومع الوقت ومع التغيرات الاجتماعيه تفجرت الأطر القبلية . لكن علاقة الفرد بالأرض لم تكن مستقره ، وذلك لاختلاف بيئة فلسطين الطبيعيه واعتمادها على الأمطار وعلى أنهار صغيرة .. بخلاف الحال فى مصر والعراق – مثلاً – حيث الأنهار العظيمة التى تحتاج إلى توحد الشعوب لترويض هذه الأنهار مما أفرز دولاً قوية موحده وامبراطوريات ، وعلى العكس تماماً ماحدث فى إسرائيل حيث افتقدت الكيان الكبير الموحد ولم تشهد سوى الدويلات أو المدن الدول أو المدن الممالك.

اما السبب الرابع لانهيار المملكه فكان الجذور الأخلاقية للقبائل العبرية التى دخلت مصر وخرجت متأثرة بعبادات المصريين وأنظمتهم وعاداتهم بخلاف طباع قبائل عبرية أخرى ظلت تحتفظ

ببداوتها على الحدود السينائية حيث قام موسى النبى بإجراء عملية المزج بينهما فى قادش. لكن دامت التناقضات وطفت على السطح أخلاقيات الشعب العبرانى الذى نسى الوصايا ونقض تعاليم موسى والتوحيد.

والسبب الخامس هو أن المملكة السليمانية قد انشأت هوة سحيقة بين العبرانيين فى جانب وباقى شعوب المنطقة الأصليين فى جانب آخر ، وهؤلاء أجبروا على الخضوع تحت سلطان الدولة .. واصبحوا مثل العبيد وجمعهم الشقاء الذى تنطق به آيات التوراه فى سفر الملوك الأول " وسخر سليمان الملك من جميع إسرائيل وكانت السخرة ثلاثين ألف رجل وجميع الشعب الباقيين من الأموريين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين الذين لم يقدر بنو اسرائيل أن يبيدوهم ، جعل عليهم سليمان تسخير عبيد " – وأدى هذا الأمر إلى ظهور طبقة من رجال الدين غير الرسميين الذين ساهموا فى إسقاط النظام القائم ، واستعداء الامبراطوريات الكبرى عليها – وبذلك أدت الاوضاع إلى ظهور ثنائية تمثلت فى رجال المؤسسة الدينية العاملة فى جهاز الدوله ، ورجال الدين الذين شكلوا جماعة الأنبياء الأساسيين مثل عاموس وميخا وأشعياء ودانيال وارميا ، فى المرحله التوراتيه التاليه والتى سبقت ظهور المسيح.

أما السبب الأخير فكان حياة البذخ والإسراف التى عاشها سليمان وكمية الأحجار الكريمة والذهب التى استخدمها فى بناء منشآته حتى أنه قام بردم أسس المنشآت بالاحجار الكريمة – كما ذكر من قبل – وجعلت الفضة فى اورشليم كالحجارة . فزيادة الضرائب كانت المخرج الوحيد لسليمان لتغطية أبهة العرش وسعة البلاط وتكلفة الولائم اليومية على مائدته .. فكانت البلاد رغم الرخاء تسير نحو أزمة اقتصاديه لم يتحملها غير الشعب.

وهكذا فإن اسرائيل القديمة لم تكن لديها اساساً مقومات الدولة القومية وكان مقدراً لها ألا تصمد أمام صعوبات البناء والبقاء كأمة.



انقسام المملكة

المملكتان بعد الانقسام

بعد موت سليمان ثارت الاسباط الشماليه العشرة على حكم رحبعام ابنه واستقلت عن مملكة سليمان وبذلك قامت المملكة الشمالية المسماه " اسرائيل " أما السبطان الآخران : يهوذا وبنيامين ، فقد ظلا على ولائهما لبيت داود واقاما المملكة الجنوبية المسماه " يهوذا ".

وقبيل الانقسام كان قد تم تتويج رحبعام ملكاً على المملكة المتحده ، وتمت مراسم التتويج فى مدينة شكيم على بعد نحو خمسين كيلو متراً إلى الشمال من اورشليم ، وكان من المعتاد أن يتم ذلك فى أورشليم العاصمة ولكن رحبعام فضل أن يتقرب إلى اسباط الشمال ، خاصة بعد رجوع "يربعام" الهارب الى مصر والذى كان يسعى سليمان لقتله فلجأ إلى شيشنق فرعون مصر ومكث هناك حتى وفاة سليمان . وتحققت مخاوف رحبعام بتقلد يربعام المُلك على المملكة الشمالية.

وتسير الأحداث التاريخية للمملكتين فى خطين متوازيين ، أحيانا يتقاربان معاً فيحدث وفاق وتزاوج وأحيانا أخرى يتباعدان ويتناحران . كما تأثرتا بالتغيرات الاقليمية ، مع قيام وسقوط الامبراطوريات العظيمة فى مصر والفرات.

وتوالى التوراه – فى سفرىْ الملوك – سرد تاريخ بنى اسرائيل وتعاقب الملوك ، تسعة عشر ملكاً على اسرائيل وعشرين على يهوذا . وظلت مملكة اسرائيل على مدى 130 عاما تعانى من هؤلاء الملوك الذين وصفتهم التوراه بأنهم اشراراً إلى أن هزمهم شلمناسر ملك آشور وسباهم عام 722 ق م بينما استمرت مملكة يهوذا 136 عاماً بعد ذلك إلى أن وقعت فى يد نبوخذ نصر ملك بابل عام 586 ق م.

وخلال هذه الفترة المظلمة تذكر التوراه أسماء ثلاثين نبياً قاموا بمحاولة إصلاح الملوك والشعب دون فائده – وكان أبرزهم إيليا واليشع وأرميا . ولكثرة أعداد من تولى الحكم فى المملكتين، سنكتفى بسرد أسماء هؤلاء الملوك والتعرض بإيجاز لأهم الأحداث المصاحبه لهم.

أولاً : مملكة اسرائيل 931 – 722 ق م:

1- يربعام الأول (930 ق م) حكم 22 سنه – بنى شكيم عاصمة له – وسمح لأى فرد فى المملكة أن يكون كاهناً.

وقبل أيام شاول وداود كان المركز الدينى لبنى اسرائيل يقع فى منطقة أفرايم (أقوى الأسباط نفوذاً فى الشمال) وعندما بنى سليمان الهيكل نقل هذا المركز الدينى إلى اورشليم مما أدى إلى التوتر بين الأسباط – وكان على جميع اليهود أن يذهبوا إلى الهيكل ثلاث مرات كل عام (تث 16 : 16) . لكن يربعام بفطنته أراد أن يبعد أذهان الإسرائيليين عن أورشليم ، فصنع عجلين من ذهب وأقام لهما مركزين للعبادة أحدهما فى الشمال عند (دان) والآخر فى الجنوب عند (بيت إيل) ، وقال للشعب " إن الذهاب إلى أورشليم للعبادة يعرضكم لمشقة عظيمة : فها هى آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من ديار مصر " (1 ملوك 12 : 28 – 29).

* ملحوظة : ماذا يحدث الأن ؟

طالعتنا وسائل الإعلام بنبأ العثور على مقبرة تضم عظام السيد المسيح (واسرته) !؟ - ففى عام 1980 وفى أثناء حفر لإنشاء عمارة بحى الطالبية بمدينة القدس عثر العمال على مقبرة تضم عشرة توابيت ، ومن بين التوابيت تابوت مكتوب عليه باللغه الآراميه " يسوع ابن يوسف " وآخر باسم " ماريا " والثالث " يهوذا ابن يسوع " . وقالوا إن العظام للسيد المسيح وزوجته مريم المجدليه وابنهما يهوذا . وقاموا بإجراء اختبارات الحامض النووى DNA الذى أثبت انها أسرة واحدة . تم تصوير فيلم وثائقى تم عرضه على الشاشة باسم " قبر المسيح الضائع " The Lost Tomb of Jesus " وقام بإنتاج الفيلم جيمس كاميرون منتج فيلم (تيتانيك) واخرج الفيلم مخرج يهودى . والمعروف أن اليهود يقدسون عظام الموتى ويحتفظون بها فى توابيت من الحجر الجيرى تسمى " عضامات " ، وقد اندثر معظمها عقب دمار اورشليم عام 70 م . ووجد العلماء فى نهاية القرن الأول الميلادى مايقرب من 2625 من اسماء اليهود يتكرر فيها اسم يسوع بنسبة 12٪ واسم مريم بنسبة 25٪ ، واسم يسوع هو اللفظ العبرى لكلمة يشوع أو يهوشاع.

أما عن قبر المسيح فهو ليس داخل أورشليم لكنه (خارج باب اورشليم عب 13 : 12)، وكان داخل بستان (يو 19 : 41) ، منحوتا فى الصخر (مت 27 : 60) – وكون المسيح يدعى الناصرى فلابد وأن يكون القبر فى الناصرة حيث كان قد تربى – والسؤال المطروح من دفن السيد المسيح ؟ لو كان التلاميذ كما هو معروف فلن يكتبوا على قبره يسوع ابن يوسف .. لأنهم يعلمون ويؤمنون بأن يوسف النجار ليس والد المسيح .. ولو كان اليهود، ما كانوا يكتبون اسمه اصلا لأنهم لم يهتموا بالرفات ووضعوا على الصليب كلمتىّ ملك اليهود استهزاءاً به .. واكثر من ذلك أنهم أقاموا مزبلة كبيرة فوق مكان الصلب ولو ارادوا أن يضعوا لافته فلن تكون إلاَّ يسوع الناصرى. أما عن القديسه مريم والدة المسيح فلا يوجد أى كتاب فى العالم يذكر لها قبراً ، وأما مريم المجدلية فإن كتب التراث المسيحى تذكر أنها ذهبت إلى أفسس ووُجد قبرها هناك فى القرن الثامن ثم نقل رفاتها إلى القسطنطينية وأخيراً إلى فرنسا حيث يوجد رفاتها بإحدى الكاتدرائيات.

الهدف .. بالطبع هناك هدفٌ سياسيٌ من الإعلان عن هذا القبر المزعوم – بنفس الجذور السابقة ليربعام .. لإبعاد المسيحيين عن القدس وتحويل الأنظار إلى قبر المسيح الجديد ليكون بديلا عن قبره الحالى داخل كنيسة القيامة – وتحويل حشود الحجاج إلى المكان الجديد له مكاسب مادية كنشاط سياحى – مع أملهم – وهو مستحيل – أن تفقد القدس أهميتها وتقل أصوات المطالبين بالتدويل .. وساعتها يتركز الصراع على هذه المدينه بين هؤلاء الصهاينه والفلسطينيين .. والنتيجة يمكن التنبوء بها مقدماً.

ومن الناحية الدينيه ، فهم بذلك يسخرون من المسيحيه والإسلام فالمسيحية تؤمن بالقيامة والصعود الى السماء ، والإسلام أيضا يؤمن بأن المسيح عيسى بن مريم قد رُفع إلى السماء . فهل يستطيع اليهود أن يشككوا المؤمنيين فى أديانهم (حاشا لله) لا أظن – لكن الايمان هو القادر أن يدحض هذه الاساليب الصهيونيه الخبيثه.

2- ناداب (909 ق م) حكم عامين واغتاله بعشا.

3- بعشا (908 ق م) حكم 24 سنه قاد الشعب لعبادة الأوثان – نقل العاصمه إلى " ترصه" . دخل فى منازعات مع " آسا " ملك يهوذا وبنهدد ملك سوريا.

4- أيله (886 ق م) ، استمر فى عبادة الأوثان حكم عامين وقتله زمرى.

5- زمرى (885 ق م) تربع على كرسى المملكة سبعة أيام فى ترصه ، وبعد انقلاب عسكرى قاده " عمرى " وسقوط المدينة انتحر بإشعال النار فى نفسه وفى القصر.

6- عمرى (885 ق م) حكم 12 سنه – بنى السامرة واتخذها عاصمة للمملكة – كانت له قوة حربية كبيرة – واستمرت فى عهده عبادة الأوثان.

7- اخاب (874 ق م) حكم 22 سنه تزوج من امرأة غير يهوديه تدعى ايزابيل ووصفتها التوراة بأنها كانت بالغة الشر وشجعت عبادة الأوثان واضطهدت إيليا النبى – وفى عصر آخاب حدثت مجاعه استمرت ثلاث سنوات .

8- اخزيا (853 ق م) حكم عامين . عقد اتفاقاً مع يهوشافاط ملك يهوذا لبناء أسطول من السفن فى عصيون جابر (ميناء العقبة حالياً) ، لكن هذا الأسطول تحطم (2أخ 20 : 35 – 37).

9- يهورام (852 ق م) حكم 12 سنه – عانى من المجاعة والحرب معظم أيام حكمه . فمن ناحية ازداد الضغط السورى على المملكة (عاموس 1) ومن الناحية الأخرى رفض " ميشع " ملك مؤاب " دفع الجزية السنوية بعد موت أخاب ملك اسرائيل وقام بحملة عسكرية ، فتصدى له يهورام متحالفاً مع يهوشافاط ملك يهوذا وملك آدوم وكانت المعركة لصالح هذا التحالف وانسحاب " ميشع " (2 ملوك 3 : 4 -27) .

10- ياهو (841 ق م) حكم 28 سنه . كان قائداً فى جيش يهورام ثم ملكاً على اسرائيل وأسس أطول الأسرات حكماً فى المملكة الشمالية إذ استمرت مائة عام . تخلص من " يهورام " بضربة سيف نفذت إلى القلب ، كما قتل " يورام " ملك يهوذا وكذا إيزابيل زوجة الملك آخاب . وقام بمذبحه عظيمه قتل خلالها ابناء آخاب السبعين ، كما قتل الكثيرين فى البيت الملكى فى يهوذا – كما قتل انبياء البعل (2 ملوك 9 : 35 – 37 ، 2 ملوك 10 : 11).

بعد القضاء على اسرة عمرى (842 ق م) تجددت الحروب مع سوريا ، وممالك شرق الأردن (ادوم ومؤاب وعمون) التى استعادت استقلالها. كما سقط التحالف مع فينيقيه والذى أبرم سابقاً مع عمرى – أما فى الجنوب فقد فقدت مملكة يهوذا معظم النقب.

فى هذا المناخ المتداعى كانت سوريا تزداد قوه ونجح ملكها "حزائيل" عام (841 ق م) فى أن يوجه هجوماً على جلعاد – مما أرغم ياهو أن يطلب العون من " شلمناصر الثالث " (859 – 824 ق م) ملك آشور .. وتقدم الأخير زاحفاً بجيوشه وفرضت أشور سلطانها على المنطقة.

وقد اكتشف سير " أوستن لايار " فى كالح عام 1846 " المسله السوداء " وتدعى مسلة شلمناصر الذى سجل عليها انتصاراته وكذلك أخبار الحلف السورى الإسرائيلى واسم ملك سوريا (حزائيل) – وبها صور ونقوش لملوك يقدمون الجزية لآشور بينهم " ياهو " ملك اسرائيل وهو يركع ساجداً وجبهته على الأرض أمام شلمناصر – وعلى المسلة أيضاً قائمة بأوصاف الجزية التى قدمها ياهو جاء فيها " جزية ياهو .. فضه ، ذهب ، إناء من ذهب كأس من ذهب ، أقداح ذهبيه ، أوانى ذهبيه ، عصا ليد الملك ، رماح ، فاكهة ... الخ.

11- يهواحاز (814 ق م) حكم 17 سنه وكان حكمه شريراً وعبد الآلهه الوثنيه والعشتاروت (2 ملوك 13 : 1 – 9) – وسقطت اسرائيل تحت النفوذ السورى. كانت ارام (سوريا) التى تقع شمالى المملكة الشمالية ، عدوا دائما لها ، وكان هذا يرجع جزئياً لكون المملكة تغلق الطريق أمام معظم

تجارة آرام مع الجنوب ، كما أغلقت آرام تجارة اسرائيل مع الشمال – فلو أن إحداها استطاعت أن تهزم الأخرى ، لإنفتحت طرق التجارة أمامها ، ولازدهر اقتصادها لكنهما إنشغلتا كلتاهما بالحرب فلم تتنبها إلى النمو السريع فى قوة الأشوريين فى الشمال الذى سرعان ما دهمهما (2ملوك 16 : 9 ، 17 : 6).

12- يهوآش (798 ق م) حكم 16 سنه – حاكم شرير لكنه كان يعتبر اليشع النبى نبياً لله. فى عهده قامت الحرب بين إسرائيل ويهوذا حيث هاجم الإسرائيليون مملكة يهوذا وتقابل الجيشان فى بيت شمس ووقع " أمصيا " ملك يهوذا فى الأسر وتقدم جيش إسرائيل وهدم السور الشمالى لأورشليم ونهب المدينة والهيكل وأخذوا أثناء انسحابهم بعد إتمام مهمتهم رهائن لكنهم اطلقوا سراح الملك أمصيا. ثم جدد يهوآش الحرب مع دمشق ودمر قاعدة أفيق وهى مدينة بين بيت شان ودمشق . وبإنتصاره على سوريا زال الخطر عن إسرائيل.

13- يربعام الثانى (793 ق م) حكم 41 سنه – تقول التوراه إن هذا الملك لم يكن يتقى الله ، لكن تمتعت المملكه فى أيامه بالقوة والنجاح المادى عن أى وقت آخر منذ أيام سليمان ، وذلك لمهارته الحربية وسياساته الادارية – لكن تجاهلت إدارة يربعام سياسة العدالة والإنصاف وكانت النتيجة أن ازداد الإغنياء غنى والفقراء فقراً ، رغم السلام الذى كان يسود. وفى هذه الفترة برز عدة أنبياء وهم هوشع وعاموس ويونان وميخا .

14- زكريا (753 ق م) لم يستمر حكمه سوى ستة أشهر وأغتيل على يد " شلوم " – وبذلك انتهت أسرة ياهو التى حكمت قرناً كاملاً .

15- شلوم (752 ق م) – لم يقض فى الحكم أكثر من شهر واحد حيث سادت الاضطرابات بعد اغتياله لزكريا.

16- منحيم (752 ق م) حكم عشر سنوات من ترصه تفشت خلالها العبادة الوثنيه وبرزت أخلاقيات منحيم الشرسة المتسلطة وسلب المدن ، وكانت سياسته السبب فى الوهن الذى أصاب الدولة .

وفى هذا الوقت اعتلى ملك آشور تغلث فلاسر الثالث العرش وجاء اسمه فى سفر ملوك ثان (فول) ملك آشور (الاصحاح 15 : 19) ، وسعى منحيم لإرضائه بألف وزنه من الفضه (نحو ثلاثة آلاف وست مئة كيلو جرام) ليؤازره فى تثبيت عرشه . ويُعتبر هذا التدخل الغزوه الاولى لأشور من ثلاث غزوات أشوريه.

17- فقحيا (742 ق م) حكم سنتين ، كان شريراً وتقول التوراة " فثار عليه فقح بن رمليا أحد قواده مع خمسين جنديا من الجلعاديين ، واغتاله فى السامرة فى عقر قصره وخلفه على المُلك (ملوك ثانى 15 : 25).

18- فقح (740 ق م) حكم 8 سنوات . وفى محاولة للحد من الاجتياح الأشورى للمنطقة أقام حلفا مع " رصين " ملك سوريا ، وزحف الجيشان إلى الجنوب وتم حصار أورشليم لإرغام يوثام ملك يهوذا على الإنضمام للتحالف ، لكن الأخير أصر على الرفض وتوفى وتولى ابنه " أحاز " الملك على أورشليم ورفض أيضاً الانضمام للتحالف السورى الاسرائيلى ضد آشور ، وانتقاماً منه تم سلب أورشليم وأخذ الأسرى إلى السامره – وكان رد الفعل للملك آخاز أن طلب العون من الأشوريين (2 ملوك 16 : 7 ، ايام 28 : 16) ، فزحف جيش أشور عام (734 ق م) نحو اسرائيل عن طريق

البحر المتوسط حتى جبل الكرمل وهاجم جازر ودمر بوابات سليمان هناك . ثم عاد ملك أشور فى العام التالى واحتل مدن عيون وابل معكه ، ويانوح ، وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وأرض نفتالى (2 ملوك 29 : 15) – كما هاجم عدة مدن فى الرامة ، وجعل من مجدو مركزاً إداريا للقوات الأشوريه – وتعتبر هذه الغزوه الثانية لآشور . أما الملك الاسرائيلى فقح فقد اغتيل بمؤامرة دبرها خليفته " هوشع ".

19- هوشع (732 ق م) حكم 9 سنوات تحت النفوذ الأشورى إلى أن مات تغلث فلاسر الملك الأشورى وتبعه ابنه شلمناصر الخامس عام (727 ق م) وفى مناورة فاشلة حاول هوشع الاحتماء بمصر أيام الفرعون (ساباكا) فى الأسرة 24 ، وامتنع عن دفع الجزية لآشور.

كان من الطبيعى ومع ضعف مصر فى ذلك الوقت أن يزحف ملك آشور نحو العاصمة الاسرائيلية ويحاصر السامرة ثلاث سنوات . وفى أثناء الحصار مات شلمناصر الخامس وملك على آشور سرجون الثانى (722 – 705 ق م) ، والذى شدد الحصار على السامرة حتى سقطت فى أيدى آشور عام (721 ق م). وبعد تدمير السامرة تم القبض على الملك هوشع ، وسبى شعب اسرائيل كعبيد إلى خابور ومادى فى سوريا وإلى تركيا وإيران – كما نقلت آشور اسرى حرب من شعوب بابليه وآراميه وتم توطينهم فى السامرة (2 ملوك 16 : 24)- وأتبع نفس أسلوب التوطين خلفاء سرجون : سنحاريب (705 – 680 ق م) ، أسرحدون (680 – 668 ق م) وأشور بانيبال (668 – 627 ق م) – وبذلك أصبح شعب السامرة خليطا من شعوب مختلفة الديانات والعقائد والطباع .. وأفرز ذلك من أصبحوا فيما بعد السامريين والذى جاء ذكرهم فى العهد الجديد . وانتهت بذلك مملكة اسرائيل .

وفى عام 1842 م اكتشف بول بوتا قصر سرجون الثانى بالقرب من الموصل وهو قصر فخم مزين بالرخام والنقوش البارزة ، كما نُقشت أخبار الحروب وثورات سوريا وغزة والسامرة .. ومهاجمة جيش سرجون الثانى للجيش المصرى وتشتيته عند غزه – وذُكر فى هذا المكان أن عدد اليهود الذين وقعوا فى السبى بعد سقوط السامره بلغ 27290نسمة .

*ثانيا : مملكة يهوذا 931 – 586:

بعد سقوط السامرة وزوال مملكة اسرائيل الشمالية .لم تبق سوى مملكة يهوذا واستمرت قرابة قرن ونصف حتى سقوط أورشليم . وبذلك امتدت فترة تواجد هذه المملكة قرابة أربعة قرون حكم خلالها عشرون ملكاً كانوا جميعهم من سلالة بيت داود (عدا عثليا) وكانت للمملكه عاصمه واحده هى أورشليم وتتمركز بها العباده الهيكليه طوال هذه الفتره.

1- رحبعام بن سليمان (931 ق م) حكم 17 سنه – بنى العديد من المدن الحصينه. ودعم الاقتصاد فى الدولة . اتبع تعاليم التوراة ثلاث سنوات فقط لكنه بعد ذلك أقام أصناماً ومعابد للآلهه. ويُعتبر رحبعام رابع ملوك بنى اسرائيل للمملكة المتحده وآخرهم ثم ملك بعد ذلك على المملكة الجنوبيه فقط .

وقد واجهت المملكة فى عام (924 ق م) غزواً مصرياً قام به شيشنق أول ملوك الاسرة الثانية والعشرين الليبية – وجاء فى التوراه (1 ملوك 14 : 21 – 28 ، 2أخ 12 : 1 -2) أن هدف الملك المصرى لم يكن مجرد الحصول على كنوز مملكة سليمان والهيكل من الذهب والفضه والعاج وغيرها من التحف بقدر ماكان الهدف الأساسى القضاء على مدينة أورشليم المحصنة ذات الأسوار وفتح الطريق للتجاره والسيطرة شمالا . فتقدم جيش شيشنق نحو المدن الحصينة فى يهوذا وسيطر

على غزة وعقرون وبيت حورون وبيت شمس ، ويعاريم وجبعون . ومع تساقط هذه المدن وحينما وصل الجيش إلى ربوع اورشليم – ذهب رحبعام إلى جبعون فى محاولة لإنقاذ العاصمه بالتضحيه بثروة والده لكنه لم يفلح .. وتقدم الجيش المصرى محطماً أسوار جازر ومجدو .. وشمالا لم تنج مدن اسرائيل من التدمير مثل شكيم وترصه العاصمة انذاك .. ثم امتد الغزو إلى شرق الأردن وسقطت رحوب وبيت سان وشونم – وجنوباً استولى الغزاة المصريون على النقب . وبعد هذه الهزيمة لكلِ بقاع المملكتين اقتحم الجيش المصرى أورشليم واستولى على كنوز سليمان ونزع ذهب الهيكل ، وفُرضت مصر الجزية على أورشليم (1 ملوك 14 : 25).

شيشنق مؤسس الاسره 22: لم يشعر المصريون أهل ذلك الزمان بأن تتويج ذلك الملك العسكرى ذى الأصل الليبى يمثل حكماً وسيطرة أجنبية – فقد كان البرابرة الذين صاهروا الأسرة المالكه القديمة قد تبنوا التقاليد والعبادات المصرية برمتها ولايكشف عن أصلهم سوى ألقابهم (ملوك الماشواش) أو (ملوك ما) (ملوك الليبو) – وكذلك استخدامهم اللفظ البربرى (ما) للتدليل على القادة العسكريين . وقام شيشنق الأول بجعل الحدود الشمالية لإمارة طيبه عند أسيوط – ونّصب أحد أبنائه على إمارة مصر الوسطى بلقب (قائد هيراكليوبوليس) كما حاول أن يجعل من كهانة آمون نظاماً تابعاً للملك . وخلع منصب كبير الكهنه على ابنه ايولوت، ثم انتقل هذا المنصب إلى إبنيه أوسركون الأول و ايولوت – وقد أمكن المحافظه على وحدة البلاد تحت سلطة قوية بسبب إخلاص الفرق العسكرية للأسره مع توارث منصب كهنة آمون بلا مشكلات. وتبين بعض الوثائق أن شيشنق اتخذ اجراءات إصلاحيه فى الكثير من المجالات (مرسوم هيركليوبوليس – النصب التذكارى فى الداخله). وأدى استتاب النظام فى الداخل إلى تشجيع الملك الليبى على النشاط خارج الحدود ، فتوجه على رأس حملة إلى أورشليم (واستولى على كنوز بيت الرب وكنوز الملك) ثم واصل المسير حتى الجليل تاركاً نصبا تذكارياً فى مجدو . ودخلت ميناء جبيل فى دائره نفوذ مصر (تماثيل شيشنق الأول واوسركون الأول والثانى) وأقام بعضهم علاقات مع ارواده (بقايا آثار بينامون) وصيدا (آنية تاكلوت) وسامرا (آنية اوسركون الثانى).

كما استعادوا جزئيا النفوذ المفقود فى النوبه – كما يظهر فى الإشاره إلى سيادة شيشنق الأول على إقليم كوش ، وفى لُقب (الابن الملكى وحاكم بلاد الجنوب) الذى حمله أمير يدعى أوسوركون عنخ – وفى الغرب اعترف ملوك الليبو المستقرون على فرع رشيد بتبعيتهم لسيادة فرعون (جان يويوت).

وعلى جدران معبد الكرنك سجل شيشنق انتصاراته وذكر قائمة بأسماء 150 مدينه هزمها – وسجل صوراً للأسرى الإسرائيليين – فى إحداها صورة لآمون يجر خلفه صفا من الأسرى.

وبعد موته دُفن رحبعام فى أورشليم (1 ملوك 14 : 31 ، 2اخ 16) وخلفه على العرش ابنه ابيام من (معكة) أحب نساء رحبعام إلى قلبه – إذ كانت له ثمانية عشرة امرأة وستون سرية (2 اخ 11 : 5 ، 21).

2- ابيام (913 ق م) حكم 3 سنوات – ونشبت فى أيامه الحرب مع مملكة اسرائيل بقيادة يربعام، انتصر فيها ابيام ، وتقول التوراة " فسقط من الإسرائيليين خمسمائه ألف من خيرة المحاربين " (2 اخ 13 : 17).

3- آسا (910 ق م) وحكم 41 سنه – هدم المذابح الوثنية وقاد الشعب الى عبادة الله – وخلع جدته (معكة) من اللقب الملكى لعبادتها الأوثان . وساد السلام بلاده عشر سنوات – وكانت مصر فى ذلك

الوقت تحت حكم أوسركون الأول (929 – 893 ق م) فى الأسره الثانية والعشرين الليبية – وتذكر التوراة انه فى ذلك الوقت زحف عليهم (أى يهوذا) زارح الكوشى بجيش مؤلف من مليون محارب وثلاث مئـه مركبة فهب آسا للقائه واصطف الجيشان للقتال فى وادى صفاته عند مريشه" (2اخ 14 : 9 ، 10). ولاتذكر مراجع مصر القديمه اسم زارح لكن الملك المعاصر فى ذلك الوقت هو أوسركون الأول . وبذلك يكون زارح أحد قواد هذا الملك خاصة وأنه دعى فى التوراة " زارح الكوشى " .ورغم أن المعركه كانت غير متكافئه إلا أن آسا استطاع أن يصد هذه الحملة . وفى السنة السادسة والثلاثين من حكمه زحف بعشا ملك اسرائيل على يهوذا لكن آسا تحالف مع (بنهدد) ملك أرام (سوريا) لصد هذا الهجوم . وبعد موته دُفن فى قبر شيده لنفسه فى مدينة داود باحتفال مهيب حيث كان الشعب يحبه.

4- يهوشافاط (872 ق م) حكم 25 سنه – أهتم بالإصلاح الدينى , أُنشأ محاكم وعين قضاة وسيطر على العبادات الوثنية لكنه لم يستأصلها نهائيا – تورط فى حلف مع آخاب ملك إسرائيل وزوج ابنه يهورام من عثليا ابنة آخاب وايزابيل . ومن الناحية العسكرية ، استعادت يهوذا قوتها واستعادت نفوذها فى آدوم وما كانت قد خسرته فى الحرب مع شيشنق.

5- يهورام (853 ق م) حكم 8 سنوات .. وكان لمصاهرته لآخاب وإيزابيل اثار سيئه على المملكة حيث سلكت زوجته عثليا نهج والدتها إيزابيل التى شجعت أنبياء البعل وحاربت وقتلت أنبياء الله – فإنتشرت الوثنية مرة أخرى فى عهد هذا الملك – وفى التوراة " لما استتب له الأمر على عرش المملكة قتل جميع إخوته بالسيف – كما قضى على بعض الزعماء (2اخ 21 : 4). وفى عهده تمرد الأدوميون على يهوذا ونصبوا عليهم ملكاً (2اخ 21 : 8) – كما هاجم الفلسطينيون والعرب المستوطنون إلى جوار الكوشيين يهوذا ونهبوا كل الأموال المدخرة فى قصر الملك وسبوا أبناءه ونساءه (2اخ 21 : 16 – 17). ومات غير مأسوف عليه ودُفن فى مدينة داود لكن ليس فى مقابر الملوك (2اخ 21 : 20).

6- أخازيا (841 ق م) ملك سنة واحدة وقتله " ياهو " الذى أباد بيت آخاب لكن استطاعت أمه عثليا الهرب.

7- عثليا (841 ق م) ملكت 6 سنوات قتلت كل أحفادها كى تعتلى العرش ولم ينج من الموت سوى يوآش بن أخازيا الذى اختطفته عمته مع مرضعته من مخدع النوم وخبأته عن عينى عثليا .. وظل مختبئا مدة ست سنوات ، وبانقلاب منظم استطاع رئيس الكهنه يهوياداع أن يُنصب يوآش ملكاً ، وهربت عثليا لكن قبض عليها واقتيدت إلى ساحة القصر حيث قُتلت.

8- يوآش (835 ق م) حكم 40 سنه – أعاد ترميم الهيكل وكان حكمه صالحاً طوال حياة رئيس الكهنه ، لكن بعد موت الأخير عادت المملكة إلى الوثنية ، وتخلص من النبى زكريا بن يهوياداع برجمه – ثم هاجم جيش الآراميين يوآش وأغاروا على يهوذا واورشليم وأفنوا قادة الشعب وأرسلوا ما استولوا عليه من غنائم إلى ملك دمشق (2اخ 24 : 23) . وكانت نهاية يوآش على يد ضابطين من رجاله ثأراً لدماء بن يهوياداع وقتلاه على سريره، ودُفن فى مدينة داود ولكن ليس فى مقابر الملوك (2اخ 24 : 25).

9- أمصيا (796 ق م) حكم 29 سنه – شن حرباً على أدوم واستولى على " سالع " وغيرّ اسمها إلى "بقتئيل" . وكانت " سالع " (حصن البتراء) مدينة حُفرت فى شق صخرى وتُعتبر مركزاً هاماً

للتجارة مع الهند . وعندما بالغ فى تقدير قوته استفز بهوآش (ملك اسرائيل) وقامت معركة فى بيت شمس التابعة لمملكة يهوذا .. وإنهزم أمصيا ووقع فى الأسر - وتقدم جيش اسرائيل وهدم أربعمائه ذراع (نحو 200 متر) من سور أورشليم واستولى على نفائس الهيكل وقصر الملك واخذ رهائن وعاد بهم إلى السامره، وأُطلق سراح أمصيا الذى قُتل فى مؤامرة بعد خمس عشرة سنه بعد هروبه إلى مدينة حصينة على الحدود تدعى " لخيش ".

10- عزيا (792 ق م) حكم 52 سنه – أعاد بناء سور أورشليم وحصنها واستقل عن المملكة الشمالية – هاجم عزيا الفلسطينيين والعمونيين " وطبقت شهرته الافاق حتى بلغت أطراف مصر – لأن شوكته قد قويت جداً (2 اخ 26 – 8) وكان مولعاً بالفلاحة وتربية الماشية فحفر آباراً عديدة فى الجبال والسهول . ومن ناحية الجيش ، اعاد تنظيمه وأرتقى بمستوى أدائِه وعمل سجلات لقواته ، وزوده بالدروع والحراب والأقواس . ومن أعماله الهامة السيطرة على ميناء "عصيون جابر" الميناء الهام على البحر الأحمر (العقبة) ملتقى طرق التجارة – وقد مرض بالبرص ولزم بيتاً منعزلاً حتى وفاته – وتقول التوراه إن الله أصابه بالبرص كعقاب لقيامه بالكهانة مخالفاً تعاليم الكهنوت التى تحرم عليه أن يُمْسك بمجمرة البخور.



نفق حزقيا

11- يوثام (750 ق م) حكم 16 سنه – كان صالحاً بنى الباب الأعلى للهيكل وبنى مدناً فى جبل يهوذا وشيد أبراجاً وقلاعاً .. ومات ودفن فى مدينة داود.

12- أحاز (735 ق م) حكم 16 سنه – إتسم حكمه بتدهور دينى وعسكرى فإنتشرت العبادات الوثنية واستعادت أدوم وفلسطين ما أخذه منهما الملك عزيا ، وأصبحت مملكته تهاجم من كل الجهات – ولم يسلم من الهجوم الاسرائيلى من الشمال وحاول ان يستميل تجلت فلاسر ملك آشور ,ارسل له جزية لكن لم يعضده الملك الآشورى واستدار إليه بقواته بعد أن اجهز على الحلف السورى الاسرائيلى.

13- حزقيا (715 ق م) حكم 29 سنه .. كان ملكاً تقياً ، أزال معابد المرتفعات وحطم الأصنام وسحق حية النحاس التى صنعها موسى وظل بنو إسرائيل حتى تلك الأيام يقدسونها . وتقول التوراة أن حزقيا كان ملتصقاً بالله ، فبسبب إيمانه وصلواته شفاه حين أشرف على الموت . وعلى لسان أشعياء النبى قال له الله " قل لحزقيا : قد سمعت صلاتك ورأيت دموعك وها أنا أبرئك فتذهب فى

اليوم الثالث للصلاة فى هيكل الرب وأضيف على سِنِىّ حياتك خمسة عشر عاماً وأنقذك أنت وهذه المدينة من ملك آشور" (2ملوك 20 : 5 - 6) وحين سأل حزقيا أشعياء النبى عن علامة تطمئنه قال أشعياء " أجبنى هل يتقدم الظل عشر درجات أم يرتد 10 درجات ؟ فأجاب حزقيا من شأن الظل أن يتقدم عشر درجات – لذلك ليرتد الظل إلى الوراء عشر درجات فتكون هذه هى العلامة . فإبتهل أشعياء إلى الرب فتراجع الظل إلى الوراء عشر درجات فوق سلم آحاز بعد أن كان الظل قد امتد عليها إلى الأمام عشر درجات" (2ملوك 20 : 8 - 11) – وكانت هذه المزولة تسمى مزولة آحاز أو سلم آحاز فقد كانت مزاول المصريين فى ذلك العصر عبارة عن سلالم صغيرة يصعد عليها الظل ويهبط .

*الموقف السياسى والعسكرى:

كان حزقيا ملك يهوذا معاصراً لحكم هوشع ملك إسرائيل والذى كان يدفع الجزية لشلمناصر ملك أشور وحينما امتنع هوشع عن دفع الجزيه هاجم هذا الملك الأشورى إسرائيل والسامرة التى سقطت فى السنة التاسعة من حكم هوشع على يد الملك الأشورى سرجون الثانى خليفه شلمناصر – وكانت المملكة الشمالية ذلك الوقت ولاية ضعيفة تخضع للامبراطورية الآشورية.

ولما ملك سنحاريب عام (705 ق م) واجه حركات تمرد ضد الحكم الأشورى فقاد حملة عسكرية ضد مردوخ فى بابل وهاجمه وهزمه – كما قامت مصر أيضاً – أثناء الأسرة 25 الكوشية بالتمرد بتحريض فينيقية ويهوذا لتكوين حلف لمقاومة الحكم الأشورى . وقد عارض أشعياء النبى حزقيا فى أن ينضم إلى جيرانه فى التحالف لكنه لم يستمع اليه ومارس سياسة مساندة لمن لهم علاقات عدائية مع آشور ، خاصة مصر وبابل التى كانت العدو اللدود لآشور.

وفى عام (701 ق م) قاد سنحاريب جيشه فاجتاح فينيقيه واتجه الى أشقلون وفى الطريق إلى مدن يهوذا تقابل هذا الجيش مع الجيش المصرى القوى فى موقعة انتهت لصالح الأشوريين الذين استمروا فى تقدمهم تجاه مدن يهوذا الحصينة وقتلوا وسبوا الآلاف واحتلوا مدينة " لخيش " التى لاتبعد أكثر من ثلاثين ميلاً جنوبى أورشليم ، ولم يأبه سنحاريب لمحاولات الترضية التى قام بها حزقيا لدفع الجزية وحاصر أورشليم ، وبدأ حرباً نفسية ضد حزقيا وضد المدافعين عن أسوار المدينة ، بإلقاء التهديدات والوعيد باللغة العبرية وليس الآراميه لتصل لآذان المحارِبين فى أورشليم لإضعاف الروح المعنويه لديهم . ويحث أشعياء النبى حزقيا لكى يزداد ثباتا ولايسلّم المدينة لأن الله سوف ينقذ أورشليم (1ش 37 : 5) – وفى لحظة قدرية يضطر جيش سنحاريب للانسحاب إلى نينوى لموجهة الجيش البابلى - ,اثناء هذا الانسحاب يأخذ معه 200 ألف من المسبيين (2 ملوك 18 : 13).

وتحكى نقوش سنحاريب فى نينوى غزوة ليهوذا واستيلائه على مدنها الحصينه(2 ملوك 17 : 13) ، وكيف دفع حزقيا له جزية باهظة وأنه ساق اكثر من 200 ألف من الأسرى غير الخيول والمواشى – وفى عام 1830 م عثر تايلور Taylor فى نينوى عاصمة آشور على اسطوانة ذات ثمانية أوجه منقوش عليها قصة الهجوم وحصار سنحاريب لأورشليم جاء فيها " هاجمت عقرون وقتلت حكامها وحاصرت حزقيا فى أورشليم كما يحبس العصفور فى القفص وأرسل حزقيا الجزية ، ثلاثين وزنة ذهب وثمانمائة من الفضة" وهو نفس ماجاء فى (2ملوك 18 : 3 – 19) .

وفى سنة 1835 م اكتشف السيد أوستن لايار فى لخيش (تل الدوير) على افريز حجرى عليه صور محفورة تبين الحصار والآلات الحربية المستعملة من أبراج ومقاليع وسهام.

وفى لخيش أيضا عام 1935 اكتشف ستاركى J.L. Starkey هَوْل التدمير الذى تعرضت له المدينة .

ومن بين الاثار التى عثر عليها أيضاً ، نفق حزقيا الذى يبلغ طوله 533 متراً وبعرض 4 أمتار وارتفاع 5 امتار حُفر فى الصخر يمتد من ينبوع جيحون الى بركة سلوام داخل أسوار أورشليم ليزود أورشليم بالمياه فى حالة أى حصار مرتقب . وقد اكتشف الأتراك هذا النفق عام 1880 م ، ومابه من النقوش التى حُفرت على جدرانه وعن كيفية الحفر فى الصخر – وكيف أنه تم فى اتجاهين متعاكسين ، واستمر العمال فى الحفر حتى سمعت أصوات المطارق التى تدق من الجانبين وارتطمت الفؤوس وتدفقت المياه خلاله.

ومن أخطاء الملك حزقيا أنه أظهر خزائن المملكة وتحف القصر ومحتويات الهيكل أمام رسل "مردوخ " ملك بابل مما كان سبباً فيما بعد لحرص بابل على الاستيلاء على أورشليم لكى تنهب كنوز المملكة.

ومات حزقيا بعد أن عاش الخمسة عشر عاماً التى أضافها الله إلى عمره ودفن فى قبور أبناء داود.

14- منسى (697 ق م) حكم 55 سنه – لعله على رأس الملوك الأشرار الذين حكموا يهوذا – فقد عبد الأوثان وقدم ابناءه ذبائح لها ودنس الهيكل ولجأ الى السحرة وأقام مذابح لكواكب السماء فى ساحة الهيكل الخارجية . وتقول التوراة " لهذا أرسل الرب عليهم قادة جند ملك آشور فقبضوا على منسى ووضعوا خزامة فى أنفه وقادوه مغلولاً بسلاسل نحاس إلى بابل " (2اخ 33: 11) . وحينما استغاث بالرب إلهه وابتهل إليه ، استجاب له الله وردَّه إلى مملكته. فيما بين 652 – 648 ق م تمردت مدينة بابل على آشور لكن سُحق هذا التمرد ويبدو أن أشور اتهمت منسى بمناصرة التمرد – ولعل هذا هو السبب فى أن منسى أخذ الى بابل للمحاكمة وليس الى نينوى عاصمة آشور – وهذا يوضح سبب الإفراج عنه ورده الى بلاده . وكانت هذه التجربة القاسية سببا لرجوعه عن عبادة الأوثان وهدم مذابحهم – وأمر الشعب أن يعود لعبادة الله . ومات ودُفن فى بيته.

15- آمون (642 ق م) حكم سنتين .. عادت فى عهده المملكة إلى الوثنية ، وتآمر عليه رجاله واغتالوه فى قصره – غير أن الشعب قتل المتآمرين عليه وولوا عليهم ابنه يوشيا خلفا له.

16- يوشيا (640 ق م) حكم 31 سنه . بقراءة تاريخ ملوك اليهود – قلما نجد ملكاً أطاع الله تماما لكن يوشيا كان من هذا النوع رغم أنه كان ابن ثمانى سنوات فقط عندما بدأ مُلكه – وظل بعد أن تولى مقاليد الحكم وهو فى السادسة عشر يعمل بصلاح وغيرّ مسار الأمة بعد ترديها فى عهدى منسى وآمون – وكان لإرميا النبى فى عهده مكانة عظيمة تماثل مكانة إشعياء النبى عند حزقيا . كما كانت هناك نبية تُدعى " خلدة" ساهمت فى الإصلاحات الدينية وكانت تتمتع باحترام عظيم من الشعب فى زمانها – كما امتد نفوذ يوشيا الدينى إلى الشمال حيث سيطر على الأسباط العشرة – بعد أن سحبت آشور قواتها لمواجهة المد البابلى القادم.

وفى أيامه عُثر على " سفر الشريعة" فى الهيكل .. وربما كان هذا السفر سفر التثنية فقط أو الأسفار الخمسة الأول من التكوين إلى التثنيه فبسبب السلسلة الطويلة من الملوك الأشرار ضاع هذا السفر

فى الهيكل بسبب الإهمال – وفى سفر ملوك ثانى الأصحاح 22 " ثم أطلَعَ شافان الكاتب، الملك على السفر قائلا " قد أعطانى حلقيا (رئيس الكهنه) سفراً وقرأه شافان أمام الملك فلما سمع الملك ما ورد فى سفر الشريعة مزق ثيابه , وأمرحلقيا الكاهن واخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا خادم الملك قائلا " إذهبوا واسألوا الرب عن مصيرى ومصير شعب يهوذا بناء على ماورد فى هذا السفر الذى تم العثور عليه اذ أن غضب الرب المحتدم علينا عظيم جداً – لأن آباءنا لم يطيعوا كلام هذا السفر ولم يمارسوا كل ماورد فيه " . ويجيىء الرد من الله كما جاء فى نفس الأصحاح عدد 19 ، 20 " قد استجبت أنا لرجائك لذلك ها انا أتوفاك فتُدفن فى قبرك بسلام ولاتشهد عيناك ما سأنزله بهذا الموضع من شر" وقبل مرور ثلاثين سنه على هذا الحدث كانت يهوذا قد تم تدميرها نهائيا وسُبى أهلها . !!

ماذا يعنى ذلك .. بالتأكيد كانت هناك نسخ متداولة للتوراه (الشريعة) نسخها الكتبة بخلاف النسخة الأصلية التى كانوا يحتفظون بها داخل الهيكل ، لكن ربما يكون الكهنة قد اخفوا عن الملوك بعض النصوص لأسباب سياسية واجتماعية لمصلحة فئة بعينها استفادت من فساد الحكام وبعدهم عن التعاليم التوراتية وقد يشرح هذا الحدث الفساد الذى استشرى بين معظم ملوك إسرائيل ويهوذا (باستثناء قلة بسيطة) وعندما قرأ يوشيا وتمعن وتأمل وجد أن كل ما جاء فى الشريعة كان بالنسبه لمن سبقوه سراباً وخيالاً . مثال ذلك اكتشف هذا الملك أن الاحتفال بعيد الفصح لم يحدث منذ أيام القضاة رغم أنه عيد سنوى هام تذكاراً لنجاة الأمة من العبودية فى مصر (خر 12) – وكانت حجة الكهنة فى ذلك أن الله ضد الاحتفالات – ويريد أن يحرم الحياة من كل بهجة لكن الواقع أن الله يريد أن يمنحنا الحياة فى ملئها (يو 10 : 10).

وفى عام (609 ق م) كانت نينوى عاصمة الأشوريين قد دمرها البابليون قبل ذلك بثلاث سنوات – لكن الأشوريين المهزومين أعادوا حشد جيوشهم فى حاران وقرقميش – فأرسلت بابل جيوشها لتحطيمهم مرة واحدة وإلى الأبد – وقد انزعج فرعون مصر "نخاو الثانى" بن بسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، الذى كان يريد أن يجعل مصر قوة عالمية – انزعج من قوة بابل النامية ، لذلك زحف بجيوشه شمالاً مخترقاً يهوذا ليساعد الأشوريين فى قِرقميش – لكن يوشيا ملك يهوذا حاول منع نخاو من العبور فى أرضه فى الطريق إلى قرقميش – فقُتل يوشيا – وخضعت يهوذا لمصر ، وواصل نخاو سيره إلى قرقميش وقاوم البابليين لمدة أربع سنوات لكن فى عام 605 ق م انهزم تماماً – وصعدت بابل إلى القمة وأصبحت سيدة العالم وقتئذ.

17- يهواحاز (609ق م) ملك ثلاثة أشهر وهو أحد أبناء يوشيا لكن الفرعون نخاو لم يرضَ بإختيار الشعب فأخذ يهواحاز أسيراً إلى مصر حيث مات.

18- يهوياقيم (609 ق.م) حكم 11 سنه – أقامه نخاو ملكاً عوضاً عن أخيه – ولم يكن سوى ألعوبة فى يده . وكان هذا الملك شريراً فقتل النبى أوريا (إر 26 : 20 – 23) وكان خائنا ظالماً لشعبه (إر 22 : 13 – 19) كما أنه تمرد على بابل بأن تحالف مع مصر خوفاً من الفرعون المصرى نخاو ، فكانت غلطة حاسمة ، فقد قضى نبوخذ نصر على تمرد يهوياقيم وأخذه أسيراً إلى بابل (2اخبار 36 : 6) – لكنه سمح له أخيراً بالعودة إلى اورشليم حيث مات ولا تسجل التوراة سبب موته.

19- يهوياكين (598 ق م) حكم ثلاثة أشهر . عندما كانت جحافل البابليين تزحف لإخماد تمرد يهوياقيم مات الأخير وخلفه يهوياكين ملكاً على يهوذا ليواجه أقوى جيش على سطح الأرض وقتئذ

بعد اعتلائه العرش بأسابيع قليله – وفى هذه الغزوة الثانية للبابليين (من ثلاث غزوات) نهب البابليون الهيكل وأسروا غالبية القاده بمن فيهم الملك – ثم أقام نبوخذ نصر صدقيا – أحد أبناء يوشيا على عرش يهوذا لكن اليهود لم يعتبروه ملكاً حقيقيا لهم طالما أن يهوياكين مازال حيا رغم أنه كان أسيراً فى بابل.

يهوياكين الملك فى المنفى : تقول التوراه فى سفر (ملوك الثانى 25 : 27 – 30) ، وفى السنة السابعة والثلاثين لسبى يهوياكين ملك يهوذا فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثانى عشر اطلق أويل مرودخ ملك بابل ، بمناسبة تولية العرش ، يهوياكين ملك يهوذا من السجن – وتلطف به واكرمه اكراماً فوق إكرامه لسائر الملوك الذين معه فى بابل . وابدل ثياب سجنه ، فصار ينادم الملك على مائدته بصورة دائمة – وصرف له ملك بابل راتبا يوميا كل أيام حياته".

وكانت السياسة البابلية فى أخذ الأسرى تختلف عن سياسة الأشوريين الذين كانوا يجلون غالبية السكان ويعمرون البلاد بأجانب – أما البابليون فيأخذون الأقوياء والصناع الماهرين ويتركون المساكين والضعفاء لحكم البلاد ، بذلك يرفعونهم إلى مواقع السلطة ليضمنوا ولاءهم – وفى هذه المرة أخذوا القادة إلى مدن بابل لكن سُمح لهم بالعيش معاً والبحث عن عمل فى هذا المنفى وأن يصبحوا جزءاً من المجتمع البابلى . وقد حفظت هذه السياسة اليهود متحدين طوال أيام السبى وجعلت من الممكن عودتهم فى أيام زربابل كما هو مدون فى سفر عزرا.

20- صدقيا (597 ق م) حكم 11 سنه إسمه الحقيقى متتيا وهو آخر ملوك يهوذا – كان ملكاً شريراً فى وقت حرج فى تاريخ المملكة لم ينهج طريق الله وإنحرف وشعبه الى العبادة الوثنية – لم يصغ لتحذيرات إرميا النبى وألقاه فى جب – وهو حفره كبيره فى الأرض مبطنة بالصخور لتجميع مياه الأمطار – وكان القاع مظلماً رطباً مملوءا بالوحل . وتقول التوراه " فلما سمع عبد ملك الخصى الأثيوبى المقيم فى قصر الملك أنهم ألقوا بإرميا فى الجب .. أخبر الملك بذلك .. فأمر الملك عبد ملك الأثيوبى " اصطحب معك من هنا ثلاثين رجلاً واسحب إرميا من الجب قبل أن يموت .. فسحبوا إرميا بالحبال وأخرجوه من الجب ".

أما عن الموقف السياسى .. وبعد أن تولى بسماتيك الثانى عرش مصر (594 – 588 ق م) وبسبب رغبته الشديدة فى التصدى للنفوذ البابلى أخذ فى تحريض أدوم ومؤاب وعمون وصور وحبرون ويهوذا على التمرد والامتناع عن دفع الجزية .. وتحول صدقيا وأظهر ولاءه لمصر مستنداً على وعد بالمساعدة وشق عصا الطاعة وأعلن الثورة على بابل.

وفى ربيع (589 ق م) سار نبوخذ نصر بجيشه حاملاً المعدات الضخمة من السلالم والأبراج وأحدث المبتكرات لاقتحام الأسوار بالمنجنيق الضارب (حز 4 : 2) – واتخذ نبوخذ نصر من "ربله" على نهر الأورنت فى سوريا قاعدة له . وخطط لضرب وتدمير المنطقة المحيطة بأورشليم قبل الحصار ليضمن قطع أى اتصال بمصر وعدم وصول الامدادات العسكرية.

وتقدم المصريون مما أرغم البابليين على الانسحاب المؤقت (أر 37 : 5) ولم تلبث أن تراجعت الجيوش المصريه وانسحبت .. فعاد الجيش البابلى وحاصر أورشليم لمدة ثمانية عشر شهراً – حتى أرهقها الحصار وفُتحت فيها الثغرات التى دخل من خلالها الجيش البابلى منتصراً فى عام 587 ق م وحاول صدقيا الهرب شرقاً نحو الأردن لكن جيش بابل أدركه فى سهول اريحا وأسره وأخذه إلى

"ربله" وحوكم هناك – وقَتل أبناؤه أمامه وأقتلعت عيناه ورُبط بسلاسل نحاس وسيق إلى بابل أسيراً وظل بها حتى موته (أر 52 : 11).

وفى هذا الهجوم دُمرت أورشليم تماماً وأُحرق الهيكل ونُقلت كنوزه إلى بابل وسبى الشعب وتُركت فئه ضئيلة يعملون فى زراعة الأرض – وصارت أورشليم عاصمة يهوذا خربه – حتى عاد إليها المسبيون بعد سبعين عاماً .

النبى إيليـا

(875 ق م)

لفظ إيليا يعنى " الرب الهى" وكان من مستوطنى جلعاد شرقى الاردن – وهذه المدينة مقفرة تغطى جبالها الغابات الكثيفة ، حيث تندفع المياهُ على الجبال ، ويرتاد أوديتها الوحوش الكاسرة . وقد امتزجت طبيعة أهل جلعاد بالبيئة المحيطة بهم فكانوا خشنى الطبع ويقتاتون من رعاية الأغنام . نشأ إيليا فى تلك البلاد وعندما صار رجلاً كان يمتاز بقوة عضلاته وعباءته التى كانت من وبر الابل ، وقوته البدنية مكنته من أن يسبق الخيل فى المركبة الملكية.

ولما تقدمت به الأيام تعمق فى دراسة الأسفار المقدسة وتميز بغيرة دينية فائقة . كان إيليا أول نبى فى سلسلة من الانبياء الذين أرسلهم الله إلى كل من اسرائيل ويهوذا – فلم يكن للمملكة الشمالية ملوك أمناء فى كل تاريخها – بل كان كل ملوكها أشراراً قادوا الشعب لعبادة الآلهة الوثنية ، ولم يكن لها الاَّ القليلون من الكهنة من سبط لاوى إذ ذهب غالبيتهم إلى يهوذا. وكان الكهنة الذين عينهم ملوك إسرائيل كهنة فاسدين ، لذلك دعا الله أنبياء ليحاولوا إنقاذ بنى إسرائيل من انحطاطهم الروحى والأدبى وظلوا هؤلاء على مدى الثلاثمائه سنة التالية يلعبون دوراً حيويا ويشجعون الشعب والقادة على العوده الى الله.

عاصر إيليا الملك آخاب وزوجته إيزابيل التى عبدت البعل ونشرت كهنته فى أنحاء المملكة.

وفى أول حدث لإيليا النبى ، انه أخبر الملك بأنه لن يكون مطر لسنوات عديدة فصدم الملك بذلك واستعان بكهنة البعل .. " هذا الإله الذى يجلب المطر والمحاصيل" .. لكن لم يكن فى قدرة هؤلاء جلب المطر .. وهرباً من الملك ، أمر الله إيليا بأن يتوجه إلى نهر كريت .. حيث كانت تعوله الغربان .. فكانت الغربان تحمل إليه الخبز واللحم ليقتات به .. وظل على هذا الحال حتى جف النهر .. فتوجه إلى " صرفه صيدا " حيث استضافته امرأة وابنها فى بيتهما. وكانت هذه المرأه فقيره تجمع الحطب ولاتملك غير القليل من الدقيق والزيت يكفيان لعمل آخر وجبة تقتاتها وابنها ثم يموتان من الجوع، لكن إيليا طلب منها أن تعد الطعام وتخصه بكعكة صغيره.. ولما اطاعته المرأه كانت ارادة الله المعجزية على لسان إيليا أن " جرة الدقيق لن تفرغ وقارورة الزيت لن تنقص إلى اليوم الذى يرسل فيه الله مطراً على وجه الأرض" (1ملوك 17 : 14) . وليس هذا فحسب فقد مرض ابن هذه المرأه ومات .. فرقد فوقه إيليا واستغاث بالرب متضرعاً وقال " يارب إلهى إرجع نفس هذا الولد إليه " فاستجاب دعاء إيليا ورجعت نفس الولد اليه وعاش (1ملوك 17 : 20 – 22)، ثم حدثت المواجهة فوق جبل الكرمل بين إله إيليا وآلهة أنبياء البعل فجاء آخاب بثمانمئة وخمسين نبيا وثنياً .. وأحضر محرقاته .. وظل أنبياء البعل يهزون طوال " العصر " من غير أن يكون هناك صوت أو مجيب وكان إلههم صامتا وعاجزاً – لكن عندما صلى إيليا " أنزل الله ناراً من السماء التهمت محرقته والحطب والحجارة والتراب ولحست ماء القناه " (1ملوك 18 : 38) فلما شاهد بنو اسرائيل ذلك خروا ساجدين هاتفين " الرب هو الاله" .

" فقال إيليا إقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعو رجلاً منهم يفلت ، فقبضوا عليهم فساقهم إيليا الى نهر قيشون وذبحهم هناك " (1ملوك 18 : 40).

استشاطت إيزابيل (زوجة الملك آخاب) غضباً لمقتل أنبيائها لأنهم كانوا يقولون لها كل ماتريد أن تسمعه ، ويتنبأون لها بمستقبل زاخر بالقوه والمجد رغم أنها كانت امرأة شريره ، وخسرت كل ما استثمرته من اموال فى اولئك الأنبياء ، ولأنها لم تكن تستطيع أن تتحكم فى تصرفات ايليا، قررت أن تقتله . ولما علم إيليا بنية إزابيل لقتله ، هرب جنوباً حتى جبل حوريب ، الجبل المقدس فى سيناء الذى تكلم الله فيه مع موسى واعطاه الوصايا والشريعة . وفوق هذا الجبل المقدس بسيناء مصر يهمس الله لإيليا ويأمره بالعوده ، كما أمره أن يمسح (يقلد) ثلاثة أشخاص مختلفين : كان الأول حزائيل ليكون ملكاً على سوريا والتى كان الله مزمعاً أن يستخدمها أداة لتأديب بنى اسرائيل ، والثانى " ياهو " ملكاً على اسرائيل ليؤدبها من الداخل ، أما الثالث فكان اليشع النبى ليخلف إيليا.

رجع إيليا وتقابل مع اليشع ، وتقول التوراه "انطلق إيليا من هناك فوجد اليشع بن شافاط يحرث حقلاً .. فمر به إيليا وطرح عليه رداءه " (1ملوك 19 : 19).

أما عن الرداء فقد كان اهم جزء فى الثياب يمتلكه الانسان فى ذلك الزمن كان يستخدمه وقايه من الجو ، وكفراش ومقعد وحقيبه سفر ، كما كان يمكن رهنه مقابل دين ، أو يمزق للدلاله على الحزن.

وكمثال للطمع قرر الملك آخاب بتحريض من زوجته إيزابيل الاستيلاء على ارض (كرمه) بجوار قصره يمتلكها رجل يدعى "نابوت اليزرعيلى" ، فما كان من هذا الرجل الا أن رفض ذلك وقال للملك " معاذ الله أن افرط فى ميراث ابائى " (2ملوك 21 :2) . فتحول غضب الملك أخاب الى كراهيه هذا الرجل وقتله . وهنا واجه إيليا الملك أخاب وتنبأ بهلاكه وزوجته . ومات الملك مقتولاً فى احد المعارك ، كما أُسقطت ايزابيل من شرفة قصرها وماتت .

أما إيليا فلم يمت بل أخذ الى السماء .. وتقول التوراه فى سفر الملوك الثانى بينما كان يسير إيليا ومعه اليشع " وفيما هما يسيران ويتجاذبان اطراف الحديث ، فصلت بينهما مركبة من نار تجرها خيول نارية – نقلت إيليا فى العاصفه الى السماء " (2ملوك 2 : 11)..

ماهذه المركبه الناريه .. التى تجرها خيول ناريه وتحدث عند انطلاقها عاصفة على الأرض .. ثم تختفى فى السماء ؟

ان هذا الوصف إذا طرح فى عصرنا هذا فليس له الاً دلالة واحده تشير الى الصواريخ التى تنطلق الى السماء بمحركات تنبعث منها النيران وتترك خلفها عادم الانطلاق الذى يثير عاصفة ترابية .. هل أخذ إيليا فى طبق طائر !؟

وتقول التوراه إن إيليا توارى عن الوجود ولم يعثر له على أثر بعد ذلك – وهناك قصه أخرى فى التوراه عن هذا الاختفاء جاءت فى سفر التكوين (الاصحاح 5 : 24) حول "أخنوخ" الجد الثالث لنوح فتقول " وسار اخنوخ مع الله ، ثم توارى من الوجود . لأن الله نقله اليه " . أما فى العهد الجديد (الانجيل) فتذكر قصه صعود السيد المسيح الى السماوات.

بذلك تكون قصة أو طريقه صعود إيليا الى السماء فريده من نوعها فى تاريخ التوراه والكتب السماويه.

حكمه إلهيه قد تكون رساله الى عالمنا المعاصر تفيد بأننا مازلنا مع كل التقدم العلمى وغزو الفضاء .. مازلنا اقزاماً ، وان فى الكون الفسيح حضارات موغله فى الزمن سبقتنا بمراحل كبيره.



الإمبراطورية الآشورية

الفصل الثاني

صراع الأمبراطوريات

(مصر, آشــور, بابل)

الآشوريون ينسبون لمدينة آشور وهى اول عاصمه لهم وتقع اطلالها اليوم على الجانب الغربي من نهر دجله . والآشوريون قوم يرجع اصلهم الى القبائل الساميه التى استقرت خلال الالف الثالثه قبل الميلاد شمال وادى الرافدين – وقد نجح الآشوريون فى بناء الامبراطورية فى غرب آسيا .
وتوسعت الامبراطورية الأشوريه فى كل الاتجاهات والأخص ناحية سوريا وقد يكون اسم سوريا Syria مشتقاً من كلمة أقدم هى Assyria أو آشور . وآشور هي العاصمة القديمة ، وتقع على الضفة الغربيه لنهر دجله ، وفى الشمال وعلى بعد 97 كيلو متراً تقع نينوى وهى أقدم من آشور المدينه واصبحت بعد ذلك العاصمه . وبين المدينتين تقع مدينة نمرود التى كانت عاصمة الامبراطورية فى القرنين 19 ، 18 قبل الميلاد – وشمال نينوى تقع مدينة دور شاروكين (خورس اباد حاليا) وكانت العاصمة إبان حكم سرجون الثانى . ومن المدن الهامه هناك مدينة أربيل وحاران العاصمة الأخيره قبل السقوط .

وقد اكتُشفت أوان فخاريه فى يرمو يعود تاريخها الى 5000 ق م كما اكتُشفت أوان أخرى فى كالح واشور ونينوى ترجع الى 3000 ق م. ويذكر فى سفر التكوين 10 : 11 ، 12 اسم نمرود بإعتباره مؤسس هذه المدن.

وحوالى عام 2900 ق م كان هناك سومريون يعيشون فى اشور وآرك ، وتوجد قائمه قديمه اكتشفت بالقرب منهما بها اسماء ثلاثون ملكاً – وقد بنيت المعابد هرمية الشكل فى ذلك الوقت ، وربما كان برج بابل معبداً هرمياً (تك 10 : 10 ، 11 : 1 – 9).

وفى عام 2350 ق م غزا سرجون الأول ملك "أكد" سومر وبنى نينوى عاصمة له – وكانت هذه أول امبراطوريه معروفة فى التاريخ.

وفى عام 2125 ق م كانت أور مقر الاسره البابليه الثالثه ، وهى مدينه جدود ابراهيم عليه السلام (تك 11 : 26 – 32) – وانتهت سيادة أور عام 2025 ق م.

فى عام (1781 ق م) ذكر اسم "إشمى داجون" الحاكم الأشورى المعاصر لحامورابى ملك بابل الشهير – ويرى كثيرون من مؤرخى آشور أن "امرافل" المذكور فى تكوين (14 : 1) هو حمورابى .

وفى عام (1274 ق م) أسس شلمناسر الأول امبراطوريته . وعام (1115 ق م) يشهد ازدهاراً كبيراً وقوة عظيمة تحت حكم تغلث فلاسر الأول . وحول عام 900ق م عَمَلَ عدة ملوك متعاقبين على استعادة قوة أشور، ثم جاء شلمناسر الثالث عام 858 ق م – وتَذكر سجلات آشور أن الملك اليهودى آخاب اعطاه 2000 مركبه واكثر من 4000 رجل – ويسجل عمود ومسلة آشور أن " ياهو " أيضاً دفع جزية لشلمناسر الثالث.

824 ق م ... شمس هدد الخامس

805 ق م ... خلفته أرملته

783 ق م ... حكم هدد بترارى الثالث

773 ق م حكم شلمناسر الرابع .. وفى عهده استعادت اسرائيل بعض ما فقدته من الاراضى التى سبق ان استولت عليها – لأن شلمناسر الرابع كان مشغولاً بالضغط على ارام (2ملوك 14 : 23 – 29).

754 ق م آشور دان الثالث

727 ق م تغلث فلاسر الثالث (فول) – دفع له "منحيم" الجزية (2ملوك 15 : 9 – 20) ، واهداه أحاز هدايا وطلب منه مساعدته عسكرياً.

وفى عام 722 ق م جاء الى المُلك شلمناسر الخامس الذى حاصر السامرة واستولى عليها بعد ثلاث سنوات من الحصار وبذلك سقطت المملكة الشمالية وتم السبى الأشورى.

وفى عام 681 ق م تولى المُلك سنحاريب ، وكانت لحزقيا معاملات كثيرة معه (2ملوك 18 : 13 ، 14) وقد سجلت اخبار غزوة سنحاريب على نقش محفور على الحجر فى القصر الملكى بنينوى – كما يروى سفر ملوك ثان (19 : 35 – 37) ، ولوح آشورى من الفخار أن الملك لم يستطع أن يخضع حزقيا ، بينما لم يكن من عادة ملوك آشور تسجيل هزيمة لهم .

وفى عام 669 ق م جاء " اسرحدون " الملك الذى أجلى اكثر من 27000 من بنى اسرائيل (2اخ 33 : 11) – ويروى ناحوم (1 : 1 – 8) والسجلات الأشوريه أن أسوار نينوى هدمها طوفان .

أما خليفته أشور بانيبال فقد إتسم حكمه بالاهتمام بالفنون وخَلَف مكتبة قدمت 22000 لوحاً. ثم تبعه الملك آشور اتيل عام 632 ق م ، ثم (ساراسكون) عام 628 ق م الذى مات محترقاً.

اما عام 612 فقد شهد نهاية الامبراطوريه الأشوريه العظيمة بسقوط نينوى على يد الملك نبوبولاسار البابلى .

*مصر وآشــور:

استمرت مصر تحكم النوبة قرابة الف وثمانمائه سنه ، أما ما بين الشلالين الأول والثانى فبقى تحت الاداره المصرية حوال ألف سنه – وانصبغت تلك البلاد بالصبغه المصرية تماما فشُيد بكل مدينه فيها معبد مصرى عظيم – وقد حافظ شيشنق الأول على النوبه (الاسره 22) ، وشيد ملوك أثيوبيا معابدهم على الطراز المصرى وزينوها بالنقوش الهيروغليفيه – فبدت بذلك أن هذه المملكه النوبيه مصريه الاصل مصبوغه بالصبغه الطيبيه . وكان أول من عرف من ملوك هذه المملكه هو (كاشتا) ثم حكم ابنه بعنخى عام 741 ق م واستولى على صعيد مصر حتى مدينة اهناسيا (عام 721 ق م) . وفى هذا الوقت كانت سلطة " اوسركن " الثالث منحصره فى إمارته بتل بسطه – أما الوجه البحرى فكان يسيطر عليه أمراء اخضعهم لسلطانه تفنخت – لكن فى النهاية استطاع بيعنخى السيطرة الكاملة من الجنوب حتى الدلتا شمالاً حيث خضع له خمسة عشر أميراً.

اما فى الصعيد فقد ظل تفنخت يسيطر على صا الحجر ثم ورثه ابنه بوكوريس مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين الصاوية عام 718 ق م.

ولايخفى أن مصر ظلت محكومة بأمراء الأقسام العديدين مدة تزيد على قرن ونصف قرن، وبديهى ان انحلال السلطة المركزية الحكومية صَحَبهُ اضمحلال عظيم فى الشئون المالية وانعدمت التجارة مع البلاد الاجنبية كما انحطت الزراعة والصناعة وأصبحت الخيرات فى ايدى الأمراء – ثم اخذت انظمة الزراعه تتلف ، كذلك الطرق والجسور ، وانعدم الأمن من سيىء إلى اسوأ. وفى التوراة وفى الاصحاح التاسع عشر من سفر أشعياء جاء ما يصف احوال مصر فى ذلك العهد.

عدد 1 وهى من جهة مصر – هوذا الرب راكب على سحابة سريعه وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها.

عدد2 وأهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينه مدينه ومملكة مملكة .

عدد4 واغلق على المصريين فى يد مولى قاس فيتسلط عليهم ملك عزيز.

عدد10 ان رؤساء صوعن (تنيس) أغبياء – حكماء مشيرى فرعون مشورتهم بهيميه.

عدد 13 رؤساء صوعن (تنيس) صاروا أغبياء – رؤساء نوف (نبته) انخدعوا وأضر مصر وجوه أسباطها.

عدد14 مزج الرب فى وسطها روح غىّ فأضلوا مصر فى كل عملها كترنح السكران فى قيئه.

عدد15 فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذنب ، نخلة أو اسلة.

بديهى أن هذا الوصف لايمكن أن يؤتى بأصدق منه دقه !!

ذلك الوقت عصفت ريح التغيرات الأسيوية بسرعة وصارت مصر من أجلها محفوفة بأعظم المخاطر . فقد بذلت مملكة آشور القوية جهدها لتحتفظ بسيادتها على غربى آسيا . فبدءاً كان نسوبا نبدد (1100 ق م) أول فرعون تينيسى يرسل الهدايا الى تجلات بلاسر الاول حينما اقترب الأخير من حدود مصر . وبعد مضى مائتين وخمسين سنه تقريبا أمد فرعون مصر اتحاد ولايات اسيا الغربيه بمساعدة عسكرية لسحق قوى شالمنصر الثانى فى قرقار (854 ق م) – وحينما ملك تجلات بلسر الثالث جمع موارد مملكته وشن الغارة على غربى أسيا فأخضع سوريا وفلسطين (734 ق م) ووصلت جنوده إلى حدود مصر . وقد سقطت وقتئذ مملكة دمشق العرامية فأصبح غربى آسيا تابعاً لآشور بأجمعه.

ثم جاء الملك شالمناصر الرابع الذى حكم مدة قصيره ثار فى أثنائها بنو اسرائيل بمساعدة الملك سوا (2ملوك 17 : 4) – ولا يبعد أن يكون سوا هذا أحد أمراء الوجه البحرى أو حاكم لولاية موصرى Musri شمالى بلاد العرب واسمها شبيه بإسم مصر – وقاومت مدينة السامرة عدة مرات قبل غزوة آشور لكن لما جلس سرجون الثانى (722 ق م) على العرش استولى هل هذه المدينه – كما اشرنا سابقاً – وفى تلك الأونه أيقن أمراء مصر بعجزهم عن مقاومة أشور فأوقدوا نار الثورة ضد آشور فى ولايات سوريا وفلسطين لكى تكون حاجزاً بينهم وبين آشور.

وفى عام 720 ق م أخضع سرجون الثانى ثورة غربى آسيا ثم زحف جنوباً نحو رفح – ولم يستول سرجون الثانى على مصر فى ذلك الوقت لما لها من تاريخ قديم . لكن تغير الحال بعد تدهور حالة

مصر الداخليه . وجاء فى نصوص آشور أنه فى عام 715 ق م ارسل (بوكوريس) فرعون مصر هدية عظيمه إلى سرجون الثانى.

ثم جاء الملك " شاباكا " مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين – الذى اتضح له خطورة مركز مصر إزاء آشور فأرسل إلى سوريا وفلسطين من أوقد الثورة ضد آشور ، وانصاع له ولاة يهوذا ومؤآب وأدوم – ارتكاناً منهم على مجد مصر القديم وجاهلين حقيقة أحوالها المتدنيه ، ولم يفقه من هؤلاء الولاة خطورة الحالة إلا النبى السياسى اشعياء حاكم ولاية يهوذا فقد أكد أن الاعتماد على مصر لا طائل له لأنه اعتقد أن آشور ستستولى على مصر يوماً ما (اشعياء 20). ولما جاء الى علم آشور أنباء هذا التحالف وانفضح أمره انفك المتحالفون وأظهروا ولاءهم فى الحال لآشور.

وحينما تولى سنحاريب اشتبك مع أحد أمراء بابل (مردوق) وتحالف مع ملك صور (لولى) وحزقيا ملك يهوذا وأمراء أدوم وموآب وعمون ورؤساء العرب المجاورين لهم ، كما انضمت أيضاً لهذا التحالف مصر – لكن تصدى سنحاريب لهذا التحالف المخيف الذى وصفه سنحاريب بأنه يفوق الوصف . وكان طهراقه ابن بعنخى هو القائد لجيش الملك شاباكا المصرى. وانتهت المعركه بهزيمة المصريين ثم تحول سنحاريب إلى يهوذا وخرب أراضيها وحاصر أورشليم . لكن أثناء الحصار تفشى بين قوات الأشوريين وباء ذريع (الملاريا) أتى إليهم من مستنقعات الدلتا المصرية فحصد الكثيرين من جيش آشور . كما أتت الى سنحاريب فى نفس الوقت أنباء عن تحرش بابل لذلك أسرع بالعودة إلى نينوى – وبذلك تحققت نبوءة أشعياء النبى بنجاة هذه المدينة (هذه المرة) وقد عللتها بمساعدة ملاك السيد الرب وبذلك يكون قد وصل جيش آشور للمرة الثالثة إلى حدود مصر ثم رجع بسبب أحداث مفاجئة.

أما فلسطين وسوريا فقد انعدمت ثقتهم بملوك إثيوبيا .. ويعبر عن ذلك خطاب سنحاريب إلى اورشليم " لقد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة ، على مصر، وإذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفة وثقبتها – هذا هو فرعون مصر وهذا شأن المتكلين عليه (2ملوك 18 : 21).

وبعد تولى اسرحدون إبن سنحاريب الملك قاد حملة عسكرية والتقى جنود طهراقه (ابن بعنخى) انتهت بفوز آشور وتعقب ملك آشور طهراقه المنسحب إلى الجنوب حتى منف واستولى عليها. وعاد إلى بلاده ماراً بنهر الكلب (فى لبنان حالياً) ونقش على صخوره لوحاً أثرياً يبين انتصاراته ، وهو يجاور الأثر الحجرى الذى تركه رمسيس الثانى ذاكراً فيه انتصاراته أيضاً.

وحينما عاد جيش آشور إلى بلاده قامت محاولة أخرى "لطهراقه" لمحاربة آشور لكن فى هذه المره كانت المواجهة مع آشور بانيبال الذى زحف دافعاً أمامه الجيش المصرى حتى طيبه وفر طهراقه إلى اعالى النيل.

ويتكرر نفس السيناريو فى عهد تانوت آمون ابن شاباكا الذى تولى عرش النوبة .. والذى تقابل مع جيش آشور عند منف واستطاع أن يوقفه . لكن رجع جيش آشور مرة أخرى عام 661 ق م وطرد النوبيين نهائيا من الوجه البحرى وتعقبت جيوش آشور تانوت آمون حتى طيبه وسلبوا العاصمة واستولوا على التماثيل وأشياء أخرى ثمينه أهمها مسلتان فضيتان زنة كل منهما 2500 تالنت (التالنت يقرب من 57 رطلا) كانتا منصوبتين على مدخل أحد المعابد ونقلوهما الى نينوى.

وقد تنبأ ناحوم بخراب نينوى بعد خمسين سنه على محنه طيبه : فجاء بالاصحاح الثالث 8 – 10 " هل أنت افضل من نِو آمون – (طيبه) ؟ كوش قوتها مع مصر وليست نهاية فوط ولوبيم كانوا

معونتك . هى أيضاً مضت إلى المنفى بالسبى وأطفالها حطمت فى رأس جميع الأزقه وعلى أشرافها ألقوا القرعه وجميع عظمائها تقيدوا بالقيود " .

ولما رجع الأثيوبيون إلى بلادهم لم يحاولوا الرجوع إلى مصر – فتلاشت الصبغة المصرية تدريجياً ودخلت طور البربرية – ثم امتنع ملوكها عن استعمال الخط واللغة المصرية القديمه – وحين غزا الرومان تلك البلاد تحطمت اركان المملكة الاثيوبيه ولم يمض قرنان حتى احتل جزءها الشمالى أقوام معروفون بإسم بلميس اتون من الشرق ، اما الجزء الجنوبى فقد سيطرت عليه مملكة الحبش المسيحيه التى نشأت حول منابع النيل الأزرق فى القرن الرابع بعد الميلاد واطلقت على نفسها اسم الوطن الأصلى اثيوبيا.



الامبراطورية البابليه

*قيام الامبراطورية البابليه:

بابل .. المدينه التى تمردت على الامبراطوريه الآشوريه .. ودمرها سنحاريب الأشورى عام 689 ق م – وعندما مات سنحاريب عام 681 ق م أعاد ابنه اسرحدون عن جهل بناء مدينه بابل – وأتاحت آشور لضعف ملوكها انذاك ، الفرصة الكبيرة لبابل ان تقوى . وعندما زحف الجيش الآشورى لغزو البلاد البعيدة ، نمت مدينة بابل وكبرت وأصبحت أمة صغيرة ، وبعد بضع سنوات أصبحت بابل من القوة لتتمرد على آشور وأخيراً قضت على الأخيرة عام 612 ق م وأصبحت بابل بذلك القوة العالمية التالية.

السبى

*أولا: السبى الأشورى للملكة الشمالية:

*الغزوه الأولى:

عندما اعتلى عرش آشور الملك " فول " (تغلث فلاسر الثالث) كانت الامبراطوريه الآشوريه توشك أن تصبح قوة عالميه ، بينما كانت ارام واسرائيل ويهوذا فى الطريق الى الانحلال ، وقد حدثت غزوه الملك " فول " فى عام 743 ق م وجعلت آشور من اسرائيل دولة تابعة لها واضطر ملك اسرائيل منحيم لدفع الجزيه لآشور . وفى أيام حكم الملك الاسرائيلى فقح استمر هجوم تغلث فلاسر واستولى على مدن عيون ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وارض نفتالى وسبى اهلها الى آشور.

*الغزوه الثانيه:

اصبح الملك شلمناصر الخامس ملكاً على آشور (727 – 722 ق م) وغالى فى فرض جزيه ثقيله على المملكه الشماليه ، فقرر الملك هوشع التمرد وتحالف مع " سوا " ملك مصر (2ملوك 17 : 4) فكانت حماقه منه، إذ قام على اثرها شلمناصر بمهاجمه السامرة وحاصرها ثلاث سنوات ، لكنه مات قبل سقوطها ، وتم أسر أهالى التخوم الشماليه .

*الغزوه الثالثه:

فى السنه التاسعه لحكم هوشع ، سقطت السامره على يد سرجون الثانى ملك آشور وتم القضاء على المملكة الشماليه وسبى أهلها إلى آشور وأسكنهم فى مدينة حلح وعلى ضفاف نهر خابور فى منطقه جوزان ومدن مادى.

بعد أن تم اجلاء بنى اسرائيل ، جاء الآشوريون بأناس من كل جهات الامبراطوريه الأشوريه وأسكنوهم فى البلاد – وقد ساعدت هذه السياسه الآشوريين على حفظ السلام فى المناطق التى غزوها ومنع حدوث ثورات، فتشتت الأسرى فى كل بلاد أشور حال دون اتحادهم ، كما أن اسكان أجانب فى اسرائيل جعل من الصعب على بنى اسرائيل الباقين أن يتحدوا . وهذا الخليط من السكان الذين استقروا فى اسرائيل اصبح يعرف بإسم " السامريين " وكان اليهود يحتقرونهم .

وكان هولاء المستوطنون الجدد فى اسرائيل يعبدون الله دون التخلى عن الممارسات الوثنيه فكانت عبادتهم لله لإسترضائه باعتباره فألاً طيباً أو وثناً آخر يضيفونه الى مجموعة (اوثانهم) ، او مطامعهم كما هو قائم فى الحاضر !.

*أشور ومملكه يهوذا:

وفى السنه الرابعه عشرة من حكم الملك حزقيا اجتاح سنحاريب ملك آشور جميع مدن يهوذا الحصينه واستولى عليها (2ملوك 18 : 9) – وقعت هذه الغزوه فى عام 701 ق م بعد مرور اربع سنوات على جلوس سنحاريب على عرش آشور.

وكان سنحاريب ابنا لسرجون الثانى – الملك الذى اخذ شعب اسرائيل الى السبى – ولكى يمنع ملك يهوذا آشور من الاستيلاء على مملكته كان يدفع لها جزيه سنويه ولكن عندما أصبح سنحاريب ملكاً .. أوقف حزقيا دفع هذه الجزيه .. فهاجمه سنحاريب .. لكن هذا الأخير لم يكن مولعاً بالحرب مثل ملوك آشور السابقيين اذ كان يفضل ان يولى جهوده فى بناء وتجميل عاصمته نينوى – وفى رسالته الى حزقيا .. عرض عليه الصلح مع دفع الجزيه ، ولكن تشاء الظروف القهريه أن يهاجم آشور (لبنه) وينسحب سنحاريب عندما أتته أنباء أن "ترهاقه" ملك كوش قد خرج لمحاربته.

أما عن معاملة المسببين من بنى اسرائيل ، على يد الأشوريين فكانت قاسية للغاية على العكس من معاملة البابليين لأسراهم . فكان الأشوريون يعذبون أسراهم للترويح عن أنفسهم ، ويقلعون عيونهم ويمزقون جلودهم جزءاً بعد جزء الى أن يموتوا – وإذا أرادوا أن يجعلوا من الأسرى عبيداً فكثيراً ماكانوا يضعون خزامة فى أنوفهم.

***ثانيا الغزو البابلى ليهوذا:**

أصبحت بابل القوه العالمية الجديدة بعد القضاء على آشور فى عام 612 ق م ، وأيضاً هزيمتها لمصر فى موقعه كركميش (أو قرقميش) فى عام 605 ق م .

*الغزوه الأولى:

غزا البابليون يهوذا ووضعوها تحت حكمهم وكانت هذه هى الغزوه الأولى من الغزوات البابليه الثلاث ليهوذا على مدى العشرين سنة التالية – وفى كل غزوه كان يؤخذ الأسرى الى بابل – وكان دانيال النبى كاتب سفر دانيال أحد الأسرى فى الغزوة الأولى 605 ق م (دانيال 1 : 1 ، 2) وحدث هذا الغزو أيام حكم يهوياقيم على يد نبوخذناصر ملك بابل.

*الغزوه الثانيه:

عندما كانت جحافل البابليين تزحف لإخماد تمرد يهوياقيم ، مات الأخير وخلفه ابنه يهوياكين ليواجه جيش بابل العظيم (597 ق م) وفى هذه الغزوة الثانيه نهب البابليون الهيكل وأسروا غالبية القادة بمن فيهم الملك – وكانت سياسة البابليين تختلف عن الأشوريين فى التعامل مع الأسرى والمسببين – فكان البابليون يُهَجِرّون الأقوياء والصناع المهره ويتركون الضعفاء والفقراء – أما القاده فأخذوهم الى مدن بابل ولكن سمح لهم بالعيش معاً والعمل وأن يكونوا جزءاً هاما فى المجتمع.

*الغزوة الثالثة:

فى السنة التاسعة لُملْك صدقيا – زحف نبوخذ نصر ملك بابل بكامل جيشه وقوته على أورشليم وحاصرها واستمر الحصار حتى العام الحادى عشر من ملك صدقيا ، الذى انتهى بإقتحام المدينه فأحرق الهيكل وقصر الملك وكل منازل المدينه – كما استولت القوات الغازيه على جميع محتويات الهيكل من ذهب وفضه ونحاس ونقلوها إلى بابل – كما هدمت أسوار المدينة وأخذ الشعب إلى السبى.

ولم تعد أورشليم هى العاصمة إذ أقام البابليون حكومة محلية فى "المصفاه"، وعين "جدليا" حاكما ، وفى وسط الاضطرابات السياسية والاجتماعية كانت هناك محاولات لقتله وقد تمت هذه المحاوله

على يد رجل يدعى اسماعيل وهو من نسل داود كان يطمع فى أن يعين قائداً ليهوذا ، بتحريض من يوحانان . ولم يكتف اسماعيل بقتل جدليا بل قام برفقه عشرة رجال بقتل كل اليهود والكلدانيين الموجودين هناك . وفى مسيرته كقاطع طريق قابل جماعة تحمل تَقْدمة من الدقيق (لبيت الرب) فقتلهم بسيفه وطرح جثثهم فى جب كبير ومعهم جثة جدليا ، ثم سبى اسماعيل بقية الشعب الذى كان فى المصفاة متخلفاً ولم يهرب بعد ، وساقهم الى بنى عمون . وحين أخبر يوحانان بهذا الحدث تعقب اسماعيل – الذى هرب – واستعاد يوحانان الشعب المأسور وجمعهم فى حيروت المجاورة لبيت لحم لينطلقوا منها الى مصر هاربين من وجه الكلدانيين . ولم يفلح إرميا فى أن يمنعهم من الهروب الى مصر والبقاء فى يهوذا ، بل العكس هو ماحدث ان موجة النزوح الى مصر شملت أعداداً كبيره جداً من بينهم بنات الملك ، وذهب معهم ارميا النبى وباروخ .. واستقروا فى بلدة تحفنحيس فى مصر.



برج بابل

وتقول التوراه إن الله حذر الشعب اليهودى من دخول مصر وأنبهم على ذلك وبشرهم بالقضاء عليهم " خذ حجارة كبيرة بيدك واطمرها فى الملاط المرصوف عند مدخل قصر فرعون.. وقل لهم ... ها أنا آتى بعبدى نبوخذ نصر وأنصب عرشه فوق هذه الحجارة ويبسط أريكته الملكية عليها ، سيقبل ويدمر ديار مصر فيموت من قضى عليه بالموت ويسبى من قضى عليه بالسبى .. ويخرج من هناك سليماً بعد أن يهدم انصاب معبد الشمس التى فى مصر ويحرق معابد آلهة المصريين بالنار " (ارميا 43 : 9 – 13) . وتحقق ذلك وغزا نبوخذ نصر مصر فى 568 – 567 ق م ، وقضى على الامبراطوريه التى طالما علق عليها يهوذا آماله.

*اليهود فى السبى:

بذلك يتضح أنه كان هناك مركزان كبيران للهجره القسريه لليهود فى بابل ومصر. كونت الجماعه المنفيه فى مصر مجتمعاً يهوديا ظل ينمو عددياً ونفوذاً – كما نجح فى التجاره والسياسة خاصة إبان حكم البطالسه بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد حتى أسسوا مستعمره يهوديه فى جزيرة الفنتين عند الجندول بأسوان وبنوا لهم هيكلا فى هذه الجزيرة.

أما فى بابل فكانت أعداد اليهود أكثر مما فى مصر وكونوا يهود الشتات وهم الجماعات الهيودية التى استوطنت بالقرب من نهر خابور، أحد انهار بابل (حز 1 : 1) ومستوطنات حوله فى تل ابيب (حز 3 : 1) (مدينه غير تل ابيب المعروفه حالياً)، وفى الجنوب عند تل الملح وتل حرشا (عز 2 :

59 ، نح 7 : 61) – وقد سُمَحَ لليهود أن يعيشوا فى جماعات وأن يعملوا بالزراعة والأعمال الأخرى وتمتعوا بالحرية واثرى منهم العديد - وسعى المتدينون اليهود الى الحفاظ على هويتهم وعدم امتزاجها مع معتقدات بابل – وظهر بذلك (الربى) أى المعلم الذى قاد الشعب فى ممارساتهم الدينية والطقوس اليهودية فى حفظ السبت ، والختان . وفى هذه الفترة من السبى قامت نهضة دينية وأدبية.

*برج بابل:

بناء يعتقد أنه بنى فى مدينة بابل فى بلاد مابين النهرين (العراق حاليا) . ورد اسم هذا البرج فى الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين . ويذكر التاريخ القديم أن بابل أول من اقامت الابراج حيث بنى البابليون ابراجاً تعلو على مائه قدم ، ثم ارتفع بناء واحد من الابراج الى300 قدم وسمى برج بابل .

ومن المحتمل ان هذا البرج كان نوعاً من " الزيجورات " وهى هياكل بابليه هرميه مدرجه ، فكان بذلك طرازاً مألوفاً للبناء فى تلك المنطقه فى ذلك الوقت – وكانت تبنى فى الغالب كمعابد أشبه بالاهرامات المدرجه لها سلالم أو منحدرات مائله على جوانبها للصعود عليها .

والقصه كما جاءت فى التوراه كما يلى " وكان اهل الأرض جميعاً يتكلمون اولاً بلسان واحد ولغة واحده ، واذ ارتحلوا شرقاً وجدوا سهلاً فى ارض شنعار فإستوطنوا هناك ، فقال بعضهم لبعض هيا نصنع طوبا مشوياً أحسن شئ، فاستبدلوا الحجاره بالطوب والطين بالزفت ، ثم قالوا هيا نشيد لأنفسنا مدينه وبرجاً يبلغ رأسه السماء ، فنخلد لنا إسماً لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها .. فقال الرب ، ان كانوا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة قد عملوا هذا منذ أول الأمر ، فلن يمتنع اذا عليهم اى شيىء عزموا على فعله ، هيا ننزل اليهم ونبلبل لسانهم ، حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض ، وهكذا شتتهم الرب من هناك على سطح الارض" كلها فكفوا عن بناء المدينه ، لذلك سميت المدينه بابل ، لأن الرب بلبل لسان أهل كل الأرض.

وكانت بابل أيام نبوخذ نصر اكبر مدن المعموره يسكنها ربع مليون نسمة (حوالى 500 ق م).
وعنما أسِر اليهود وسبيوا الى بابل كان أول ما بهرهم هذا البرج العالى فهم من مجتمع يعيش فى اكواخ، وخيل اليهم أن الهدف من بناء هذا البرج هو الوصول الى السماء، فشعروا بالخوف ، وظنوا ان تعدد اللغات فى بابل غضب ربانى وانتقام من محاولة الوصول الى السماء ، وعاد اليهود من بابل بتلك الخرافه ؟!.

*نبوخذ نصر:

أعظم ملوك بابل واشتهر بلقب " مقيم المدن " شملت أعماله العمرانية جميع بلاد بابل حيث حفر الترع وبنى السدود – كما نشر الثقافة البابلية فى بلدان الشرق الأدنى – وبنى لنفسه عدة قصور وشيد الحدائق المعلقه التى اشتهرت فى التاريخ بكونها إحدى عجائب الدنيا السبع – كما بنى الحصون القوية والابراج العالية وشيد مدينة بابل وهو ماسجله دانيال (4 : 30).وحفائر بابل تشيد بتلك العظمة من فخامة القصور والمعابد ، ومن الزخرفة والرسم خاصة ما سجله على جدران قصره . وكان يعبد الإله مردوخ وشيد له معبداً يضم صوراً لحيوان خرافى يرمز لهذا الإله.

ومما يظهر اهتمام هذا الملك بالعلم والعلماء ، أنه أخذ معه لبلاده أكثر الناس موهبة ونفعاً ، وكما جاء فى الأصحاح الأول من سفر دانيال " أمر الملك رئيس خصيانه أن يحضر من بنى اسرائيل من السلالة الملكية ومن الشرفاء ، فتياناً كاملى الخلقة ذوى جَمَالٍ ، ماهرين فى كل صنعه، يتحلون بالمعرفة ومتبحرين فى كل علم ، يتعلمون كتابة الكلدانيين ولغتهم – وعين لهم الملك مخصصات كل يوم بيومه من أطايب مأكولات الملك ومن خمر شرابه ، وأوصى أن يقضوا ثلاث سنوات فى التثقف – يَمْثُلون فى نهايتها فى حضرة الملك – وكان من جملة المنتخبين من بنى يهوذا اربعة هم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا فأطلق عليهم رئيس الخصيان أسماء كلدانيه فدعا دانيال بلطشاصر ، وحنانيا شدرخ ، وميشائيل ميشخ وعزريا عبد نغو ".

كانت اللغة العامية فى بابل هى الارامية ، بينما تضمنت لغة الدراسة اللغة البابلية القديمة المعقدة – وكان المنهج الاكاديمى يتضمن الرياضيات والفلك والتاريخ والعلوم والسحر، وغير نبوخذ نصر أسماء دانيال ورفاقه لأنه أراد أن يجعلهم بابليين فى عيون الشعب البابلى وفى نظر أنفسهم حتى تساعدهم هذه الأسماء الجديدة على الاندماج فى المجتمع . واسم دانيال يعنى فى العبريه " الرب هو قاضىَّ " وتغير الى بلطشاصر بمعنى " احفظ حياته ايها البعل "(ويطلق أيضاً على البعل اسم مردوخ وهو الإله البابلى الرئيسى) . أما حنانيا فيعنى " الرب يظهر النعمهْ" والاسم الجديد شدرخ يعنى " تحت تصرف اكو " اله القمر" ، ويعنى ميشائيل "من مثل الله ؟ " والاسم البديل ميشخ " من مثل اكو؟ " ، وعزريا يعنى " الرب يُعين " والاسم البديل عبد نغو يعنى " خادم بنو " (إله التعلم والكتابه) ، وبهذه الوسيله حاول الملك تغيير الولاء الدينى لهؤلاء الشبان من اله يهوذا الى آلهة البابليين .

وبعيداً عن تغيير هذه الأسماء – فالاهتمام العظيم بالعلم وتهيئة المناخ الجيد للدارسين وطريقة اختيارهم .. يعد قمة التحضر ويشابه ماتقوم به الدول المتقدمة فى عصرنا الحاضر بإختيار الشباب الواعد وتيسير سبل الراحه والجو العلمى والتمويل المادى للبحث العلمى الذى يفرز صفوة من العلماء ، كما لا نغفل متابعته الشخصية لهؤلاء الدارسين إذ أمر بأن يتقابل معهم بعد ثلاث سنوات . وجاء فى التوراة أنه " حين شرع الملك فى مباحثتهم فى شئون العلوم والمعارف وجدهم يفوقون بعشرة اضعاف جميع السحرة والمجوس المقيمين فى مملكته كلها "(دانيال 1: 20).

*حلم نبوخذ نصر:

كانت الأحلام فى العهد القديم تعتبر رسائل من الألهه يقوم بتفسيرها الحكماء، وكان هؤلاء يقدمون تفسيرات طالما كانوا يعلمون قصة ومحتوى الحلم – إلا انه فى هذه المرة اخفى نبوخذ نصر تفاصيل الحلم وطلب أن يقصوا عليه الحلم نفسه . وعجز المنجمون عن ذلك إذ كان الملك يطلب شيئاً مستحيلاً . أما دانيال فقد طلب مهلة حتى يقوم بهذه المهمة ، وابلغ رفاقه وقاموا جميعاً بالصلاة والتضرع الى الله كى ينير عقولهم ويكشف لهم الأعماق والخفايا – واستجاب لهم الله ، وأخبر دانيال الملك بتفاصيل الحلم " رأيت أيها الملك وإذا بتمثال عظيم ضخم واقفاً أمامك وكان منظره هائلاً ، وكان رأس التمثال من ذهب نقى وصدره وذراعه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه خليط من حديد وخزف ، وبينما أنت فى الرؤيا انقض حجر لم يقطع بيد انسان وضرب التمثال على قدميه المصنوعتين من خليط الحديد والخزف فسحقهما. فتحطم الحديد والخزف والنحاس والفضه والذهب معاً وانسحقت وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح حتى لم

يبق لها أثر – أما الحجر الذى ضرب التمثال ، فتحول إلى جبل كبير وملأ الأرض كلها " (دانيال ، 2 : 31 – 35).

كما قام دانيال بتفسير الحلم على اساس ممالك تتطيح بممالك أخرى .. حتى يقيم الله فى النهاية مملكة لاتنقرض الى الأبد.

ويمكن تفسير الحلم على أن الرأس الذهبيه للتمثال تمثل نبوخذ نصر حاكم الامبراطوريه البابليه، أما الصدر والزراعان الفضيتان فكانت تمثل امبراطورية مادى وفارس التى هزمت بابل عام 539 ق م . وكانت البطن والفخذان من نحاس هما اليونان ومقدونيا بقيادة الاسكندر الأكبر الذى هزم امبراطوريه مادى وفارس بين عامى 334 ، 330 ق م، وترمز الساقان من الحديد الى روما التى هزمت اليونان عام 63 ق م ، أما القدمان من الخزف والحديد فتمثلان انهيار الامبراطوريه الرومانية عندما انقسمت مستعمرات روما إلى خليط من الدول القوية والضعيفة.

وقد بين نوع المعدن فى كل جزء مدى قوة السلطة السياسية التى يمثلها – أما الحجر المقطوع من الجبل فيشير إلى ملكوت الله وحكمه الى الأبد.

*التمثال الذهبى:

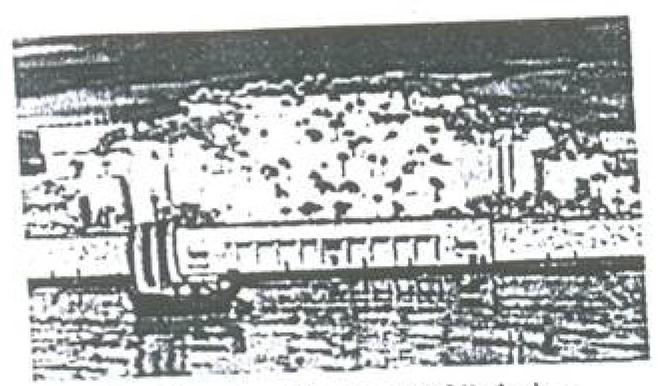
صنع نبوخذ نصر تمثالاً عظيماً من الذهب ارتفاعه 90 قدماً ، وكان يأمل فى استخدام هذا التمثال لتوحيد الأمة وتثبيت سلطته عن طريق مركزية العبادة، وطلب من الشعب فى مملكته السجود لهذا النصب . وأنذر كل من يرفض السجود لهذا التمثال أن يلقى فوراً فى وسط أتون نار متقده (دانيال 3 : 4 – 6).

وحين رفض أصدقاء دانيال الثلاثه الانصياع لأوامر رجال الملك والسجود للتمثال أمر نبوخذ نصر أن يوثق الثلاثة ويطرحوا فى النار المتقده .. وهنا يتدخل الله فتقول التوراة " وما لبثت الحيرة أن إعترت نبوخذ نصر فهب مسرعاً وقال لرجاله ألم نطرح ثلاثه رجال موثقين فى وسط النار ؟ فأجابوا صحيح أيها الملك فقال " إنى أرى أربعة رجال طليقيين يتمشون فى وسط النار لم ينلهم أذى ومنظر الرابع شبيه بإبن الألهه " (دانيال 3 : 24 ، 25) ولايمكننا التيقن تماماً من هوية الشخص الرابع فربما كان ملاكاً أو زائراً سماويا لمصاحبة هؤلاء الرجال المؤمنين فى وقت التجربة العظيمه ، كما تظهر قوة الإله سبحانه وتعالى على كل شيىء ، وكانت النتيجة أن قال نبوخذ نصر " تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذى أرسل ملاكه وانقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وخالفوا أمر الملك وبذلوا أجسادهم كيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم ، لهذا صدر منى أمر أن أى شعب أو أمة أو قوم من أى مكان يذمُون إلههم يمزقون إرباً إرباً – إذ ليس هناك إله آخر يقدر أن ينجى مثله (دانيال 3 : 28 – 29).

الحلم الثانى لنبوخذ نصر : بالرغم من تقدير نبوخذ نصر لإله دانيال فلم يكن مؤمناً به تماماً أو خاضعاً له وحده (دان 4 : 8) ، ولما ازداد تيهاً وخيلاء رأى فى الحلم' نفسه كشجرة منتصبة فى وسط الأرض ذات ارتفاع عظيم ونمت حتى بلغت السماء' تحتها تستظل وحوش الصحراء وتأوى الى اغصانها طيور السماء ، واذا " برقيب قدوس قد نزل من السماء وهتف اقطعوا الشجرة ولكن اتركوا ساق اصلها فى الأرض " . وفسر دانيال الحلم وتحقق " يا نبوخذ نصر الملك الآن قد زال عنك الملك ثم يطردونك من بين الناس فتأوى مع حيوان الصحراء ويطعمونك العشب كالثيران الى أن تنقضى عليك سبعة أزمنه " .. وقد طرد الملك واكل العشب وابتل جسمه حتى استرخى شعره

مثل النسور وطالت أظافره مثل براثن الطيور – ويبدو أن الملك قد اصابه الجنون لفترة من الزمن ، ابتعد فيها عن الحكم .وتقولِ التوراة على لسانه " فى ذلك الحين ثاب إلى عقلى وعاد إلىّ جلال مملكتى ومجدى وبهائى وتَثَبَّتُ على عرش مملكتى وازدادت عظمتى جداً فالآن انا نبوخذ نصر أسبح وأمجد مَلِك السماء الذى جميع أعماله حق وطرقه عادله وقادر على إذلال كل من يسلك الكبرياء (دان 4 : 36 – 37).

The Hanging Gardens of Babylon



The Hanging Gardens Of Babylon

حدائق بابل

*نهاية حكم نبوخذ نصر :

مات نبوخذ نصر سنة 562 ق م بعد مُلك دام 43 عاماً . وملك ابنه آبل مردوخ من عام 562 حتى عام 560 ق م، ثم صهره نريجلاصر أربع سنوات (560 – 556 ق م) ، ثم تلا ذلك مردوخ لباشى لمدة شهرين . واستمرت الامبراطوريه البابلية من عام 556 حتى عام 539 ق م تحت حكم نبونيدوس ثم خلفه ابنه بيلشاصر بعد مشاركة أبيه فى الحكم لفترة من الزمن.

أما بيلشاصر ففى غمرة نشوته طلب أن يقدم له الشراب والخمر فى آنية هيكل سليمان الذهبية والتى استولى عليها والده وهى آنية مقدسة ، فظهرت له كتابة على الحائط،، فسرها له دانيال " احصى الله أيام ملكك وأنهاه وشطرت مملكتين واعطيت لمادى وفارس " (دان 5 : 26 – 28).

*حدائق بابل المعلقة:

وصف هيرودوت (450 ق م) مدينة بابل القديمة تحت حكم نبوخذ نصر أنها تفوق فى عظمتها جميع مدن العالم . وأن طول أسوارها الخارجية المحيطة بها 56 ميلاً وارتفاعها 320 قدماً وعرض هذه الأسوار 80 قدم، وهو إتساع يسمح لعربة تقودها أربعة جياد بأن تجرى فوقها ، أما اسوارها الداخلية فعرضها أقل لكن لاتقل متانة عن الأسوار الخارجية . وبداخل الأسوار تقبع الحصون والمعابد ذات التماثيل الذهبية الخالصه . ويرتفع فوق المدينة برج بابل ، معبد الإله مردوك الذى يطاول السماء بإرتفاعه !! . ولكن الشيىء المثير للدهشة أن هيرودوت لم يشر الى الحدائق المعلقة.

ويؤكد المؤرخون أن نبوخذ نصر هو الذى شيد هذه الحدائق المعلقة ابان فترة سيطرة بابل وقوتها . ويقال إن الملك قد أقام هذه الحدائق كهديه ولإرضاء زوجته " أميتيس " إبنة ملك مديان والذى

اقترن بها كزواج سياسى لدعم مملكته . وكانت بلاد اميتيس تتصف بالخضره والجبال الخضراء المزدهرة فكانت زوجته تتوق لأرضها خاصه أنها لم تجد فى هذه المنطقة بين النهرين الا مسطحات حارة فأراد الملك أن يبنى جبلا اصطناعيا بحدائق تعلوه كصورة للجبال الطبيعية.

ولكن هناك مقولة – اقل توثيقاً – ان هذه الحدائق المعلقه قد شيدتها الملكة الأشوريه سميرأميس أثناء حكمها الذى استمر خمسة أعوام (810 ق م). والحدائق المعلقه .. ليست معلقه بالمعنى المفهوم كما لو كانت معلقه بحبال أو (كابلات معدنيه) .. ويشير "سترابو" المؤرخ اليونانى فى القرن الأول قبل الميلاد إلى أن الحدائق قد بنيت على هيئه شرفات الواحدة فوق الأخرى مرفوعة على اعمدة ومصنوعة من الطوب والاسفلت . وهذه الشرفات مجوفة فارغة مملوءة بالطمى بكميات تسمح من ناحية العمق والكم بزراعة ونمو جميع أنواع الأشجار اليانعه التى تبهر الناظر.

ويقول ديودوروس الأثرى اليونانى إن (المصطبة) التى ترتكز عليها المبانى حجرية مغطاة بالاسفلت والخزف العازل والطين، وفوق هذا كله طبقة من الرصاص العازل للمياه المتسربه حتى لاتصل إلى الأساسات . وبعد وضع التربة وتسويتها يتم زراعتها.

ويقدر هذا المؤرخ أن طول وعرض هذه البنايات 400 قدم وارتفاعها 80 قدماً.

وحفائر كولدواى عام 1899 م توصلت إلى بعض الأسوار الخارجية لمدينة بابل والأسوار الداخلية وبعض من أساس برج بابل وقصور الملك . ونتائج الحفريات تؤكد أن الحجر لم يوجد إلاّ فى السور الشمالى للقلعة الشمالية ، ومبانى الحدائق المعلقة . وقد عثر كولدواى أيضاً على غرفة بها ثلاثة فتحات فى أرضيتها وتمثل موضع المضخات التى ترفع المياه إلى اعلى لرى الحدائقِ [Cleveleys. Co. uk].



الامبراطوريه الفارسيه

الامبراطوريه الفارسيه

(550 – 330 ق م)

جاء فى التوراة انه لما انقضى مدة مُلك الكلدانيين وجاء الوقت الذى حكم الله فيه بزوال مُلكهم والانتقام منهم كما أخبر الأنبياء ، أثار عليهم من الملوك الذين كانوا يعصونهم ملكين أحدهما " داريوس " ملك مادى والآخر " كورش " مَلك الفرس . تزوج كورش ابنة داريوس واتفقا على معصية الكلدانيين فسارا بجيش عظيم لمحاربة بلطشاصر الذى أوقف هذه الهجمة الشرسة – وكما ورد سابقاً أقام بلطشاصر وليمة عظيمة واحضر آنية الذهب والفضة التى أخذها جده بختنصر الملك من هيكل سليمان بالقدس وشرب فيها الخمر وسقى بها قواده وسراريه وخاصته . وتقول التوراه ان الله سخط على هذا الملك وأرسل ملاكاً فكتب بأمر الله على حائط المجلس مقابل المنارة كتاباً أحمر يتضمن ذكر ما حكم الله عليه وعلى مملكته فنظر بلطشاصر وشاهد شبه كف انسان واصابعه خارجه من الحائط وهى تكتب ولها نور شديد.

وفسر النبى دانيال ماجاء بهذا الوعيد باللغة العبرانية .فإغتم الملك وخاف ومضى إلى فراشه فجاء إليه خادم من خدامه فقتله على فراشه فى تلك الليلة، وأخذ رأسه ومضى به الى داريوس وكورش اللذين شكرا الله واعترفا بقدرته واكثرا تسبحته وتمجيده – ونذر كورش أنه يبنى الهيكل مرة أخرى فى اورشليم وأن يعيد تلك الآنية ويطلق سبى اليهود ويأمرهم بالعودة الى بلادهم.

ثم سار كورش وداريوس إلى " بابل " ودخلاها وقتلا جميع أهلها، ثم اقتسم داريوس وكورش مملكة الكلدانيين فأخذ داريوس مدينة بابل وتوابعها، وتسلم قصر بلطشاطر وجلس على سريره وأخذ كورش جميع مملكة الكلدانيين غير بابل واستقر الأمر بينهما على ذلك – وكان " داريوس " فى ذلك الوقت شيخاً فلم تطل حياته فلما مات اتفق عظماء مادى وفارس على أن يكون لهم ملك واحد هو كورش.

*كورش (559 – 530 ق م):

وفى السنة الأولى لحكم كورش أمر بحضور شيوخ الجالية اليهودية واخبرهم بما قد عزم عليه من إطلاق بنى اسرائيل وبناء أورشليم وإعادة بناء الهيكل ، وتزويدهم بكل مايلزمهم. فعاد بعض بنى اسرائيل ومعهم عزرا الكاهن ونحميا ومردخاى ويشوع بن صاداق وزربابل، وأعادوا بناء الهيكل وأقاموا المذبح. وكان كورش يرسل إليهم كل عام مايحتاجونه من الحنطة والزيت والخمر والبقر والغنم والمال الكثير – واستمر هذا الأمر طوال مدة حكم كورش على مملكة الفرس.

وانتصر كورش على الأمم والممالك التى حوله وفتح الحصون المنيعة . وبلغ مسامع كورش أن ملك الشطيم قد عصاه فسار إليه وقتله وقتل الكثيرين معه وهرب من بقى من اتباعه مع امرأته (توليد) وأخيه إلى بعض الحصون المنيعه، فإحتال عليهم كورش حتى خرجوا من الحصون وقتل كثيرا منهم كما قتل ابنِ ملكهم (ابن توليد) - واستباح مدنهم وجعل عليها ولاة من قِبَلِه. ولما رأت توليد أن ابنها قتل ومُلكَها قد زال ، جمعت من بقى من رجالها وكمنت لكورش وقتلته وأخذت رأسه ووضعته فى زق وملأته دماً وقالت اشرب ياكورش من الدماء التى تحب سفكها . وبذلك انتهى مُلك كورش.

*قمبيز (529 – 522 ق م):

بعد موت كورش تولى الحكم بعده ابنه قمبيز – وتوجه الى الشطيم الى توليد التى قتلت أباه فقتلها هى وجميع أفراد عائلتها – ثم سار إلى جميع من عصاه من الأمم وأخضعهم ، فقوى ملكه واستتبت مملكته ، واستمر بنو اسرائيل تحت طاعته ، وكان الفرس يحسنون إليهم ويمنحونهم الأموال لأنهم كانوا يبجلون الهيكل ويتباركون به.

*مصر والحكم الفارسى:

سبق الغزو الفارسى مباشرة، حاكم لمصر يدعى أمازيس 569 – 525 ق م الذى تولى الحكم بعد صراع مع سابقه " إبريس" الذى قتل وهو على ظهر إحدى سفن أسطوله – وكان سياسياً مراوغاً يتظاهر بإخضاع النفوذ اليونانى ولكن يعطيه فى نفس الوقت كل ما يلزمه، وخصص مدينة كميناء خاص للسفن اليونانيه تدعى " نفراتيس" على فرع النيل الكنوبي فى الدلتا، وقد كانت هذه المدينة مستعمرة يونانية صغيرة واصبحت بعد ذلك مركزاً تجارياً هاماً.

وعندما تقرر إنشاء معبد كبير بمدينة نفراتيس وردت إليه التبرعات من عدة مدن يونانية فكان بناء ضخماً شاهقاً وأطلق عليه معبد هيلينيام. ورغم القيود التي وضعها أمازيس على اليونانيين فقد كانوا يتمتعون بإمتيازات عظيمه – ولم يعتبرهم أمازيس خطراً على مصر – مما جعله محبوباً جداً عند اليونانيين وكثرت الأحاديث عن أخلاقه ومعاملاته الحسنة.

والمعروف عن أمازيس أنه لم يهمل مصالح مصر ، فكان أهالى القطرفى رخاء عظيم .. كما سيطر أسطولها القوى على قبرص . ويلاحظ أن قوه هذا الملك البحرية كانت نواة قوة مصر البحرية فى عهد البطالسة حينما سيطرت مصر على سواحل البحر الابيض المتوسط.

وبعد قيام مملكة فارس كان ضرورياً أن يتجه نظر هذه الدولة الجديدة نحو مصر .. وكان أمازيس يتوقع الغزو الفارسى ، وتوفى عام 525 قبل حدوثه ، على يد قمبيز الفارسى أبان حكم نجله بسماتيك الثالث – الذى حكم عدة أشهر.

وقد حدثت عدة محاولات يائسه للتخلص من الاستعمار الفارسى ، وأخذت مصر تضمحل تحت هذا الحكم ثم فى عهد البطالسه بعد ذلك ، وتحققت نبؤة حزقيال حيث قال " ولايكون بعد رئيس من أرض مصر" (30 : 13).

تولى بسماتيك الثالث المُلك بعد أمازيس – ثم تخلص منه قمبيز، وهكذا حلت الأسرة الفارسية السابعة والعشرون محل الاسرة السادسه والعشرين – وتناوب الملوك الفرس الحكم فى مصر، وجاء دارا الأول 522 – 485 ق م بعد بسماتيك الثالث ثم خَلفه جزركسيس 485 – 464 ق م (احشويرش) ثم ارتاجزركسيس الأول 464 – 424 ق م (ارتحششتا الأول) .ثم توالى ستة ملوك حتى عام 336 ق .م.

وفى مصر الفرعونية هبت عدة ثورات ضد الحكم الفارسى – ورغم مراعاة الفرس للمشاعر القومية المصرية ، وتحمل المصريين نير الحكم الأجنبى ، إلا أنه وفد الى مصر أجانب (برابره) تعدادهم 120 ألف رجل تحملت مصر جميع نفقاتهم وكان فى المرتبه الأولى من هؤلاء النازحين ، اليهود الذين يتكلمون الأراميه ويتمركزون فى حاميات منف وهرموبوليس والفنتين وظلت هذه الجالية على ولاء خالص لعقيدة يهوذا وعلى علاقات وثيقه بفلسطين، ومن ثم لم يذب هؤلاء

المستوطنون – الذين احتقروا معتقدات المصريين – فى الشعب الذى احتواهم ، وجلبوا على انفسهم عداء الكهنة والأهالى.

*الكفاح ضد الفرس:

وفى أواخر القرن الخامس ق م هبت الثوره ضد الحكم الفارسى وانتصرت هذه المرة وجاء إلى الحكم " اميرتى " الممثل للأسرة الثامنة والعشرين وبسط نفوذه حتى الفنتين – حيث كان اليهود فى نزاع مستمر مع المُتعصبين للإله خنوم – وظلت هذه الجالية اليهودية على إخلاصها للملك المصرى حتى عام 401 ق م واستمرت باقية أثناء حكم أميرتى (404 – 398 ق م) ولكن انمحى بعد ذلك كل أثر لها.

وظل الفراعنه يحيكون المؤامرات فى قبرص وفينيقيا والأناضول والمدن اليونانية – وإذ كان الجيش المحلى لايعتمد عليه بصفة تامة حيث كان الشك يحوم حول قياداته – لجأ الملوك انذاك لتجنيد مرتزقة من اليونانيين يعملون بعقود مع فرعون.

*الحكم الفارسى الثانى:

كان الحكم الفارسى الثانى أقصر بكثير من الحكم الأول (342 – 333 ق م)- واستطاع الجيش الفارسى الاندفاع عبر خطوط الدلتا المصرية الدفاعية واستسلمت الفرما وبوبسطه وتراجع فرعون إلى مصر العليا حيث صمد 18 شهرا (342 ق م) ثم انتقل إلى الحياة فى المنفى فى السودان (كان هذا الملك ارتاجزركسيس الثانى) – وتحولت مصر من جديد إلى اقليم فارسى يديره الحاكم " فرنداتيس " .

*نهاية الحكم الفارسى:

كان شمال مصر فى حالة غليان بتحريض من الفرعون "جناباش" مع فوضى شديدة لم يستطع معها الحاكم الفارسى أرسيس (338 – 333 ق م) ولا خليفته دارا الثالث داريوس (335 ق م) ان يعيدا النظام الى شئون البلاد – ثم ظهر الاسكندر ونصب نفسه فرعونا على البلاد عام 332 ق م.

*استير والملك احشويرش:

يروى سفر استير الظروف التى أدت إلى نجاة الشعب اليهودى فى فارس ، حين كانوا أقلية منذ إجلائهم من يهوذا قبل ذلك العهد بمائه سنة . كانت هذه الحقبه أثناء حكم الملك أجزركسيس الذى يُدعى فى التوراه أحشويرش (معناه بالفارسيه رئيس الحكام) والذى امتدت امبراطوريته من الهند إلى كوش.

كانت استير تعيش فى مملكة فارس وكان والداها من المسبيين اليهود الذين أثروا البقاء فى المنفى وعدم العودة الى يهوذا رغم أن الملك كورش أصدر مرسوماً يسمح لهم بذلك.

وفى عام 481 ق م هاجم أحشويرش بلاد اليونان وحاز أسطوله نصراً عظيماً فى " ترمبولى " لكنه انهزم فى " سلاميس " عام 480 ق م وعاد لفارس . وأقام الملك احتفالات ستة أشهر .. زهوا بانتصاراته واستعراضاً لقوته وثروته وأيضاً كى يضع الخطة القادمة لإخضاع اليونان . وفى أثناء هذه الاحتفالات طلب الملك من زوجته " وشتى " أو (أمستريس) الحضور والمشاركة فى الحفل لكنها رفضت الانصياع لأوامر الملك المخمور ، فقد كانت تعنى بابنها ارتحشتا الذى ولد عام 483

ق م وخالفت البروتوكول الملكى أمام ضيوفه العظماء فأصدر مرسوماً بتنحيتها عن الملك " وبعث رسائل إلى كل ارجاء المملكة مكتوبة بلغة اقاليمها وبلهجة شعوبها يأمر فيها أن يكون كل رجل السيد المطاع فى بيته " (استير 1 : 22) – وطردت وشتى من القصر لكن ورد اسمها فيما بعد على أنها (الملكه الأم) إبان حكم ابنها ارتحشثتا.

ونصح رجال الملك أن يقوم البحث لاختيار امرأه أخرى له . " ليجر بحث عن فتيات عذارى بارعات الجمال من أجل الملك ، وليعهد الملك إلى وكلائه فى كل أرجاء المملكة حتى يجمعوا الفتيات العذارى الفاتنات إلى جناح الحريم فى شوشن القصر حيث تقدم إليهن الدهون المعطره، والفتاة التى تروق للملك تصبح ملكة محل وشتى " (استير 2 : 2 – 4) . وحازت استير رضاء الملك وتوجها ملكة بدلا من وشتى.

أما استير فقد كانت يتيمة الأبوين ، وأشرف على تربيتها ورعايتها ابن عمها " مرداخاى " المنتمى لإحدى العائلات اليهوديه فى السبى.

وفى تلك الأيام قام الملك بتعيين وزير يدعى " هامان " ورفع منزلته وأمر الشعب بالانحناء أمامه – ولما ولى هذا الرجل ظاهر اليهود بالعداوة لأنه كان من نسل العمالقة الذين كان بينهم وبين اليهود عداوة قديمة بسبب شاول ملك اسرائيل الذى غزا العمالقة وقتل الكثيرين منهم . واشتدت العداوة بين العمالقة واليهود خاصة قبيلة بنيامين التى كان شاول ينتمى إليها .

وكان مردخاى يقيم بالقرب من إستير الملكة لمراعاتها – وصارت هناك عداوة بينه وبين هامان بسبب عدم احترامه للأخير والانحناء أمامه – فحقد عليه خاصة أن مردخاى من سبط بنيامين ، وتجددت فى نفس هامان العداوه القديمه وبدأ يعمل ليس للتخلص من مردخاى فقط ولكن من اليهود كافة .

واتفق أن خادمين من خدام الملك احشويرش دبرا لقتل الملك والصاق هذه الجريمه باليهود، فوقف مردخاى على تدبير الخادمين وأخبر استير ابنة عمه بذلك فأبلغت الملك الذى تأكد من مصداقية المؤامره، فأمر بقتل الخادمين وان تكتب قصه وفاء واخلاص مردخاى فى كتب تاريخ المملكه.
عظم ذلك على هامان لحقده على مردخاى ولأن الخادمين كانا من أصحابه ورفقائه فإزدادات عداوته لمردخاى وخطط لإهلاكه.

ورأى مردخاى حلماً مفاده أن الأمه اليهوديه فى خطر – فأخبر ابنة عمه استير برؤياه وأن دورها قد بدأ وعليها أن تقصد الله وتسأله الرحمه وان تدخل للملك وتستعطفه وتجتهد لخلاص قومها .
ونفذت استير ماطلبه منها مردخاى واستطاعت أن تستميل الملك إلى جانب شعبها فسمع استعطافها واستجاب الى طلبتها – وتم خلاص شعبها .. وهلاك هامان.

وكان اليهود بعد ذلك فى طاعة الفرس آمنين – الى أن حارب داريوس الثانى اليونانيين وتمكن منهم وقهرهم .. واستمرت الاوضاع الى أن ملك الاسكندر بن فيليب المقدونى وانتصرت جيوشه على داريوس الذى هلك وغلب الاسكندر على المملكه.

الفصل الثالث

العودة من السبىّ

فى سنه 538 ق م أصدر كورش مرسوماً بالعفو عن اليهود فى السبى والسماح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل (2 اخ 36 : 22 ، عز 1 : 1)، واعاد لهم أوانى الهيكل التى اغتصبها نبوخذ نصر.

*نبوءات الأنبياء حول العودة من السبى:

- سقوط بابل والعوده (اشعياء 17 : 4) و (دانيال 9: 1).
- سقوط بابل على يد مادى وفارس (دانيال 5 : 8)-
- صاحب قرار العفو هو كورش (اشعياء 44 : 28 ، 45 : 1).
- كورش الفأس التى تسحق بابل (ارميا 51 : 20).
- سيقضى الشعب 70 سنه فى بابل ثم يعودون (ارميا 29 : 10)

وإن تحققت لهذا الشعب سبل العوده الاَّ أن الكثير منهم رفضوا العودة وفضلوا البقاء فى ارض المنفى لرعاية مصالحهم الخاصة . فقد كان منهم من تقلد الوظائف الحكومية فى بابل وفارس ومنهم من حصل على مناصب عليا فى الدوله، فإستير اصبحت ملكه فارسية ، ونحميا حامل كأس الملك ، وفى قصر الملك عاش دانيال ورفاقه الثلاثه – وكان للشعب هناك ملكيات زراعية خاصة وتجارة ناجحة وبسبب هذا الوضع المستقر لم يكن من السهل ترك الواقع المريح والسعى وراء مغامرة العوده ومشقة السفر .. وتحمل الحياة الجافه الشاقه فى مدينه اورشليم الخربه ، والتضحيات الماديه المطلوبه لإعادة الحياة الى المدينة.

*واقع اليهود اليوم:

واذا تأملنا واقع اليهود فى العالم فى يومنا هذا فالصوره متطابقه إلى حد بعيد فتعداد يهود العالم 14.5 مليون نسمة ، بينما يهود اسرائيل حوالى5.5 مليون وبذلك تبلغ نسبة اليهود فى اسرائيل الى يهود العالم حوالى 37٪ (1992) ومعظم اليهود حالياً يعيشون فى العالم الغربى خاصة الولايات المتحدة الامريكية وإن وُجِدوا خارج هذا العالم الغربى فيوجدون فى بلاد لها ماض استيطانى مثل جنوب افريقيا واستراليا ، بذلك يتضح أن معظم يهود العالم فضلوا البقاء حيث هم، ويكتفى الصهيونى منهم بدعم المستوطن مالياً وسياسياً لكن عن بعد ، بذلك ينادى بالتوطين لليهود دون أن يساهم بنفسه فى عملية الاستيطان لانه ليس لديه الاستعداد للتضحية من اجل هذه الدوله غير المستقره سياسياً وعسكرياً وترك الأوضاع المتميزه والشركات والمصارف وتجاره السلاح والمخدرات وسائر الأنشطة التجارية التى تفوقوا فيها.

والمتأمل فى الظروف التى سادت اوروبا فى القرن العشرين من حروب وثورات أيدلوجيه وتغيرات اجتماعيه واقتصاديه، مع الدور المتنامى لليهود انذاك فى هذه المنطقة والضغوط التى بدأوا يمارسونها ضد الحكومات ، (مع فرضية أن هذا الشعب غير محبوب ويتمتع بأخلاقيات متدنيه كألربا والدعارة والشذوذ الجنسى) .. كل هذا ادى الى الرغبه فى التخلص من هذا الشعب والقذف به

بعيداً الى أى موقع ومساعدته على قيام دولته ، وتم دق الاسفين فى العالم العربى بفلسطين ، بوعد بلفور الذى صدر بمساعدة أقطاب السياسه فى أوروبا وبريطانيا ذوى الاصول اليهوديه .

هل كان مرسوم كورش بعودة اليهود الى فلسطين قد تم للتخلص منهم لأسباب مشابهه لما حدث فى اوروبا فى القرن العشرين ؟؟ قد تكون هناك اهدافُ جليه أولها كسب ولائِهم وثانيا ليضمن وجود مناطق آمنة حول حدود امبراطوريته حاجزة للهجمات من الجنوب. لهذا شجع على قيام هذه الدوله لتكون دولة وظيفيه لخدمته كما هو الحال الآن ، بقيام دوله اسرائيل لتكون دولة وظيفيه لخدمة المصالح الصهيونيه والامبرياليه.

*العودة بقيادة زربابل (537 ق م) (عزرا 1 : 1 ، 6 – 25):

بعد انقضاء سبعين عاماً فى المنفى ، سمح كورش للمسبيين من يهوذا بالرجوع الى وطنهم وقام بهذه الرحلة مايقرب من خمسين ألف شخص - ورغم أن تصريح كورش بالحريه شمل كل الاثنى عشر سبطاً لكن لم يستجب لهذا النداء سوى يهوذا وبنيامين – أما الاسباط العشره من المملكه الشمالية فقد مزقتهم آشور وشتتتهم ومضى وقت طويل على سبيهم فأصبح الكثيرون منهم غير متمسكين بتراثهم ولم تكن لديهم رغبه فى مشاهده إعادة بناء الهيكل.

قاد زربابل أول جماعة من المسبيين من بابل إلى اورشليم – وفى التوراه (سفر عزرا 1 : 5 – 11) " فهب رؤساء بيوت يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويين كل من نبه الرب قلبه ليرجع الى اورشليم لبناء هيكل الرب هناك ، وأمدهم جيرانهم بآنية فضة وذهب وبأمتعة ودواب وتحف فضلاً عما تبرعوا به ، وأخرج كورش أنية بيت الرب التى كان الملك نبوخذ نصر قد غنمها من هيكل أورشليم ووضعها فى مذبح آلهته . وأمر الخازن أن يعدها لشيشبصر رئيس يهوذا فكانت فى جملتها ثلاثين طست من الذهب وألف طست من الفضة وتسعة وعشرين سكينا وثلاثين قدحا من ذهب وأربعمئة وعشرة من الأقداح الفضية وألفاً من الآنية الأخرى. فكان مجموع آنية الذهب والفضة خمسة الآف واربعمائه حملها شيشبصر كلها معه عند اطلاق سراح المسبيين من بابل ورجوعهم إلى أورشليم ".

وشيشبصر قد يكون اسماً بابليا لزربابل لعدة أسباب (1) ان كليهما يطلق عليه اسم (وال) (عزرا 5 : 14 ، حج 1 : 1) (2) يوصف كلٌ منهما بأنه (رئيس أو قائد) (عزرا 1: 8 ، 2 : 2) (3) كل منهما وضع أساسات الهيكل (عزرا 3 : 8 ، 5 : 16) (4) كان يطلق على اليهود فى السبى اسماء بابليه (دانيال 1 : 7).

*بناء الهيكل الثانى:

كانت الأموال التى قدمت تكفى للشروع فى إعادة بناء الهيكل – لكن كان من المستحيل أن يضارع هذا الهيكل روعة هيكل سليمان ، فقد كانت الموارد التى جمعها داود للبدء فى بناء هيكل سليمان تبلغ ألف ضعف هذه (1 أخ 22 : 14) وقد بكى بعض الشعب عندما تذكروا هيكلهم الأول الذى دُمر.

كان أول الأعمال التى قام بها اليهود بناء المذبح الذى كان يمثل حضور الله وحمايته لهم – وقدم زربابل محرقات بحسب شريعه موسى (لا 1 : 7) فقد كان الشعب بحاجة لإرشاد الله ويلتمسون الغفران.

كما كان الهدف بناء الهيكل قبل أسوار المدينه لتيقنهم بأن أقوى الأسوار الحجرية لايمكن أن تحميهم إن لم يكن الله معهم.

استمر الاستعداد لبناء الهيكل من سبتمبر إلى يونيو (عزرا 3 : 1) وفى تلك الأثناء بُنى المذبح.

وتمت إعادة بناء الهيكل بعد سبعين سنه من تدميره (516 ق م) – وحيث أن الهيكل الجديد بُنى على أساسات هيكل سليمان فيبدو أن المبنيين لم يختلفا فى الحجم لكن القديم كان أكثر روعة وزخرفة – كان الهيكل القديم يشرف على مدينة زاهره أما هيكل زربابل فكانت تحيط به الخرائب – وقد استغرق بناء هيكل سليمان سبع سنوات أما الهيكل الثانى فقد استغرق أربع سنوات.

وقد حاك اعداء يهوذا وبنيامين مؤامرة لتعطيل إتمام بناء الهيكل وكان هؤلاء يأملون أن ينجحوا فى إعاقة هذا البناء ويحولوا دون أن تصبح أورشليم مدينه قوية مرة أخرى . وقد أرسل المعارضون من السامرة وسكان عبر نهر الفرات رسالة الى الملك ارتحشاشتا يحذرونه من اليهود فى رسالة طويلة جاء فى آخرها " ونحن نحذر الملك أنه إذا أعيد بناء هذه المدينه واستكملت أسوارها فإنك تفقد كل ما تملك عليه فى عبر نهر الفرات " (عزرا 4 : 16).

وكان رد الملك " أصدرت أمرى بالبحث عن تاريخ هذه المدينه ، فوجدت أنها كانت منذ الأيام العابرة دائمة الثورة على الملوك ومهداً للتمرد والعصيان وقد تولى عرش أورشليم ملوك مقتدرون تسلطوا على جميع منطقة عبر النهر التى أدى أهلها لهم جزية وخراجاً ، والآن إصدروا أمراً إلى هؤلاء بالكف عن بناء هذه المدينة حتى يصدر أمر منى " (عزرا 4 : 19 – 21).

وتم إيقاف البناء بالقوة حتى السنة الثانية لمُلك داريوس . وفى هذا الوقت بينما كان الحوار الرسمى مع السلطة الآشورية والقرار لايزال موضع دراسة استمر اليهود فى اعادة البناء.

وناشد اليهود داريوس أن يبحث فى سجلات المملكة ليتأكد من أن هناك مرسوماً ملكياً بإعادة بناء الهيكل ، ولما عثر على هذا المرسوم – أمر الملك داريوس بإعادة البناء والاستمرار فى بناء الهيكل وهدد كل من يتعرض لذلك . (عزرا 6: 7 – 12).

*العودة بقيادة عزرا (458 ق م):

بعد ثمانين سنه من عودة أول جماعة من المسبيين الى اورشليم رجع عزرا ، وكانت أول رحله له واستغرقت أربعة أشهر وكان الهيكل قائما منذ نحو 58 سنه . وكان على عزرا أن يستأذن ملك فارس فى أمر عودته خاصة أنه أراد أن يقود عدداً كبيراً من اليهود فى العودة الى اورشليم ، وكان فى حاجة إلى مرسوم من الملك يعلن موافقته على عودة من يرغب من اليهود – فكان هذا المرسوم بمثابة جواز سفر . وقد رافقه فى العوده نحو الفى رجل وعائلاتهم . وقد خطّ الملك ارتحشاشتا رسالة يكلف عزرا فيها بتنفيذ برنامج للتعليم الدينى .. ثم العوده بهذا التقرير إليه.

تقول التوراه ان رسالة عزرا كانت رسالة روحية ، وكان له تأثيرُ فعالِ مكنه أن يقنع الشعب بالصوم والصلاة – كما حارب الزواج المختلط .. فقد تزوج بعض اليهود زوجات وثنيات وقد بلغ به التعصب العنصرى انه طلب ممن تزوج من نساء غريبات عليه ضرورة الانفصال عنهن وإلاّ يتم حرمانه – مما يعنى فقدان الحق فى أرضه ، لضمان ألاَّ يرث الآبناء الوثنيون مايعتقد انها ارض بنى اسرائيل .

*العودة بقياده نحميا 445 ق م:

سفر نحميا هو آخر الاسفار التاريخية فى العهد القديم وهو يسجل تاريخ عودة الجماعة الثالثة من المسبيين إلى اورشليم . وكان نحميا يعمل فى مدينة شوش كمساعد للملك . ورغم أن اليهود اكملوا بناء الهيكل فى عام 516 ق م فإن أسوار المدينة ظلت متهدمة طيلة سبعين سنه تالية، وكانت تلك الأسوار تمثل القوة والحماية والجمال لمدينة أورشليم كما كانت الحاجة إلى هذه الأسوار ماسة لحماية الهيكل من الهجوم عليه مرة أخرى – وإذ يسمع نحميا هذه الأخبار عن حالة السور يستأذن ملك فارس فى الذهاب إلى اورشليم ويستنهض الشعب للشروع فى بناء هذا السور.

وكان نحميا قائداً للأمة التى افتقدت الزعامة والقيادة فى ذلك الوقت ، فشرع فى بناء اساسيات الحكم فاهتم باحتياجات الشعب المادية واقامة نظام عادل للحكم ، واعادة البناء الروحى لهذا الشعب المحطم.

*بناء أسوار أورشليم:

وبظهور نحميا فى اروشليم بدأت المقاومة من المحيطيين بالمدينه واهمهم حكام السامرة الذين اعتبروا بناء أسوار اورشليم تهديداً لكيانهم ونفوذهم الذى بسطوه على يهوذا بعد السبى . كما تخوفوا من كثرة العائدين إلى أورشليم مع حتمية استقلالهم وقيام حكومة خاصة بهم لذلك وصف (سنبلط وطوبيا) من زعماء السامريين هذا الموقف بأنه تمرد وحاولا إيقاف العمل فى بناء السور بالقوة ، فوضع نحاميا خطة للعمل فكان نصف الرجال يعملون بينما كان النصف الآخر يقفون خلفهم لحراستهم. وعلى لسان نحاميا فى سفْره " أخذ نصف رجالى يعملون والنصف الآخر يمسكون بالرماح والاتراس والقسى والدروع .. أما حاملوا الأحمال فكانوا يعملون باليد الواحدة ويمسكون السلاح باليد الأخرى – وتقلد كل بانٍ سيفاً على جنبه بينما نافخ البوق إلى جوارى "

(4 : 16 – 18) . أما عن نافخ البوق فهو كصوت انذار يدعو الى التجمع والاستنفار عند اللزوم.

وأمر نحميا كل كاهن بترميم السور مقابل بيته بالإضافه الى أجزاء أخرى ، وكان لهذا أثره فكان يتم البناء بعنايه دون إضاعة وقت فى الانتقال إلى أجزاء بعيدة عنهم وبذلك جعل بناء السور جهداً عائليا والدفاع عنه بمثابة الدفاع عن البيت قبل الوطن ، فمزج نحميا الفائدة الشخصية مع أهداف الجماعة .. مما جعل كل فرد يؤمن بأن مشروع بناء السور يخصه شخصياً.

وعندما لم تفلح القوة فى منع قيام السور ، لجأ السامريون إلى الهجوم على شخص نحميا بالاشاعات (6 : 6) والخداع (6 :10– 13) والتقارير الكاذبة (6 : 17) وفى تلك الأيام تنبأ أنبياء مثل ملاخى عن مجىء المسيح المنتظر (ملاخى 3 : 1 – 3) ، وحاول سنبلط كعادته فى إثارة المتاعب أن يجعل الشعب يثور ضد نحميا بإدعاء أن نحميا يريد أن يجعل من نفسه المسيح . كما حاول إثارة السلطات ضده بالكتابة الى ملك فارس يحذره من شروع نحميا بالقيام بثورة . لكن باءت كل هذه المؤامرات بالفشل.

" وارتفع صراخ الشعب ونسائهم بالشكوى احتجاجاً على اخوتهم اليهود المستغلين " (نحميا 5 : 1). كان هؤلاء اليهود المستغلون هم الذين أثروا فى السبى أو العائدون الأول الذين أنشأوا أعمالاً ناجحة ، ورغما عن ثراء هؤلاء الا أنهم استغلوا حاجة وفقر اخوتهم فكانوا يقرضونهم أموالاً وعندما يعجزون عن السداد ، يستولون على أراضيهم – ويضطر المدينون إلى بيع أبنائهم عبيداً لسداد الديون والربا الفاحش . ووقف نحميا ضد هذا التيار المستغل . بهذا يكون الربا سمة من سمات

اليهود عبر التاريخ منذ نشأتهم وحتى الآن. علما بأن الربا محرم تحرّيما شديدا في اليهودية والمشكلة انهم جعلوه مباحا مع الأغيار.

*اسرائيل وثقافة بناء الأسوار:

مازال تمسك الاسرائيليين ببناء الأسوار العازلة قائماً الى الآن بالرغم من قوة اسرائيل العسكرية وترسانتها النووية وبعد التاريخ الطويل لبنى اسرائيل ومع بداية القرن الواحد والعشرين الميلادى ، تقوم اسرائيل ببناء الجدار الفاصل فى الضفة الغربية –وتدعى اسرائيل أن هذا الجدار سيحميها بنسبة 100٪ من الهجمات الانتحاريه الفلسطينيه – كما حدث فى غزه والأردن فى المناطق التى شيد فيها حاجز مماثل . كما تدعى اسرائيل أن هذا الجدار لايعنى رسم حدود لدولة فلسطين المرتقبه إلاّ ان البعض يعتقد أن هذا سيكون بالفعل . ويتم بناء الجدار على الخط الأخضر الفاصل ولكن لأن سمك الجدار 40 متراً فسيبنى داخل الخط الأخضر فى ناحية الضفه الغربية على حساب الاراضى الفلسطينيه – وهو طمع وجشع الأقوى.

وأكثر من هذا أن هذا الجدار يضع بعض المستعمرات على الجانب الخاطىء لذا تحول مساره ليحيط بهذه المستعمرات ويضمها الى الجانب الاسرائيلى مما يجعل طول السور 700 كم علماً بأن طول الجبهه على الحدود بين اسرائيل والضفه الغربيه 263 كم فقط .

أما الطامة الكبرى فهى عند مدينة القدس حيث يدخل الجدار الى الجانب الشرقى لتلتهم اسرائيل القدس وتضمها بالكامل . والمسار داخل أورشليم يعزل حوالى 55 ألف فلسطينى داخل اسوار هذا السجن ويقطع أرزاقهم وتجارتهم كما يؤثر على النواحى الصحيه والتعليمية والتواصل الأسرى – يحدث هذا أيضاً فى عدة مدن ومواقع يحيط بها هذا السور، والمشكلة حول القدس تتعقد أكثر إذا علمنا أن 35٪ من اراضى القدس الشرقية قد تم ضمها لإسرائيل منذ عام 1967 .

ولقد خطط الاسرائيليون ليكون سمك الجدار 40 متراً لأن مدى بنادق الكلاشنكوف التى يستعملها الفدائيون هو 45 مترا .ويتكون هذا الجدار من عدة حواجز بعضها أهرام من الاسلاك الشائكة وطرق ترابية ثم سور عال من الأسلاك يليه طريق آخر ممهد للدوريات العسكرية .. مع منظومة متقدمة لكاميرات المراقبة.

وهذا يُظهر أن السور ليس مجرد حائط اسمنتى لكنه بناء متعدد المراحل بسمك 40 متراً يجعل المرور من خلاله . دون اكتشاف – مهمة شاقة وقد تكون مستحيلة.

*أبواب أورشليم:

كان لأورشليم اثنا عشر باباً . ويسجل سفر نحميا 3 قيام نحميا ببناء أبواب المدينه وبدأ " بباب الضأن " الذى تدخل منه الذبائح و " باب السمك "نسبة لتجار السمك " والباب العتيق " (ارميا 31 : 38) ، " وباب الوادى " المقابل لوادى هنوم " وباب الدفن " (التطهير) " وباب العين " قرب بركة سلوام " وباب الماء " " وباب الخيل " الذى يدخل من خلاله الملوك ، " وباب الشرق " وهو المدخل الرئيسى من جبل الزيتون " وباب العد " (الحصر) وكذلك " باب افرايم"

" وباب السجن " (نحميا 12 : 39) . وانتهى البناء فى اثنين وخمسين يوماً .

وكانت هذه الأبواب متعدده لأن المدينه كانت كبيره كما كانت فى ملتقى طرق عديدة – وكان السور على جانبى كل باب من هذه الأبواب الخشبية الضخمة اعلى وأكثر سمكاً حتى يستطيع الجنود

الاقامة فوقها للدفاع عنها.

ويقدم اليهود فى التوراه صورة عن أنفسهم وهم يعيشون منذ حكم الفرس كجزء من امبراطوريات متعدده متعاقبة وسط تيارات من عبادات وثنية مع أخلاقيات متدنيه ، بينما ظلوا هم فى هذه الفترة متمسكين باصلاحات عزرا ونحميا – واصبح هيكل زربابل مركزاً للعبادة والاحتفالات الدينية . ومع استقرار الحاله الاجتماعية والدينية أصبحت اورشليم مركز جذب لليهود فى الشتات.

فى هذه الفتره استبدل الاسم الاسرائيلى واصبح اليهودى ولم يعد هناك أثر لمدنهم الشهيره مثل بيت ايل وشيلوه.

وتزايدت سلطة رئيس الكهنة حتى أصبح بعض رؤساء الكهنة زعماء سياسيين، ولما اخذت الشريعه وضعها واهميتها ظهرت فئة الكتبة (1 اخ 2 : 55) ومهمتها نسخ الشريعة وتفسيرها ولكن مع الوقت أصبحوا متزمتين واثقلوا الشعب بفتاويهم.

الفصل الرابع

الامبراطوريه اليونانيه

الإسكندر الأكبر

كان فيليب أبو الإسكندر ملكاً عظيماً من ملوك اليونان وكان قد قهر العديد من الأمم ودام ملكه ست سنوات ثم قُتل على يد أحد قواده ويدعى " فارس " . وفارس هذا أحب إمرأة فيليب وفى إحدى المواقع الحربية انفرد وجماعته بفيليب وقتله ، وعند عودة الإسكندر من مواجهة عسكريه وجد أباه صريعاً وأمه أسيرة فى يد فارس فقتله . وملك الإسكندر وهو ابن ست عشرة سنه .

*نشأة الإسكندر:

أخذ الإسكندر الحماس والجراءة عن والده فيليب ، وحدة طبع أمه اولمبياس والتى كانت تَدْعِى الانتساب إلى " أخيل "، من اجل هذا كان الإسكندر يهوى الإلياذه ويفتتن بها وكان يفسر عبوره " الهلسبنت " بأنه تتبع لخطوات أخيل نفسه ، واستيلاءه على غرب آسيا بانه إتمام للعمل الذى بدأه جده فى طرواده – وكان خلال حملاته العسكرية يحتفظ معه بنسخة من الإلياذه عليها تعليقات بقلم أرسطو وكثيراً ماكان يضعها تحت وسادته أثناء نومه بجوار خنجره .

وكان ليونيداس مسئولاً عن التربيه الجسمانيه لهذا الفتى بينما علمه ليسموخوس الأدب ، أما ارسطو فقد كان له دور هام فى تكوين عقل الإسكندر وأفلح فى أن يجعل منه رجلاً هلينياً يعجب بالأدب اليونانى خاصة والحضارة اليونانيه عامة. وكان الإسكندر من الناحيه الجسمانيه شاباً مثالياً يجيد معظم الألعاب الرياضيه فكان عداءً وفارساً ومبارزاً ورامياً للقوس وصياداً بارعاً – وكان والده فيليب يقول له " أى بنى ، إن مقدونية لا تتسع لك فإبحث لنفسك عن امبراطورية أوسع منها وأجدر بك " .

وكان مولعاً بالعمل الشاق قليل النوم – معتدلاً فى طعامه وشرابه لذلك كان وسيماً وضاء الوجه أزرق العينيين غزير الشعر وهو اول من أدخل عادة حلق اللحية فى أوروبا.

جاء هذا الوصف للإسكندر فى كتاب ول ديورانت " قصة الحضارة " أما المؤرخ اليهودى يوسيفوس فيصفه وصفاً مغايراً فيذكر أن وجهه كان كوجه الأسد وكانت عينه اليمنى سوداء تنظر الى أسفل بينما عينه اليسرى كلون عين السنور تنظر إلى فوق وكانت أسنانه دقاقا حادة مثل أسنان الكلاب .

وكان الإسكندر مولعاً بجميع أنواع المعارف ومحباً لقراءة جميع أنواع الكتب . كتب إلى أرسطو معلمه يقول " خير لى أن أتفوق على غيرى فى العلوم من أن اتفوق عليهم فى اتساع المُلك وقوة السلطان " وكان عاطفياً سريع الإنفعال شديد التأثر بالشعر والموسيقى فقد كان يعزف على القيثارة وتحول عنها الى الاستماع للموسيقى العسكرية . كذلك كان يتمسك بالفضيلة ويبتعد عن الزنى . اما عن النواحى العسكرية فقد اكتسب حب جنوده بعطفه عليهم واحساسه بجراحهم ، فإقتحموا معه المخاطر وسايروا طموحاته .. ورغبته فى مواجهة العقبات التى كانت تبدو مستحيلة وحولها الى انتصارات.

ويوصف الإسكندر بأنه كان ادارياً حازماً وقد حكم مملكته الواسعه حكماً حازماً رفيقاً وكان يعنى بالعهود التى يقطعها على نفسه لقواد الجند المهزومين وللمدن المستسلمة ولم يسمح لرجاله أن يظلموا رعاياه أو يستبدوا بهم .

وكان هدفه الأسمى ضم شرق البحر المتوسط فى وحدة ثقافيه جامعة تسيطر عليها وتسمو بها حضاره بلاد اليونان الآخذه فى الازدهار .

*غزوات الإسكندر:

حين ارتقى الإسكندر العرش الفى نفسه على رأس دولة متصدعة . فقد ثارت المدن الشمالية وطردت الحاميات المقدونية من بلادهم . أما فى فارس فكان ارتحشتا الثالث يفخر بأنه كان له يد فى قتل فيليب وأن بلاد الفرس لاتخشى من هذا المراهق الذى ورث الملك فى العشرين من عمره . وواجه الإسكندر هذه التمردات فقضى اولاً على المقاومة الداخلية وألقى القبض على زعماء المتآمرين – ثم اتجه بجيوشه نحو بلاد اليونان التى أسرعت وقدمت له الولاء ، فألغى جميع الحكومات الدكتاتورية وأمر أن تعيش كل مدينة حرة حسب قوانينها.

واتجه بعد ذلك شمالاً وزحف بجنوده حتى وصل إلى موضع مدينه بوخارست الحالية ورفع علمه على ضفة الدانوب الشمالية.

واثناء تواجده بجوار بلاد العرب راجت إشاعه بمقتله ، فحدثت انتفاضة فى مدن طيبه وأثينا ضد الحامية المقدونية ، وانضمت بلاد فارس إلى اليونان فى محاولة للتخلص منه – فزحف الإسكندر مرة أخرى نحو الجنوب وهاجم بلاد اليونان واخضعها مره أخرى وظل طوال حياته يظهر دلائل الحب والاحترام لأثينا .

*غزو فارس:

بدأ الإسكندر غزوه للامبراطوريه الفارسية فى ظروف صعبة فكانت خزائن الدوله تكاد أن تكون خاويه ، وكان يعلم أن نصف بلاد اليونان تتمنى له الموت – كما نقل إليه رجاله أن فى مقدور فارس أن تحشد لقتاله ألف الف رجل . أما هو فلا تزيد قواته عن ثلاثين ألفاً من المشاه وخمسة الآف من الفرسان – لكنه لم يعبأ بهذا الفرق بين القوتين بل ترك اثنى عشره الف جندى بقيادة انتباتر لحراسة مقدونية ومراقبة بلاد اليونان.

وبدأ فى عام 334 ق م رحلته الى الشرق بجيشه وعند "رأس سجيوم " ترك جيشه وسار بمفرده فى طريق كان يعتقد أن اجا ممنون أحد ابطال الإلياذه سار فيه الى طرواده مردداً فقرات منها ، وعندما وصل الى قبر " اخيل " المزعوم صب عليه الزيت ووضع عليه تاجاً من الزهور وسعى عاريا حوله كما كان يفعل الأقدمون (ول ديورانت).

والتقى عند " اسوس " بجيش الفرس الرئيسى وكان قوامه 600.000 مقاتل يقودهم دارا الثالث وكسب المعركة .

ثم استولى على دمشق وصيدا بدون قتال ، أما صور فقد كانت محصنة بأسطول فينيقى قوى استأجره الفرس لحماية المدينة فكانت المقاومة عنيفة لكنه استطاع الاستيلاء عليها ولعقاب تلك المدينه ترك رجاله يذبحون ثمانية الآف من أهلها ويبيع ثمانين ألف كعبيد.

ثم استسلمت أورشليم بدون مقاومة فأحسن معاملتها – أما غزة فقد اشتد القتال بها وقتل كل رجالها.

*اخضاع مصر:

وواصل المقدونيون زحفهم مخترقين صحراء سيناء إلى مصر وبحكمته المعروفه عظم الإسكندر آلهة المصريين فرحب به أهلها ورأوا فيه منقذاً يحررهم من يد الفرس .ثم واصل المسيرة إلى واحة سيوه وقدم الطاعة الى الإله آمون .. وتوَّجه الكهنة فرعوناً على مصر ومهدوا بذلك الطريق لأسرة البطالمة – ثم عاد إلى وادى النيل وقرر بناء عاصمة جديدة له وتم اختيار موقعها عند أحد مصاب النيل بالبحر المتوسط ، وربما اختار هذا المكان اليونانيون المقيمون فى نقراطس (نقراش) بهدف تنميه التجاره بين مصر واليونان.

*الطريق إلى آسيا:

ثم عاد بجيشه الى آسيا والتقى قرب أربيل بجيش دارا فقهره وقتل دارا ، وخضعت بابل للإسكندر .

ثم واصل الزحف فوق الجبال فى الشتاء القارص ليستولى على " برسيوليس " ووصل بسرعة عظيمة الى قصر دارا قبل أن يستطيع الفرس إخفاء الكنوز الملكية التى استولى عليها ودك المدينه دكاً .

*الطريق الى الهند:

وفى عام 327ق م اخترق جبال الهمالايا لينقض على الهند . عبر نهر السند وهزم الملك بورس لكن جنوده ابوا أن يواصلوا الزحف حتى نهر الكنج وفشل فى إقناعهم – وبدأ رحلة العودة وشق طريقه وسط قبائل معادية له .

وعند مدينة " ماليا " تسلق اسوار المدينه هو وإثنان من جنوده وقفز داخل المدينه فوجد نفسه محاطاً بالأعداء ، حاول المقاومه حتى سقط على الارض مثخناً بالجراح ، واقتحم جنوده أسوار المدينة وحاولوا انقاذ مليكهم الملقى على الأرض – ثم حمل الإسكندر الى خيمته – وبعد قضاء ثلاثة أشهر فى النقاهه – بدأ الزحف من جديد بمحاذاة نهر السند حتى وصل آخر الأمر الى المحيط الهندى ، وهناك ارسل قسماً من جيوشه بطريق البحر الى بلاده ، وقاد الإسكندر بنفسه بقية الجيش متجهاً نحو الشمال الغربى بمحاذاة ساحل الهند مخترقاً بلوخستان وقاسى جنوده فيها ماقاسته بعده جنود نابليون اثناء ارتدادهم من موسكو فقد مات الآلاف من الحر والعطش.

*النهايـة:

اختلت موازين عقل الإسكندر من كثره مالاقاه من الاهوال وأخذ يحلم بمزيد من الحروب والانتصارات ووضع خططاً لفتح بلاد العرب وبحر قزوين وكان يعمل على الاستيلاء على أوروبا حتى روما .. غير أن إدمانه الخمر ومالاقاه من تعدد المعارك أضعف بنيته كما عانى الأزمات النفسيه من تمرد جنوده ومن مقتل صديقه الحميم هفستيون – ومن كثرة الشراب انتابته حمى عشرة أيام ثم مات فى اليوم الحادى عشر فى الثالثه والثلاثين من عمره . ويقال إنه طلب قبل وفاته بأن تبسط يداه خارج نعشه دلالة على أنه ترك الدنيا وهما فارغتان رغم استيلائه على معظم دول العالم المعروفة فى زمنه.

*أقوال حول الإسكندر بعد وفاته:

بعد موت الإسكندر طلب " فيليمن " الوزير من الحكماء أن يقول كل واحد منهم كلمته للتعزية والعظة : وهذه بعض ماقيل :

فيليمن الحكيم: " هذا يوم عظيم العبر أقبل من شره ماكان مدبراً، وأدبر من خيره ماكان مقبلاً – فمن كان باكياً على من زال ملكه فليبك" .

أفلاطون : أيها الساعى المغتصب جمعت ماخذلك وولى عنك ، فلزمنك أوزاره وعاد على غيرك هناؤه .

أرسطو : صدر عنا إسكندر ناطقاً وقدم علينا صامتاً.

ثاون : قل لرعية إسكندر هذا يوم ترعى الرعية راعيها.

لوطس : لاتعجبوا ممن لم يعظنا فى حياته فصار بموته لنا واعظاً.

مطرن : قد كنا أيها الشخص بالأمس نقدر على الاستماع منك ولا نقدر على القول فهل تسمع الآن ما نقول.

سيسينوس : أمات هذا الشخص خلقاً كثيراً كيلا يموت ، فمات فكيف لم يدفع الموت بالموت.

ديمطر : يامن كان غَضَبه الموت لم لا غَضِبت على الموت .

فليكتون : ان دنيا تكون هذه آخرتها فالزهد فى اولها أولى .

قال آخر : لم يؤدبنا إسكندر بكلامه كما ادبنا بسكوته .

قال آخر : سيلحقك من سَرَهُ موتك كما لحقت من سرك موته

قال آخر :

قال آخر : ايها الجمع لاتبكوا على من جاز البكاء عنه بل فليبك كل امرء منكم على نفسه.

عهدى بك فى أرحب البلاد ، فكيف صبرك الآن على ضيق المكان.

قال آخر : كنت مغبوطاً فصرت مرحوماً ولئن كنت مرتفعاً فقد اصبحت متضعاً.

قال أخر : كفى العامة اسواء بموت الملوك وكفى الملوك عظمة بموت الشعوب .

قال آخر : ما اتعظ الإسكندر بعظة هى ابلغ من وفاته .

قال آخر : كنت تقدر على الاحسان ولا اقدر انا على الكلام واليوم أقدر انا على الكلام ولاتقدر انت على الاحسان.

قال آخر : لو كان بك من الوقار والسكينة مثل مابك اليوم لكنت حكيماً.

*الإسكندريه (331 ق م):

بعد اختيار الموقع المتميز لاقامة هذه المدينة أوكل الإسكندر المهندس الرودسى دنقراطس ومعه سستراتس لتخطيطها . أقيمت المدينة على شكل مستطيل 3 أميال فى الطول وميلاً فى العرض . فى وسط المدينة شارع رئيسى يخترقها من الشرق إلى الغرب ويقطعه شارع آخر من الجنوب إلى الشمال يقسمان المدينة أربعة أحياء – وكان الحى الغربى (ركوتس) كثرة سكانه من المصريين بينما

الحى الشمالى الشرقى حى اليهود والجنوبى الشرقى (بركيوم) يضم القصر الملكى والمتحف والمكتبة ومقابر البطالمة وضريح الإسكندر ودار البحرية وأهم الهياكل اليونانية وكثيراً من الحدائق . وكانت احدى هذه الحدائق تضم الحيوانات الملكية.

وكان فى وسط المدينة مبانى الادارات والمخازن الحكومية والمحكمة ومدرسة الألعاب الرياضية وألف حانوت وسوق . وكان خارج الأبواب الرئيسية للمدينه ملعب رياضى وميدان للسباق ومدرج ومقبرة عظيمة تُعرف (بمدينة الموتى) .وكانت تمتد على طول شاطىء البحر مقاصير للاستحمام والاصطياف . ويصل المدينة بجزيرة فاروس جسر يسمى هبتاستاديوم ، لأن طوله يبلغ سبعة استدايومات (الاستدايوم مقياس يونانى يبلغ طوله 582 قدما انجليزيا) – وكانت تقع خلف المدينة بحيره مريوط التى تجوبها السفن النيلية وفى هذه البحيرة كان البطالمة يحتفظون بقوارب التنزه .

وكان سكان الإسكندرية عام 200 ق م خليطاً من أجناس مختلفة يبلغ عددهم ما بين أربعمائة ألف وخمسمائه ألف من المقدونيين واليونانيين والمصريين واليهود والفرس والعرب والزنوج وشعب الاناضول ، (علماً بأن عدد سكان الإسكندريه عام 1927 كان 750.000).

ويعلق هيروداس " الاسكندريه هى بيت افروديتى والإنسان يجد فيها كل شيء – ثروة وملاعب وجيشاً كبيراً وسماء صافية ومعارض عامة وفلاسفة ومعادن ثمينة وشباناً ظرفاء ونساء حساناً " .

كما يذكر " ول ديورانت " أنه من الراجح أن نحو خُمس سكان الاسكندريه كانوا وقتئذ من اليهود، وكان فى مصر منذ القرن السابع قبل الميلاد مَوَاطِنْ لليهود ثم قَدِم إليها كثيرون من تجار اليهود فى أعقاب الفتح الفارسى . وكان الاسكندر قد حثهم على الهجرة اليها وعرض عليهم كما يقول المؤرخ اليونانى يوسيفوس أن يكون لهم ما لليونان من حقوق سياسية واقتصادية . وجاء بطليموس الأول بعد استيلائه على اورشليم بالآف من الأسرى اليهود الذى أطلق خَلفهُ سراحهم – وفى بدايه القرن الأول الميلادى بلغ عدد اليهود فى مصر مليوناً ، يعيش معظمهم فى الحى اليهودى ، ويمارسون شعائرهم الدينيه ، وأقام " ايناس " الحاخام الأكبر عام 169 ق م هيكلاً فى إحدى ضواحى الاسكندريه وخصص بطليموس السادس عين شمس للانفاق على هذا الهيكل . واذ لم يكن هناك الاَّ اقلية تعرف اللغه العبرية ، فإن قراءة الشريعة كان يتلوها شرح باللغة اليونانية .

ونشأت فى أواخر ذلك العصر حركة معادية للسامية بسبب استقلال اليهود الثقافى والدينى – بجانب سيطرتهم على الأسواق التجارية والصناعية ، كما كان اليهود ينقلون الحبوب من مصر إلى روما فى أساطيلهم – وعجز اليونانيون عن صبغ اليهود بالصبغة الإغريقية فتخوفوا على مستقبلهم من تزايد قوة اليهود وتكاثرهم عدديا بسرعة كبيرة . هذا بجانب التزام اليهود بالشريعة التى تحرم التزاوج بينهم وبين أهل الأديان الأخرى .. فكثرت الكتب والمقالات المناهضة لليهود ، ونشر " مانيتون " المؤرخ المصرى القصة التى تقول بأن اليهود قد أخرجوا من مصر لانهم أصيبوا بداء الخنازير أو (الجذام) – واشتدت الأحقاد من كلا الجانبين حتى أدت فى القرن الأول الميلادى إلى أعمال العنف والتخريب .

وبدأ اليهود فى التأقلم والخروج من عزلتهم وإن ظلوا متمسكين بدينهم ، فأخذوا يدرسون الآداب اليونانيه ويترجمون كتبهم المقدسه إلى اللغه اليونانيه. وتقص احدى القصص (التى يدعوها ديورانت خرافيه) كيف دعا بطليموس سبعين عالماً من علماء اليهود إلى المجيء من فلسطين فى سنة 250 ق م ، وكلفهم بترجمه كتبهم المقدسه – وكيف أسكن الملك كل واحد من هؤلاء العلماء فى

حجرة خاصة بجزيره فاروس ولم يسمح له بالاتصال بأحد من الناس حتى فرغ كل منهم من ترجمة أسفار موسى الخمسة – فلما فرغ السبعون من ترجماتهم وجدها تتفق بعضها مع بعض فى كل كلمة – فدل هذا على أن النصوص موحى بها من عند الله . وهذا هو الكتاب المقدس (التوراه) الذى استعان به بولس الرسول فى التبشير بالدين المسيحى.

وقد اخفقت عملية الأغرقه فى مصر اخفاقاً تاماً مع المصريين واليهود ، على السواء – فقد حافظ المصريون على تراثهم وأساليبهم التى ورثوها من أقدم الأزمنه – وقد حاول بطليموس أن يوحد الدينين المصرى واليونانى بقوله إن سرابيس وزيوس اله واحد، لكن المصريين رفضوا هذه العبادات المصطنعة الملفقه ولم تكن الغلبه آخر الأمر للصبغه اليونانيه بل كانت للنزعه الصوفية ووضعت فى ذلك الوقت اسس الأفلاطونيه الجديده .

لمحات عن الحضارة اليونانية

فى الوقت الذى تميز فيه القرن الخامس قبل الميلاد بالآداب ، شهد القرن الرابع ازدهار الفلسفة والثالث ذروة المعرفة فى علوم الطبيعة .

وكان للملوك الفضل فى تشجيع البحث العلمى – ويُذكر أن الإسكندر أرسل إلى المدن اليونانية جمالاً محمله بألواح الفلك البابلية تُرجمت بعد ذلك إلى اللغه اليونانية ، وأنشأ البطالمه معهد الإسكندرية للدراسات المتطورة ، وجمعوا العلوم والثقافات فى مكتبتها – وقد كان لزوال الحدود السياسيه بين الأقطار وسيادة لغة واحدة وسهولة تبادل الكتب والمعرفة والقضاء على عالم الغيبيات وضعف الجانب الدينى وازدياد عدد المدارس والجامعات والمراصد الفلكية .. كان لهذه كلها مجتمعة أكبر الأثر فى التقدم العلمى والتنوير.

*الالعاب الاوليمبيه:

كان الاحتفال بالأعياد فى المدن الهلينيه يشمل المباريات الرياضيه والألعاب المختلفة ، ولكن بجانب ذلك كانت هناك مناسبة تشترك فيها كل بلاد اليونان وتدعى " اعياد هيلينيه " ويحضرها إغريق من جميع أنحاء هذه الامبراطوريه – وكانت تقام فى اولمبيا ، (فى اليس) على الساحل الغربى لشبه جزيرة البلوبونيز على شرف الإله " زيوس " اعظم الهة الأغريق.

وكانت الالعاب الرياضيه تشمل العَدْو والقفز والمصارعه ورمى الحربه ورمى القرص ، كما كانت هناك لعبه الكره التى تشبه (الهوكى) الأن . وكانت المباريات تقام كل أربعة أعوام ، ويذهب مبعوثون الى مختلف مدن اليونان لدعوة المواطنين الإغريق للحضور الى اوليمبيا والمشاركه فى هذه المناسبة التى كانت تقام فى الصيف . وكان يصاحب الرياضيين وفودا يمثلون بلادهم.

وطوال أيام هذا المهرجان كانت تعلن هدنه اثناء الحروب والمشاحنات ويكون هناك سلاماً فى جميع الطرق براً وبحراً وتعيش جميع المدن الإغريقيه حالة سلام وأمن ، كما فعل العرب بعد ذلك فى الاشهر الحرم.

ويقع الإحتفال فى سهل اوليمبيا المحاط بالتلال ويرويه أحد الانهار ويذهب المتنافسون ومدربيهم الى هذا المكان قبل المباريات بوقت كاف للتدريب ويقيمون فى اماكن مُعده لهم ، واذا كانت الوفود كبيره فكانوا يقيمون فى خيام فى العراء ، ولكن بعيداً عن المعابد وخاصة معبد الإله زيوس .

وكما يحدث الأن فى دورة الالعاب الاوليمبيه ، كان المُحَكِمُون والقضاة وممثلون من المدن المشاركه يسيرون فى موكب عظيم حاملين هداياهم من أوان ذهبيه وفضيه ورموزا لهويتهم ، حاملين أكاليل من أغصان الزيتون .

وخلال الاحتفالات ، كانت تقام الندوات حيث يلتقى الشعراء والفلاسفه فى اماكن خضراء بين الاشجار .

وكان سباق العربات حول مضمار يبلغ طوله تسعة أميال ، اول المباريات ثم يتبعه سباق الخيل غير المسْرَجَه ، ثم فى اليوم التالى الجرى والقفز والرمايه – ويخصص اليوم الثالث لأنشطة الناشئين من جرى وملاكمه ومصارعه . اما سباقات الجرى فتقام فى اليوم الرابع لمختلف المسافات، مابين

مائتى يارده وثلاثه أميال ، وتقام فى هذا اليوم مباريات الرجال العنيفه من مصارعه وملاكمه ، ثم مباريات السلاح .

وكان اليوم الأخير ، هو يوم ختام المهرجان وفيه توزع الهدايا على الفائزين من خلال احتفاليه كبيره ووليمه عظيمه .

وكما يحدث الأن ايضاً كانت البلاد المختلفه تستقبل أبطالهم الفائزون بالفرحه واناشيد الإنتصار ، ويسير البطل الفائز بلباسه الأرجوانى فى عربة ويتجه الموكب نحو الإله الرئيسى لهذه المدينه .

ومن أهم ملامح هذا المهرجان أن البطل الذى كان يفوز فى ثلاث دورات متتاليه فى نفس اللعبه، يقام له تمثال فى اوليمبيا .

وكان أول احتفال لهذا العيد الاوليمبى عام 776 ق م وأًصبح تاريخاً لتأريخ الأحداث بعد ذلك . كما يؤرخ المسيحيون بميلاد السيد المسيح والمسلمون بهجرة محمد (صلعم).

ويذكر أنه فى عام 648 ق م كان أول سباق للخيول فى الالعاب الاوليمبيه الثالثه والثلاثين .

ورغم أن هذا المهرجان كان قائما فى بلاد اليونان قبل قيام الامبراطوريه الهلينيه الاَّ أنه ازدهر خلال هذه الفتره الامبراطوريه ، وقد كانت الالعاب الرياضيه قى هذا الوقت تمثل جزءاً من تربية كل شاب إغريقى ، واصبحت الملاعب الرياضيه تقام فى كل مدينه ، وكانت هذه الملاعب فى الهواء الطلق غير مسقوفه – واصبحت الإغريق بذلك أمه رياضيه ، يتمتع رجالها بأجسام قويه رشيقه جذبت إنتباه المثالين تلك الأيام .

وكان المدرب فى بعض الأحيان يستعين بالعزف على المزمار ليتحرك اللاعب بطريقه ايقاعيه جميله ، وربما يكون ذلك هو أساس مايعرف فى الالعاب الاوليمبيه هذه الأيام " بالجمباز الايقاعى " الذى يفيض سحراً واعجازاً لمايقوم به اللاعب (واللاعبات بالأخص) من حركات بدنيه تعبر عن تقنيه عاليه ومهاره وليونه وتحكم عصبى وعضلى واذن موسيقيه تجعل هذه الالعاب كاعزوفه موسيقيه ايقاعيه تفوق رقصات الباليه .

الكتب

مع انهيار أثينا .. حدث انتشار للحضارة اليونانيه، وبفضل انتشار اللغة اليونانيه وإتخاذها لغة عامة وُجدت وحدة ثقافيه دامت فى البحر الأبيض المتوسط قرابة ألف عام . فكان الجميع فى الامبراطوريات اللاحقه يتعلمون اللغه اليونانية ويتخذونها وسيلة للدبلوماسية ولنشر الآداب والعلوم.

وكان كل كتاب مؤلف باليونانيه يفهمه الغالبية من غير اليونانيين فى مصر والشرق الأدنى. وفى هذا المضمار كتب الآف الكُتاب مئات الآلاف من الكتب . ويذكر دورانت أن هناك أسماء الف ومائة مؤلف هلينى . ونشأ خط سريع دارج وطرق للاختزال .

وظلت الكتب تكتب على أوراق البردى المصرى حتى حرم بطليموس الرابع تصديرها ليمنع نمو مكتبة برجموم ، ورد يومنيز الثانى بأن شجع صناعة معالجة جلود الضأن والعجول وسرعان ما أصبح الرق المصنوع فى برجموم ينافس البردى.

أصبحت دور الكتب ضروره حتمية فأقيمت فى مصر وبلاد النهرين – وكانت مكتبة أرسطو اولى مجموعات الكتب الخاصة الكبيره ، وقد أوصى أرسطو بهذه المكتبه عام 287 ق م الى ثاوفراسطوس وتناقلتها الأيادى حتى وصلت الى أسيا الصغرى ودفنت فى باطن الارض لتحفظ من الاستيلاء عليها بواسطة ملوك برجموم ، ثم ظهرت عام 100 ق م وبيعت إلى ابلكون التيوسى ، فأعاد نسخ ما اتلفته الرطوبه ورمم مايحتاج إلى ترميم . ثم انتقلت المكتبة عام 86 ق م إلى روما – ولهذا السبب قد يكون أرسطو اكثر الفلاسفه جاذبية فى التاريخ القديم .

والمكتبه الوحيدة التى يمكن مقارنتها بمكتبة الاسكندريه هى مكتبه برجموم التى بلغ عدد كتبها مائتى الف ، وقد اهداها انطونيوس لكليوباترا ، ليعوض بها ذلك الجزء الذى احترق من مكتبة الاسكندريه اثناء الثورة على قيصر عام 48 ق م .

وكانت هناك مكتبه عظيمة فى أفسس وأخرى فى مدينه قرطاجه .

الهندسة

اخترع علماء الرياضة فى اليونان طريقة للعد والحساب أبسط من الطريقةالتى كانت متبعة حتى ذلك الوقت ، فالحروف التسعة الأولى من الهجاء قد استخدمت للدلالة على الأرقام التسعه البسيطة ، ثم استخدم الحرف الذى يليها للدلالة على رقم (10) والتسعة التى تليه للدلالة على20 ، 30 ... الخ والذى يليها للدلاله على 100 ثم التسعه التى تليها 200، 300 وهكذا.

وعبر عن الكسور بوضع شرطه مائله (/) – والحرف i الصغير إذا وضع تحت الحرف دل على الف .

*إقليدس:

كان أهم ما أحرزته العلوم ذلك الوقت ، الهندسة النظرية وظل اسم إقليدس مدة ألفى عام مرادفاً لاسم هذه الهندسه . وقد أنشأ مدرسة فى الاسكندريه تضم أنبه التلاميذ – ومن أشهر كتبه " العناصر " "Elements " حوالى عام 300 ق م - ولقد سار على ما اوصى به أفلاطون فاقتصر على الأشكال والبراهين التى لاتحتاج من الألات غير المسطرة والفرجار ، وكتاب العناصر هذا – ظل حتى العصر الحاضر الكتاب المدَرسَى المعترف به فى كل جامعات أوروبا .

ولإقليدس كتاب فى المخروطات ، اتخذه تلميذه أبلونيوس أساساً للبحث ، وأصدر ثمانية كتب ، 387 نظرية فى خواص المنحنيات التى تنشأ من تقاطع مخروط مع سطح مستو ، وكان لهذه الاكتشافات الفضل فى التقدم فى الميكانيكا والملاحة والفلك . وتوفى عام 300 ق م .

*أرشميدس :

ولد أعظم العلماء فى سرقوسه عام 287 ق م – توجه إلى مصر (الاسكندريه) ودرس الرياضيات على يدى تلاميذ إقليدس . ومن بين مابقى من تراثه عشرة مؤلفات : الطريقه ، مجموعه من القضايا العارضة ، قياس الزاوية ، تربيع القطع المكافىء ، فى اللولبيات ، الكره والاسطوانة ، فى أشباه المخروط ، حاسب الرمل ، فى الموازنات المستوية ، والعاشر فى الأجسام الطافيه .

وحول النظرية الأخيره لمعرفة توازن الجسم الطافى ، قصة طريفه ، أن الملك هيرون أعطى لصانع سرقوسى مقداراً من الذهب لصنع تاج، وكان التاج المصنوع مساويا من ناحيه الوزن لكمية الذهب ، وقد ارتاب الملك ، وطلب من ارشميدس التحقق من مصداقية الصانع . وأثناء استحمام ارشميدس فى حمام عام راقب عمليه الطفو ومقدار الماء المزاح وربط ذلك بكثافة الجسم ، ويقال أنه نهض وجرى عاريا فى الطرقات وهو يقول وجدتها وجدتها – مثل ماحدث مع نيوتن بعد ذلك بحوالى الفى عام (1687 م)، وعندما طَبَقْ نظرية كمية الماء المزاغ والتى تكون أكثر فى الفضة من الذهب بسبب اختلاف الكثافة بفرض ثبات وزن كل منهما .. اكتشف مقدار ما استخدم فى صناعة التاج من الفضة وما اختلس من الذهب .

وعندما قام النزاع بين سرقوسه وروما (212 ق م) ، تدخل فى القتال وصمم رافعات وبكرات ضخمه ، ومنها رافعة ضخمة بخطاطيف تمسك بالسفن وترفعها فى الهواء وتقذف بها بين الصخور

.. واستخدم لتصميم هذه الآلات علم (الديناميكا) (والاستاتيكا) ، واستخدام ذراع طويل ناحية المقاومه لرفع قوة كبيرة بذراع قصير.

ويظن أن لأرشميدس الفضل فى تطوير (الطنبور) المصرى .

*علوم الفلك:

يدين ازدهار علم الفلك فى اليونان الى بابل . وقد لمعت أسماء عديده لعدة علماء بذلوا جهداً كبيراً فى هذا المجال . منهم " ارستارخوس " (310- 230ق م) الذى درس حجم الشمس والقمر وبعديهما . و كتاب ارشميدس (حاسب الرمل) يرجع الى " ارستارخوس " صاحب الفرض القائل أن النجوم ثوابت والشمس ثابته لاتتحرك وأن الارض تدور حول الشمس فى محيط دائرة وأن الشمس فى وسط هذا المدار . فى الوقت الذى كان معظم علماء أثينا يرون عكس ذلك وأن الارض مركز الكون .

أما " هبارخوس " فقد رسم عام 129 ق م خرائط عدد فيها مواقع 1080من النجوم بالنسبة لخطوط الطول والعرض السماوية ، ويعزى إليه اكتشاف تقدم الاعتدالين على خط الزوال (الاعتدال الربيعى فى مصر) والخريفى فى نصف الكرة الجنوبى وفى كل منهما يتساوى الليل والنهار يوماً واحداً . أما إرتسثنيز فقد قام بحساب محيط الأرض وقياس حجم الكرة الأرضيه . كما قام بوصف جغرافية الارض وتضاريسها والمظاهر الطبيعيه من زلازل وبراكين ومياه .

*علم الحيوان:

كان لكتاب أرسطو " تاريخ الحيوان " أثر بليغ حول هذا العلم .

*علم النبات:

"ثاوفراسطوس " كان تلميذاً لأرسطو ، قسم النباتات إلى أشجار وشجيرات وأعشاب وحشائش وقسم أجزاء النباتات من الجذر ، والساق والأغصان والأوراق والأزهار والثمار ، وهو تقسيم لم يدخل عليه أى تغيير حتى عام 1561 م . وعَرفَ طرق توليد النباتات والتلقيح ، وبحث فى التوزيع الجغرافى والتأثير المناخى عليها . ودرس التفاصيل الدقيقة لنحو خمسمائه نوع من أنواع النباتات بدقة تدعو للدهشة مع عدم وجود مجهر يساعده فى تلك الأيام - وقال عنه أحد الفلاسفه " لو لم يكن أرسطو من رجال ذلك العصر لسمى عصر ثاوفراسطوس " .

*التشريح:

العالم المقدونى "هيروفيلوس " كان يقيم فى مصر (الاسكندريه) عام 285 ق م ، أول من قام بتشريح العين والشبكية وعصب العين – كما قام بتشريح مخ الانسان وأرجع اليه مركز التفكير ، وهو أول من صنف الأعصاب الى حسية وحركية ، وأشار إلى النخاع الشوكى ، وكشف عن الدورة الدموية من قلب وشرايين وأورده قبل " هارفى " بتسعة عشر قرناً . وعرف أهمية ضربات القلب – كما ألقى الضوء على الجهاز التناسلى للرجل والمرأه – وعرف تشريح الكبد والبنكرياس وعَرَفْ الأثنى عشر (وهى بدايه الامعاء الدقيقه) باسمها المعروف حتى اليوم . فكان بذلك اعظم علماء التشريح .

*علم وظائف الاعضاء:

" ارستراتوس " درس فى أثينا ومارس مهنة الطب فى الاسكندريه عام 258 ق م . تبحر فى دراسة عمل المخ وأجزائه والأوعية اللمفاويه فى الأمعاء، وطريقة عمل صمامات القلب – كما درس عملية التمثيل الغذائى – وتوصل إلى حقيقه خطيرة فى عالم الطب وهى أن أى عضو فى جسم الإنسان له شِريان ووريد وعصب . وكانت فلسفته الطبية تقر مبدأ الوقايه خير من العلاج وأن العقل السليم فى الجسم السليم وأظهر قيمة الرياضه البدنيه كما قاوم العلاج بالحجامه .. والتى يدعو إليها البعض فى هذه الأيام .. فى القرن الواحد والعشرين !! .

*الطب:

كان لابد للطب أن يواكب التطور الاجتماعى والمدن الجديدة وزيادة البشر فى تلك المنطقه من العالم القديم – وكان لمعلومات المصريين فى الطب الفضل فى التقدم فى هذا المجال فى بلاد اليونان – وكان البطالمة يقدمون كل العون المطلوب للعلماء ، فسهلوا عملية التشريح وأكثر من ذلك كانوا يرسلون بعض المحكوم عليهم بالإعدام لتشريح أجسامهم .

وانتشرت مدارس الطب فى أنحاء البلاد الأثينيه – وكان الأطباء لايفرقون بين الغنى والفقير ، الحر والعبد ، كما كان الأطباء يشاركون فى مكافحة الأوبئه (خاصة الطاعون) بغيرأجر والكثيرون منهم ماتوا بسبب هذه العدوى . اما عن الطبيبات فكان عددهن كبيراً وكان يستعان بهن فى أمراض النساء وكتبت بعضهن كتابات حول العناية بالبشرة والشعر .

أما الجراحة فكان لا يُسمح بها للطلبه لكن يشتغل بها كبار الأطباء .

*ابقراط (460 - 377 ق م):

ولد " أبو الطب " فى جزيرة فى بحر إيجه تدعى كوش كانت وقتئذ مركزاً لدراسة الطب – وكان يتبع الطريقة الاستنباطيه وهى طريقه علمية خالصة . وكان له اتجاه فكرى بأن المرض يرجع أصله إلى أسباب طبيعية داخل الانسان أو خارجه، لذلك اهتم بالعلاج الطبيعى من هواء نقى وغذاء جيد ليساعد " الطبيعة " فى إعادة الصحه للمريض .

ولأبقراط أربعة مؤلفات هامة هى " الحكم " ، " الادلة " " وتنظيم التغذيه والعوائد فى الأمراض الحادة " "وجروح الرأس " – وتصف أبحاثه عمليات التربنة للجمجمة ، وعلاج انخلاع الكتف أو الفك .

*قسم ابقراط:

أقسم (بجميع الإلهه) وأشهدها جميعاً على أن أنفذ هذا القسم وأوفى بهذا العهد بقدر ماتتسع له قدرتى وحكمتى وأن أضع معلمى فى هذا الفن فى منزلة مساوية لأبوىَّ وأن أشركه فى مالى الذى أعيش منه فإذا احتاج إلى المال اقتسمت مالى معه، وأقسم أن أعد اسرته أخوة لى وأن أعلمهم هذا الفن إذا رغبوا فى تعلمه من غير أن اتقاضى منهم أجراً أو ألزمهم بإتفاق ، وأن ألقن الوصايا والتعاليم الشفويه وسائر التعاليم الأخرى لأبنائى ، ولأبناء استاذى وللتلاميذ المتعاقدين الذين أقسموا يمين الطبيب ، ولا ألقنها لأحد سواهم – واستخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتى وحكمتى ولا استخدمه للأذى او لفعل الشر . ولن أسقى أحداً السم إذا طُلب إلىَّ أن أفعل هذا . أو أشير بسلوك هذا السبيل – كذلك لن اعطى امرأة " صوفة " لإسقاط جنينها ، ولكنى سأحتفظ بحياتى وفنى كليهما طاهرين مقدسين ، ولن استعمل المبضع ولو كنت محقاً فى استعماله بل اتخلى عن مكانى لمن

يحذقون هذا الفن . وإذا دخلت بيت انسان اياً كان فسأدخله لمساعدة المرضى وسأمتنع عن كل إساءة مقصوده أو أذى متعمد وسأمتنع بوجه خاص عن تشويه جسم أى رجل أو أية امرأة ، سواء كانا من الأحرار أو من الارقاء – ومهما رأيت أو سمعت فى أثناء قيامى بفروض مهنتى وفى خارج مهنتى فى خلال حديثى مع الناس ، إذا كان لا تجب إذاعته فلن أفشيه ، وسأعد هذه الاشياء أسراراً مقدسة – فإذا ماألزمت نفسى بإطاعة هذا القسم ولم أحنث فيه فإنى أرجو أن اشتهر مدى الدهر بين الناس جميعاً بحياتى وفنى ، أما إذا نقضت العهد وخنثت بالقسم فليحل بى عكس هذا " .

ويضيف أبقراط إلى هذا أن من واجب الطبيب أن يحتفظ بحسن مظهره الخارجى وأن ينظف جسمه ويتأنق فى ملبسه ، ويجب عليه أن يكون هادئاً على الدوام ، وأن يكون سلوكه بحيث يبعث الثقة والاطمئنان فى نفس المريض . ويجب عليه أن يُعنى بمراقبه نفسه وألا يقول إلا ماهو ضرورى .. واذا دخلت حجرة مريض فتذكر طريقة جلوسك وكن متحفظاً فى كلامك ، معتنياً بهندامك صريحاً فى أقوالك ، موجزاً فى حديثك .. هادئاً ... ولا تنسى مايجب أن تكون عليه أخلاقك وأنت الى جانب فراش المريض – واضبط أعصابك ، وازجر من يقلقك وكن على استعداد لفعل مايجب أن يُفعل – وأوصيك الا تقسو على أهل المريض وأن تراعى بعناية حالة مريضك المالية – وعليك أيضاً أن تقدم خدماتك من غير أجر – وإذا لاحت لك فرصة لأن تؤدى خدمة لإنسان غريب ضاقت به الحال ، فقدم له معونتك كاملة ، ذلك أنه حيث يوجد حب الناس يوجد أيضاً حب الفن (الطب) – وإذا أضاف الطبيب إلى هذا دراسة الفلسفة والعمل بها كان هو المثل الأعلى لأبناء مهنته لأن الطبيب الذى يحب الحكمة لا يقل عن (الألهة) فى شيىء !! (طبعاً بمفهوم تعدد الالهه أيام الاغريق).

وبعد فإن الطب اليونانى لا يرقى جوهرياً عما كانت تعرفه مصر عن الطب والجراحة قبل هذا العصر بألف عام ، والفرق أن الاغريق دونوا نظرياتهم فى مؤلفات أفادت البشريه بعدهم ، أما المصريون القدماء فطبقوها فيما ترك لنا من اثار دون أن يدونوا لنا علومهم أو نظرياتهم التى أقاموا عليها حضارتهم .

الفلسفة اليونانية

إذا تحدثنا عن الحضارة اليونانية ، فإن الفلسفة تقع على قمة هذه الحضارة وكان للمدارس الفلسفية اليونانية تأثير قوى على هذا الفرع من العلوم الانسانية لوقتنا الحاضر – وكان هناك ثلاث نزعات امتزجت فى هذه الفلسفه ، النزعه الطبيعية (فيزيقية) ، والمتافيزيقية والأخلاقية ووصلت النزعه المتافيزيقية فى أفلاطون والطبيعية الى غايتها فى أرسطو ، والأخلاقيه فى زينون . ثم تم فصل العلم عن الفلسفه على يد أرشميدس وهبارخوس فكان التأثير على النزعة الطبيعية ، كما انتهت الفلسفة المتافيزيقيه بتشكك (بيرون) ولم تبق غير النزعة الأخلاقية حتى غلبت المسيحية على الأبيقوريه والرواقيه ، وظهرت الأفلاطونية الجديدة . وقد حدث هذا التعاقب – ومازال – أكثر من مرة فى تاريخ العالم ومثال ذلك أناتول فرانس والأبيقوريه ، بسكال وبيرون ، وشوبنهور وزينون وأفلوطين وبرجش .

وفى هذا المجال (علم الفلسفه) لايستطيع كاتب هذه السطور الخوض فى سياقها أو الإبحار فى بحارها العاتيه . وليترك ذلك لمن هم أَعَلمُ منه ولكن سنكتفى بإلقاء الضوء على معالم هذه الفلسفه.

الرواقية والأبيقورية

*الرواقيه :

من المذاهب التى تأثرت بالنزعات الشرقية، ولعبت اليونان وروما دورين هامين فى هذه الفلسفه ويمثل الرواقيه اليونانية زينون ثم تلميذه كليانت وجاء بعدهما كريسيفوس ، بينما يمثل الرواقيه الرومانيه ابكتاتوس ثم سينكا ثم ماركس اورليوس.

ويمتاز مذهب الرواقية بثلاث نقاط رئيسية : الأولى أن الفلسفة الحقيقيه هى الفلسفة العملية، والثانيه أن الفلسفة العملية هى التى تقوم على العمل المطابق للعقل وثالثا أن العمل المطابق للعقل هو الذى يجرى حسب قوانين الطبيعة .

وينظر الرواقيون إلى الفلسفة باعتبار أنها الأخلاق ، وتضع قوانين للسلوك الانسانى الخيرِّ – وأن موضوع الفلسفه هو الفضيلة.

والطبيعه الرواقيه (المبدأ السائد فى الرواقية) مذهب مادى يتسم بالبحث عن علل الوجود الاولى وعن نشأة وصفات الكون ، وعن الطبيعة غير العاقلة وأخيراً عن الانسان .

ويرى أغلبية المؤرخين " الأخلاق الرواقية " على أنها أهداف عالية ، بينما البعض يقول عن هذه الأخلاق إنها تأمرنا بإتباع الطبيعة لكنها مع ذلك تنكر صفة الخير الأخلاقى على كثير من الميول الطبيعية الخالصة .. كما ينكرون كثيراً من الأشياء الطبيعية الصرفة والتى هى ميول أساسيه فى الانسان . (خريف الفكر اليونانى) .

*الابيقورية:

ولد مؤسس المدرسه (ابيقور) عام 341 ق م ثم انتقل إلى اثينا عام 306 ق م وهناك أقام مدرسة فى حديقته المشهوره باسم " حديقه أبيقور " وتوفى عام 270 ق م .

أنكر ابيقور على الانسان الاشتغال بالعلم من أجل العلم لأن هذا لايفيد شيئاً إذا لم يكن على أساس عمل أو اذا كان لا يؤدى إلى السعادة عن طريق العمل والتطبيق – وكذلك ينكر أبيقور على الانسان أن يعمل كفيلسوف بالرياضيات والتاريخ والموسيقى – ولم يعن الأبيقوريون بالمنطق لكنهم عنوا بنظريه المعرفة وسُميت " القانون " وهو يتعلق بمصادر المعرفة وكيفية تمييز الصحيح من المعارف والكاذب . وأن الاساس فى كل معرفة الإحساس ، والمقياس هو اللذة والخلو من الألم فالإدراك الحسى تبعاً لهذا هو الأصل وبعد ذلك يأتى تكوين المدركات أو التصورات .

وأقام ابيقور مذهبه فى الوجود والطبيعة عن طريق فكرة الجسم وفكرة الخلاء ، فعن الجسم يقول أبيقور إنه يمكن أن ينحل لكن هذا الانحلال لا يمكن أن يستمر الى مالا نهايه ولا بد للوقوف عند حد وإلاَّ لما أمكن أن يوجد شيىء .. فالنهاية هى الذرات التى لاتقبل الانقسام وهى الأصل فى الكون .

الألهيات : يرى الأبيقوريون أن الدين ومايتصل بالله ومن يؤمن به هو الذى يرتكب الخطيئه الدينية ، وأن عدم الايمان أسلم بكثير .

أما العناية الآلهيه فى نظرهم فهى وهم - وبذلك يمكن أن نستنتج أن أبيقور كان منكراً لوجود الله بينما نجده يتحدث بلهجة المؤمن الواثق من وجود الآلهه .

ومن ناحية الأخلاقيات يقول أبيقور إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم – لكن لابد من المفاضلة بين اللذات ، لأنه ليس من اللذه أن نحصل على كل لذة وليس مما يدعو إلى تجنب الألم أن نتجنب كل ألم .

ويسخر ابيقور من هؤلاء الذين يندفعون وراء أوهام اتباع الخير للخير أو الفضيلة للفضيلة، ثم يقسم مذهبه في اللذة الى أنواع ثلاثة ، فمن اللذات ماهو ضرورى وخيرّ معاً ومنها ما ليس ضرورياً وان كان خيراً ، ومن الملذات ما ليس بخير ولا ضرورى . لذلك يرى أن المرء يستطيع أن يعيش سعيداً اذا تعلق بالنوع الأول من الملذات ويحرص حرصاً ضئيلاً على الثانى وينكر النوع الثالث . وبذلك نرى أن الأخلاق الابيقوريه انتهت بأخلاق نقية وساميه .

فيثاغورس

فيلسوف يونانى ولد فى ساموس عام 530 ق م - غادر الى كروتون جنوبى ايطاليا وكان له نفوذ سياسى كبير – اعتقد فى تناسخ الأرواح حتى بين الانواع المختلفه من الكائنات الحية – وذاع صيته فى المعلومات العلمية والرياضية وله يُنسب الاكتشاف الذى يفيد بأن السلم الموسيقى يقوم على أسس عددية وأن الفواصل النغمية الرئيسية فى السلم الموسيقى يمكن التعبير عنها فى نسب من الأعداد الاربعة الاولى – وهذه الاعداد مكتملة تشكل العدد عشرة .

*الفيثاغوريون:

كانت هذه الجماعه تنقسم الى جانب رياضى وجانب دينى – والجانب الدينى كان يعيش على روابط القربى بين الكائنات الحية وضرورة تطهير الجسد والروح – أما الرياضيون – فقد طوروا نظرية أن السلم الموسيقى يقوم على العدد ، وبما أن للموسيقى قوة خاصة على الروح وهى التى تتخلل الكون ، فالعالم كله لابد أن يكون على نحو ما مؤلفاً من العدد ، وعناصر العالم هى العدد الزوجى ويمثل اللامحدود ، والعدد الفردى يمثل الحد .

وتطورت النظرية الفيثاغورية الخاصة بنشأة الكون تطوراً مؤداه أن واحداً منذ البدايه قد تسلل إلى اللامحدود وكان على صورة الخلاء ، فإنقسم بطريقة ما الى وحدات أخرى منفصل بعضها عن بعض باللا محدود ، ثم نمت وحده الاجزاء التى هى وحدات نقطية حتى أصبحت خطوطاً وسطوحاً وأجساماً. وفى مركز الكون تكمن النار أما النجوم والأرض فكِل منها يحدث صوتا تبعاً لسرعة الدوران وتؤلف هذه الأصوات نغمة الافلاك .

سقراط

469 – 399 ق م

فيلسوف يونانى – لم يترك كتابات لكن ماعرف عنه جاء عن طريق بعض الكتاب والفلاسفه مثل أرستوفان ، واكسانوفان وأفلاطون الذين عاصروه أو ارسطو الذى ولد بعد وفاته بثلاثه عشر سنه ، ويُعتبر أصدق من نقل صورة سقراط ، وهو يعزو لسقراط الأتى :

- أنه شغل نفسه بمكارم الأخلاق.
- أول من أثار مشكلة التعريف .
- بحث عن الماهية أو عن " ماهو الشيىء " .
- سعى إلى الاستدلال القياسى وهذا معناه أن يحصل على البراهين اليقينية – كما استخدم أيضاً الادلة الاستقرائية – وأنه لم يجعل الكليات أو التعريفات مستقلة فى وجودها .

أما أفلاطون وفى محاوراته مع سقراط ، يذكر عن الأخير أن اهتمامه كان حول الفضيلة وطبيعتها ، وأن الفضيله معرفة والرذيلة جهل . ويشرح أفلاطون طريقة سقراط فى المناقشة ونمطه فى إلقاء الاسئله .. كما يذكر أنه مؤمن بأن هناك حياة بعد الموت . ويقدم أفلاطون الخطب الثلاثة التى ألقاها عند محاكمته – فيما يرى البعض أن سقراط لم يدافع عن نفسه على الاطلاق – أما الإتهام الذى وُجه لهذا الفيلسوف " ان سقراط يفسد الشبان ، ولا يعتقد فى آلهة المدينة ويعتقد فى مقدسات جديدة " – لكن سقراط كان يخاطب المحكمة بشمم وصلابة عزيمة . وبعد الحكم عليه رفض بدائل عقوبة الإعدام كما رفض فكرة الهرب من السجن ، وعليه فإنه كما فضل العيش فى أثينا فعليه أن يطيع قوانينها ويلتزم بأحكامها . لهذا تجرع السم وهو ثابت الجنان ووبخ أصدقاءه عندما بكوا عليه . ويصف أفلاطون فى المحاوره المسماه " فيدون " المحادثة الأخيرة وموت سقراط وصفحاتها الأخيرة على درجة غير عاديه من الجمال . (الموسوعه الفلسفيه المختصره).

أفلاطون

427 – 347 ق م

ولد فى اثنيا وعاش فيها معظم سنى حياته التى بلغت الثمانين ، ومع أنه بدأ حياته بالسياسة، فقد كرس معظم حياته للدرس والنظر والتعليم ، وكان يرى أن الأمل الوحيد للسياسة هو إنشاء مدرسة يتكون فيها نوع جديد من الخلق السياسى . وربما حادثة قتل سقراط أحدثت لديه صدمة وعبرّ عن ذلك فى محاوراته " الدفاع – أقريطون ، فيدون " .

وفى عام 385 ق م أنشأ ما قد يكون أول جامعة وسُميت الأكاديمية ، وكان الغرض من انشاء هذا التجمع العلمى إستعادة الحكومة الصالحة للمدن الإغريقيه . وعندما أقحم أفلاطون فى نزاع سياسى بين صديقه " ديون " وحاكم سراقوصه، وتداعت الاحداث وانتهت بقتل ديون على يد من كانت له صله بأفلاطون ، كانت هذه ضربه قاسيه للآخير .

ولأفلاطون خمسة مجلدات تعتبر من أعظم الاعمال الفلسفيه وأيضاً .. الأدبيه واليه يرجع استخدام كلمة فلسفه .

وكل مؤلفات أفلاطون تقريبا عبارة عن محاورات ، لأن الفلسفة فى جوهرها نوع من الكلمه (اللوجوس) ، وتعريف هذه الكلمه " الاستعمال المعقول للكلمات فى التفكير ، وبذلك تخضع للحوار " .

الجمهوريه : يرى أفلاطون أن الملوك ينبغى أن يكونوا فلاسفة فالحكومة الوحيدة الصالحة هى التى تتألف من أولئك الذين يعرفون .. أى يعرفون " الصور " فالمدينة " فلسفقراطيه " – وإذا قامت هذه الحكومة ، فلكى تستمر يجب أن يراعى الفلاسفة الحكام أن يكون حكمهم مطلقاً وليس مقيداً بالقوانين الجامدة أو أصوات العامة !! ويجب أن يسلموا هذا الحكم لفلاسفه آخرين .. من أبناء الحكام – وقد تحكم نساء ، ومن خلال نظام اتفاقى عماده شيوعيه الأباء والأبناء مضافاً اليه شيوعية المِلكيه – تذوب الطبقة الحاكمة جميعها فى كل متحد ليس له مصلحة ذاتية يرعاها ولا توضع رياسته موضع الشك !! .

ويرى أفلاطون أن الدراسه الواجبة للحكام ورجال الإداره وقادة الجيش هى الدراسة المتقدمة للرياضيات ، متبوعة بالدراسة المجردة للصور وكذلك الخير المطلق – لكنه لم يذكر دراسة السياسة والاقتصاد والتاريخ .

لكنه مع إنكار القوانين وتمسكه بالخير .. فإنه فى شيخوخته حين خطط مدينة مثالية أخرى (المدينه العظمى) جعل أساس الدراسة مجموعة من الدراسات القانونية واطلق على المحاورة التى تصف المدينة العظمى اسم (القوانين).

"ومحاورة تيتيانوس " هى فلسفة تحليلية ، والأفكار التى يتناولها بالتحليل " الادراك الحسى ، المعرفة ، الذاتيه ، الصدق ، التغير ، الخطأ ، والكلمة ، البساطة " .. وبذلك اهتم بالتعريف .

محاورة السُفُسْطَائى .. وهى محاولة لتعريف السُفُسْطَائى عن طريق تقسيمات متوالية للجنس .. وكشف أنه لا يوجد شيىء يقينى فيما يتعلق بهذا المنهج لأن خطواته أحكام غير مدعمه .. فهى

عقيمة نسبياً . فهو يكتشف ألغازاً فى فكرة الوجود وفكرة اللا وجود ، كما يجد فى المعركة بين الماديين والمثاليين أن كليهما لايستطيع أن يدافع عن نفسه – ويقول إنه إذا قلنا إن الحقيقى هو مانستطيع أن نقبض عليه بأيدينا فنحن إنما ننكُر الحقائق الواضحة عن العداله والحكمة والروح – وإذا قلنا أن الافكار وحدها هى الحقيقه فإننا ننكر أن الحقيقى يستطيع أن يحيا ويتحرك ويفكر .

ثم اولى افلاطون اهتمامه في شيخوخته إلى موضوعات سقراط الأخلاقيه ، فعن الخير، يجب أن يكون كاملاً وكافياً ومرغوباً فيه من كل الذين يعرفونه .أما عن اللذة والمعرفة فلا أحد يختار إحداهما إذا امكنه الحصول على كليهما ، لكن أيهما أفضل ؟ واللذة تنشأ عن انتعاش المادة الحية ، على أن هناك لذة عقلية تنشأ عن الرجاء . واللذة لايمكن أن تكون هى الخير لأنها متولده .. وفى هذا السياق التحليلى السيكلوجى للذة نجده يتكلم عن الإدراك الحسى ، والذاكرة ، والرغبة ، والخيال ، والحسد ، والملهاة والضحك .

ومرة أخرى عن الخير فمحال أن تكون هناك لذه أو معرفة على حدة لأن هذا أو ذاك ليس كاملاً فلابد أن يكون الخير مزيجاً من أفضل ما فيهما كما فى ذلك العلوم – ويكون الترتيب (للقيمه) هى : التناسب ، الجمال ، العقل ، العلم ، اللذة الخالصة.

*الأفلاطونيه الجديده:

ظهرت هذه الفلسفه نتيجه المجهود الذى بذلته العصور الوثنيه فى الفترة ما بين250 الى 550 بعد الميلاد لإبداع مذهب فلسفى شامل يمكن أن يلبى طموحات الانسان الروحية جميعاً (عقلية واخلاقية ودينية) ، ذلك بتقديم صوره شاملة ومنسقة منطقياً للكون ولمكان الإنسان فيه . وتقدم شرحاً لكيفية تحقيق الانسان للخلاص واستعادة حالته الأصليه المفقوده . وقد نجحت الافلاطونيه الجديدة فى إدماج معظم الفكر الفلسفى المبكر خاصة فكر أرسطو والرواقيين والفيثاغوريين – غير أنها شملت أيضاً المعتقدات الدينية والطقوس وعبادات اليونان والشرق وكذلك الاساطير والاعمال السحرية وعلم الكيمياء .

وتدعو هذه الافلاطونية الى ألوهية تسمو وتعلو على الكون .. وهى تجاوز الوجود بل هى اللا وجود بمعنى أنها أعلى من الوجود – وهذا الإله هو المنبع الذى تفيض عنه الأشياء جميعاً بمعنى أنها تصدر عنه بحيث لا تنفصل أبداً عنه . بذلك يكون مستبطناً فى كل شيىء . وليس ذلك الفيض مستحدثاً مع الزمن لكن هو تاريخ مطلق من قيود الزمن ، ولم تكن بدايته فعلاً خلاقاً بل هو أقرب الى أن يكون إشراقاً أو فيضاً لم يتحدد بزمن ولم يتحقق بإراده . وهذا الفيض لا يستنفد مصدره بل يظل كاملاً غير منقوص . وهو خلو من كل ما يحدده فهو واحد بالمعنى الذى يجعله جوهراً ، واذا فكرنا فيه على أنه مصدر الوجود كله فيمكن أن يكون هو الخير .

وأفضل ماتوصف به عملية الفيض الإلهى الأزليه أنها تَشَتُتْ تدريجى للوحده الأصلية تتحول إلى كثرة مطردة الزيادة فى سلم تنازلى للوجود حتى الواقع الحسى فى الزمان والمكان ثم يتحول التشتت إلى إباده – ولفهم هذا الواقع نشبهه بإنبعاث الضوء من مصدره على هيئة مخروط تظل الرقعة المضاءة به تزداد إتساعاً .. بحيث يخفت تدريجياً حتى يتلاشى تماماً فى الظلمة الكاملة . وتُعرف هذه الظلمة (الإباده) بأنها الماده .. برغم أنها عَدَمْ (فراغ ، وغياب ونقص) – هى فى الوقت نفسه علة العدم – فبذلك تسمى هذه المادة اللا خير أو الشر .

وبالرجوع الى اصل الافلاطونية الجديدة ، نجد أن من أسسها هو الفيلسوف اليونانى (أفلوطين) الذى وُلد فى مدينه " ليكوبوليس " عام 205 م بالقرب من الواسطى فى جنوب مصر ، وتتلمذ فى الإسكندريه أحد عشر عاماً على يد " أمونيوس " الجَمَّال – ثم توجه إلى العراق وفارس ثم عاد الى روما عام 244 م . وبقى هناك حتى توفى عام 270 م .

كتب أفلوطين أربعة وخمسين مقالاً ، جمعها " فورفوريوس " بعد موت افلوطين فى ست مجموعات تحتوى كل مجموعه منها على تسع مقالات ومن هنا سُميت " بالتساعيات " .

ويوصف مذهب أفلوطين بأنه من مذاهب وحدة الوجود ، وصورة العالم عنده حركية ، متدرجة مع تسلسل مراتب الوجود ابتداء من المركز الأول ، وامتدادها إلى أكثر درجات الوجود تفرقاً وتبدداً . ومن شأن هذا المذهب أن يعتمد على حركتين : حركة هابطة وحركة صاعده ، فالحركة الهابطة ، وصفية عقلية تتدرج من " الواحد " حتى تنتهى بالمادة ، أما الحركة الصاعدة فهى فى إرتقاء السُلَمْ مره أخرى والعودة إلى الواحد ، فهى لن تكن عقلية ولابد أن تكون صوفية.

وحول فلسفة أفلوطين يرى " تسلر " أنها توصف بـ " وحدة الوجود الديناميكية "فألمتناهى ليس له وجود مستقل ، بل عَرَضْ للمبدأ الأول (أله) وكل ما ينشأ إنما بفعل القوة الصادرة منه .. ، رغم تأكيد أفلوطين خروج الأول عن كل حد ووصف واكتفاءه بذاته ، وبقاءه كما هو رغم كل ما ينتج ويصدر عنه . (دكتور فؤاد زكريا).

أرسطو

(384 – 322 ق م)

كان إبناً لطبيب فى شمال اليونان وظل عشرين عاماً عضواً بأكاديمية أفلاطون. ثم غادر أثينا وذهب إلى " اسوس " فى آسيا الصغرى ثم إلى " ليسبوس " وفى عام 342 ق م دعاه فيليب ملك مقدونيا ليذهب إلى مملكته ليشرف على تعليم الاسكندر ابن الملك – وبعد أعوام قليلة عاد أرسطو الى أثينا ليؤسس مدرسة جديدة تعرف باسم " اللوقيون " بريبياتوس أو الممشى " لكنه غادر أثينا لأسباب سياسية واعتزل حتى وفاته .

كانت مؤلفات أرسطو الاولى في اغلبها موجهة إلى عامة الناس ، فكانت واسعة الأنتشار فى العصور القديمه ولم يبق منها الاّ القليل ، أما المؤلفات التى بين أيدينا فهى رسائل موجهة إلى الدراسة الجادة .. وقد نشرها " اندروتيفوس " .

ومنهج أرسطو ليس بالمنهج القطعى وهو لا يقيم حجته على مقدمات يعتبرها واضحة ، بل يراجع بعناية ما قاله أسلافه لأنه يؤمن بأن هذه الاقوال تحوى عنصراً من الحقيقة .

وسنعرض لبعض أفكار ارسطو بإيجاز شديد للتعرف على منهجه الفلسفىّ :

1) المقولات : مقولات أرسطو تصف الوجود القائم ، وكل ماهو موجود إما أن يكون جوهراً أو كيفاً أو كماً أو نسبة ... الخ .

2) الصورة والهيولى : أى ارتباط الصورة المادية بالوظيفة التى تؤديها . فالهيولى أو إتحاد الصوره بالوظيفة يعطى الطابع المحدد للشيىء .

3) الوجود بالفعل والوجود بالقوة : الموجود بالفعل ينتج دائما عن الموجود بالقوه بفضل موجود آخر بالفعل ، فحالة الوجود بالفعل متقدمة عن حالة الوجود بالقوه فى التعريف والقيمه والزمن ، فلا بد أن تذكر حالة الوجود بالفعل فى تعريف الوجود بالقوه وليس العكس ومثال ، أن بذرة البلوط توجد قبل أن توجد الشجره التى ستصير إليها تلك البذره ، والبذرة ذاتها نتاج لشجرة بلوط ناضجة كانت موجوده من قبل . كذلك الطفل هو رجل بالقوه .

4) " العلل " الأربع : يعتقد أرسطو أن التفسير الكامل لأى شيىء ينبغى أن يبين ما صنع منه الشيىء (العلة الماديه) ، وماهو يحكم ماهيته (العله الصوريه) وما الذى أوجده(العله الفاعلة) ، وماهى وظيفته أو الغرض منه (العلة الغائيه) . ويلاحظ أن العلل الأربع تصلح لتفسير الأشياء أكثر مما تصلح لتفسير الأحداث .

5) تصنيف العلوم : يقسم أرسطو العلوم إلى علوم نظريه وعلوم عملية وعلوم انتاجية . فأما العلوم النظرية فتدرس مالا يمكن أن يكون خلاف ذاته . أما العلوم العملية فتختص بما يمكن أن يكون خلاف ذاته (مثال علوم السياسه والأخلاق) – أما العلوم الانتاجيه فتعنى بصنع الأشياء .

6) المنطق : إهتم بعملية الاستدلال ، وبلغ من الدقة حتى أنه وصفه بأنه الآلة الفكريه والتى ظل الفلاسفه المعنيون يعتمدون عليها على مدى الفى عام .

ومما تمتاز به طريقته فى التفكير أنه قسم المظاهر الرئيسية التى يمكن دراسة أى شيىء بمقتضاها عشرة أقسام : المادة ، الكم ، الكيف ، العلاقة ، المكان ، الزمان ، الموضع ، الملك ، الفاعلية ، والانفعالية – وهو يرى أن الحواس هى المصدر الوحيد للمعرفة وأن القوانين العامة ليست الا أفكاراً معممة ، وهى ليست فطرية بل تكونت من مشاهدات للأشياء المتماثلة فهى مدركات وليست أشياء .

وهو يقرر مبدأ عدم التناقض بوصفه الشيىء البديهى فى المنطق كله . فالصفه الواحده لايمكن أن تكون من صفات الشيىء الواحد ومن غير صفاته فى العلاقه الواحده (الشيىء لايمكن أن يكون هو.. هو وليس هو فى الوقت الواحد ومن جهة واحده) . ومثله الأعلى فى الاستدلال المنطقى وهو القياس .مكون من ثلاث قضايا ثالثتها نتيجة محتومه للقضيتين الأوليين واذا اريد تجنب الوقوع فى خطأ افتراض صحة ما يراد إثباته ، وجب أن يسبق القياس استقراء واسع يجعل قضيته الكبرى مرجحة . والاستقراء هو كيف نحصل على بدايات لا تقبل البرهان لنستمد منها الاستنباط . (قد لا ينطبق ذلك حالياً) .

7) نظرية النفس : كلمه " Psyche " التى تترجم عادة بأنها " نفس " هى فى الواقع ذات معنى أوسع ، فللنبات كما للحيوان " نفس " لأنها " حيه " ويمكن ترتيب الكائنات الحية وفقا لتعقد قواها: فالنباتات ليس لها من قوة سوى الاغتذاء والتناسل وبعضها له أيضاً قوى الإدراك الحسى والحركة والأشتهاء .أما أفراد الانسان فلهم بالإضافة الى ذلك قوة التفكير . ومناقشه أرسطو الرئيسية لهذه الوظائف النفسية المختلفة موجودة فى كتابه " فى النفس " والذى يحتوى أيضاً على نظريته العامة فى النفس وعلاقتها بالبدن .

والانسان الميت ، وهو بدن بلا نفس ، ليس إنساناً بالمعنى الدقيق لأنه ينقصه تلك القُوى التى تتحدد بتوافرها ماهية الإنسان – لأن الانسان (وكذلك أى حيوان أو نبات) هو بدن ذو نفس ، فالنفس صورة البدن كما يكون البصر صورة للعين فإذا ما انقطع الابصار كفت العين عن أن تكون عيناً الاَّ بالاسم ، فهى لم تعد عيناً حقيقيه كما أن عين التمثال ليست حقيقيه .

والنفس التى هى قوه الحياة لايمكن أن توجد فى أى بدن وفى كل بدن ، فلا يستطيع أن يحصل على الحياه الا بدن ذو اعضاء ملائمة .

8) مابعدالطبيعه (الميتافيزيقا) : يبدى أرسطو رأيين فيما يتصل بما بعد الطبيعة – أول الرأيين أنها دراسة الجوهر المفارق الذى لا يتغير أى أنها علم الإلهيات ، والرأى الآخر هو أنها ليست علماً جزئياً يتناول نوعاً خاصاً من الوجود ، لكنها تدرس " الوجود بما هو كذلك بالإضافة إلى بعض المدركات العقلية وبعض المبادىء المشتركة بين جميع العلوم الجزئية (كقانون عدم التناقض) ولم يكن أرسطو ملحوظ النجاح فى توفيقه بين هذين الرأيين ، فالجانب الأكبر من كتاب " مابعد الطبيعه " يدور حول الميتافيزيقا بالمعنى الواسع. ومن بين آراء أرسطو الغزيره فى هذا الموضوع نذكر : أنه لابد أن يكون هناك" محركا أول " غير مادى أزلى ويسميه " الله " وإن كان هو نفسه غير قابل للحركه يسبب الحركة بوصفه موضوعاً للرغبة والحب – حياته فاعلية مستمرة وفاعليته كاملة وتامة فى كل آن . والفاعلية الوحيدة التى يمكن نسبتها إلى الله هى التفكير الخالص ، المعرفة لا تنقطع ، فلابد أن يتعلق التفكير الألهى بذاته (مادام هو أعظم الأشياء) ، والسماوات الخارجية والكواكب كائنات حية يحركها شوق إلى محاكاة الفاعلية الازلية التى لله.

9) الأخلاق : لا شك أن كتاب " الأخلاق النيقوماخية" واحدٌ من أفضل الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع على الإطلاق . وفيه يتكلم عن الحياة الجيده – الخيّره ، فالجودة ليست اسماً لصفة واحدة ، فثمه أشياء مختلفة توصف بالجودة لأسباب مختلفة .أما عن الفضيلة الخُلقية ، فالفضائل الخلقيه كالمهارات تُكتسب بالمران ، والفضيلة الخلقيه تُعْنى بالمشاعر والافعال ، ومن المشاعر والافعال ما قد يكون فيها من إفراط . أما الفضيلة فهى القدر الصحيح أى الوسط ، وهى اختيار بين رذيلتين متضادتين ، فالكرم وسط بين الشح والتبذير ، والحصافه هى أن يهتدى الشخص الى الوسط ، والشجاعه وسط بين الجبن والتهور .وعن الفضيلة العقلية أو " الحكمة العملية " تمكن الانسان من الحصول على الاجابات الصحيحة عن مشكلات السلوك العملية ، وهى تتضمن المهارة فى التروى. أما " الحكمه النظرية " فهى تُعنى بـ " مالا يمكن أن يكون خلاف ذاته " وهى تتضمن معرفة حدسية ببدايات لا تقبل البرهان ومعرفة برهانية بما يترتب عليها .

10) السياسة : فى كتاب السياسة يحاول أرسطو أن يبين طبيعة الدوله، والغرض منها ، وماهى أفضل الدساتير والقوانين . وقام بتحليل للمعانى السياسية (كالدولة – المواطن – القانون ... الخ) .

11) الفيزياء : دراسة الطبيعة تتضمن دراسة الأشياء الحيه ، فكتاب الطبيعة يتضمن مناقشة وتحليلاً لأفكار من قبيل الطبيعة ، والتغير ، والمصادفة والزمان والمكان والاتصال واللانهاية والنمو – كما يتضمن أدلة على أن الحركه أزلية وان هناك محركاً أول أزلياً .

12) علم الحياة : هو ميدان أرسطو الحقيقى – وقد استعان بتلاميذه لجمع المعلومات وينبههم للأشياء التافهة فيقول " ليس فى الأشياء الطبيعية ما يخلو من الأعاجيب ، واذا ما احتقر الانسان التفكير فى الحيوانات الدنيا فإن عليه أن يحتقر نفسه .وهو يقسم المملكة الحيوانية قسمين : ذات دم ، وغير ذات دم (فقاريات ولا فقاريات) ، ثم يقسم الحيوانات غير ذوات الدم الى صدفية وقشرية ورخوة وحشرات . ويقسم الدموية الى اسماك وبرمائيات وطيور وثدييات .

ويبحث فى أعضاء الجسم فى الجهاز الهضمى والاخراج والحس والحركة والتكاثر والدفاع – كما يبحث فى أنواع الأسماك والطيور والزواحف والقردة ، وفى فصول التزاوج وطريقة حملها صغارها – وفى ظواهر البلوغ والحيض والحمل والاجهاض والوراثه ، كما يبحث فى مواطن الحيوانات وهجرتها ومايعيش عليها من طفيليات وما ينتابها من الأمراض وفصول النوم والسبات – ويشرح حياة النحلة شرحاً وافياً – وله ملاحظات مثيرة كقوله إن دم الثيران يتجمد أسرع من دماء معظم الحيوانات الأخرى ، وأن بعض ذكور الحيوان كالجدى قد تدر اللبن ، وأن الخيل ذكوراً واناثاً اكثر الحيوانات شهوانية بعد الانسان .

ويقول إن حياة الإنسان تدور حول بؤرتين الأكل والتوالد . ويرى أن الخواص المميزة للجنس تظهر فى الجنين قبل غيرها من الصفات ، ثم تليها الخواص المميزة للنوع ثم الخواص المميزة للفرد – وأن خصوبة الكائن الحى بوجه عام تتناسب تناسباً عكسياً مع تعقد تطوره.

وهو يرى أن القرد صورة وسطى بين الانسان وغيره من الحيوانات التى تلد – وهو يقترب فى بعض الأحيان من نظرية النشوء والارتقاء .

وعامة يرى أرسطو أن الإنسان حيوان ولهذا أخذ يبحث فى الآسباب الطبيعية لما بين الاثنين من فروق التشريح (التشريح المقارن).

فيلون

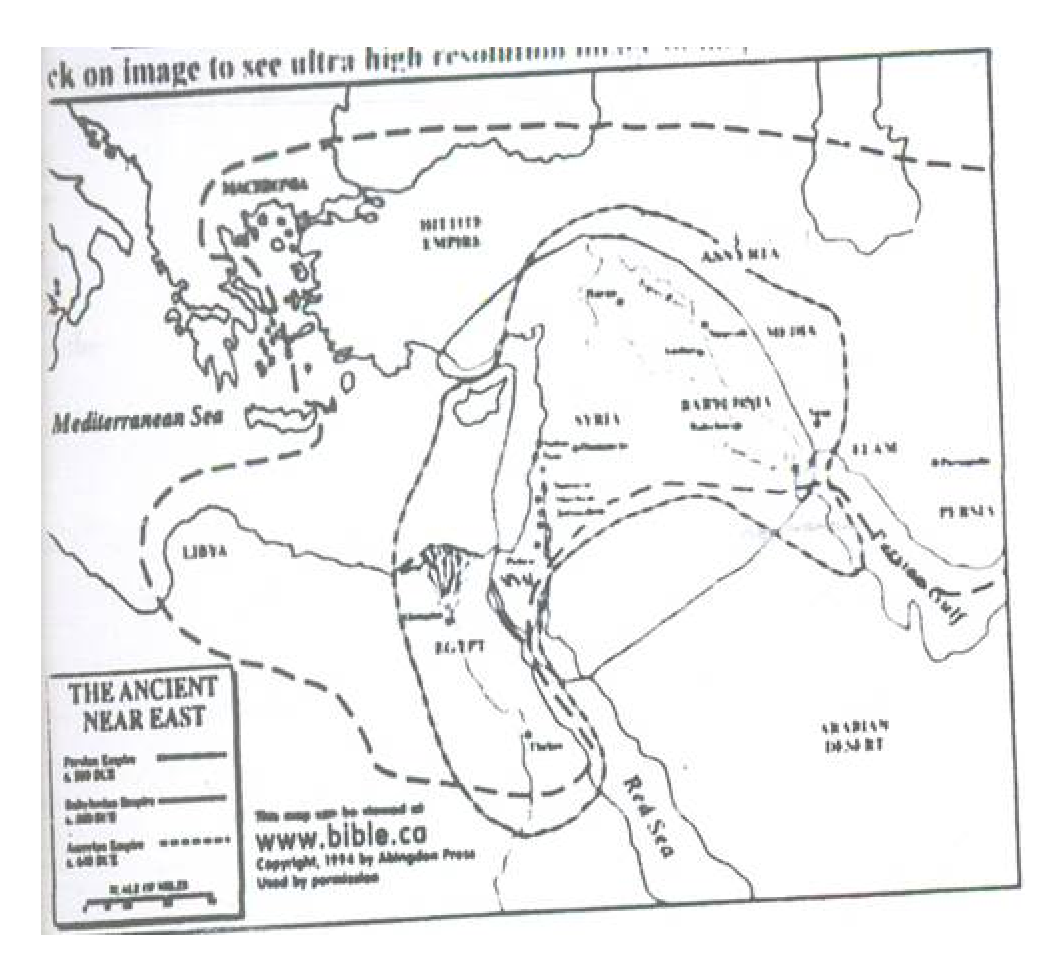
40ق م – 40 م

مفكر يهودى لاهوتى يعبر عن النزاع القوى بين الفلسفة والدين (اليهودى) ويجمع بين الثقافة اليونانيه والتفكير اليهودى – فهو يؤمن بالتوراة ومصدرها الالهى . واتخذ طريقة " التفسير الرمزى " فى فهم النصوص الدينية وتوفيقها مع الفكر اليونانى ، ويرى أن الافكار اليهودية توجد بالتمام فى الفلسفة اليونانية ، وفى كتابات التوراة من ناحية النص والمعنى ، فإنه اتخذ من المعنى ، الرمز أو الروح على حساب النص الحرفى .

ويضع فيلون اللا متناهى فى الدرجة الأعلى من المتناهى (الذى يشمل على صفات محدوده أو نهائيه) منقلباً بذلك على الفكر اليونانى ، اما اللا متناهى فلا يمكن حصر صفاته (السلب) .. ويصف الله بهذا فهو اللا متناهى مقابل المتناهى ، الحاوى مقبل المُحوى ، الثابت مقابل المتغير ، والدائم مقابل الزائل ، والكامل مقابل الناقص ، والابدى مقابل الحادث أو المخلوق .

ويرى فيلون أن الله موجود بلا كيف ولا يلقى عليه أية صفة – فنقول إنه فاضل أكثر من الفضيله وخَيرْ أكثر خيراً من الخير ، وحكيم أكبر حكمه من الحكمه ، وقادر أكثر قدرة من القدره .. وهكذا لا تستطيع أن نضيف الى الله إلاَّ هذه الصفات السلبية ، والنموذج الوحيد للصفات الايجابيه فى الله هى الوجود ، كما يضيف الخير والقدرة .. فعن الخير كل مايفعله الله خير ، وكل مايصدر فى العالم من شر لايمكن إضافته الى الله .. لأن الشر يصدر من المادة ، أما عن القدرة فالأصل عند الله دائما أنه يفعل ، وهى قدرة عليا بها يتم حدوث الأشياء وتحركها وكل ما يجرى فى الكون من أحداث – ويتم هذا بعدة وسائط .. هى القوى الالهيه . وتتضمن هذه القوى الأولى نماذج يُخلق على غرارها ما هو موجود (صور أفلاطونيه) ، والثانية نوع القوى العنصرية السائدة فى الطبيعة عند الرواقيين ، والثالثة الملائكه فى المعتقدات اليهوديه والرابعه الجن فى المعتقدات الشعبية اليونانية .

وفكرة الوسائط هذه والتى من خلالها يُدرك فعل الله وأثار هذا الفعل تقود إلى فكرة " الكلمه " أو اللوجوس . هذا اللوجوس يذكر مراراً فى التوراه ولعب الدور الاساسى فى المسيحية والذى جاء تفصيليا فى انجيل يوحنا .(يوسف كرم)



تعاقب الممالك الآشورية، البابلية والفارسية

الامبراطوريه السلوقيه

امتد العصر الهلينى بعد وفاة الإسكندر ولم تنته الحضارة اليونانيه – بل ظل المد الهلينى مسيطراً على أنحاء الامبراطوريه خاصة فى آسيا ومصر وشرق أوروبا .

*سلوقس 316 ق م:

(نيكاتور) أو المظفر – كان أحد قواد الإسكندر ، وأصبحت بابل من نصيبه . وكانت بداية انتصاراته عام 312 ق م على انيتجونس الثانى بمساعدة بطليموس – ويعتبر هذا التاريخ بداية الامبراطوريه السلوقيه . نجح سلوقس فى ضم عدة ممالك تحت نفوذه مثل فارس وبابل وآشور وسومر وسوريا وفينيقيه وآسيا الصغرى وفلسطين . ولإمتداد الامبراطورية أنشأ سلوقس عاصمتين واحدة فى الشمال " سلوقيه " موقع بغداد الآن ، بالقرب من ملتقى النهرين : دجله والفرات ، أما العاصمة الثانيه فكانت " انطاكيه " على نهر العاصى بالقرب من المصب . وبذلك كانت سلوقيه مركزاً للتجاره فى الشرق الى ما وراء الخليج الفارسى ، وانطاكيه مركزاً لاجتذاب التجارة عبر البحر الأبيض وسوريا ومصر . وقد ازدهرت هذه المدينة واصبحت من اغنى المدن ومركزاً تجارياً وثقافياً هاماً ، واغتيل سلوقس عام 281 ق م بعد أن ظل فى الحكم 35 سنه ، واعقب موته اضطرابات ومنازعات على الحكم ، وخلفه انتيوخس الأول المسمى سوتر أو المنقذ – وتبعه انتيوخس الثانى أو ثيوس (الاله) والذى ساهمت زوجته " لأوديسى " فى المؤامرات وتسببت فى القضاء عليه.

*انتيوخس الثالث (الكبير) (223 – 187 ق م):

كان ملكاً شجاعاً مثقفاً شجع الحركة الادبية والعلمية ، وحافظ على استقلال المدن بحكمها الذاتى ، ومن مأثور قوله ، رساله بعث بها لحكام هذه المدن يقول فيها " اذا أمرت بشيىء يخالف القوانين ، فعليكم إلاّ تعيروا هذا الامر التفاتاً لكن يجب أن يفترض أن مافعلته كان عن جهل " – وقد استعاد معظم المناطق التى فقدت فى العهد الذى سبقه . لكن ضاعت منه فينيقيه وسوريا وفلسطين عام 217 ق م عندما هزمه بطليموس الرابع فى موقعة رافيا . لكنه استطاع أن يعوض هذه الهزيمه بحملة مظفرة الى بكتريا والهند عام 208 ق م – وفى تحالف مع هاينبال أرسل جيشاً لمحاربة رومه ، فهزمه الرومان واجبروه على التقهقر .. وتورط فى حروب أخرى انتهت بموته بعد أن حكم ستة وثلاثين عاماً .

*سلوقس الرابع : فيلوباتير 187 – 175 ق م:

لم تحدث أيامه أحداث تستحق الذكر فكان مسالماً وحكيماً واغتيل عام 175 ق م، وانتقم ابنه الأصغر " ارخونا " لمقتله وزحف إلى انطاكيه وخلع قاتل ابيه واعتلى العرش .

*انتيوخس الرابع (ابيفانوس) 175 – 164 ق م:

كان شخصيه معقدة التركيب ، قضى أربعة عشر عاماً فى مقتبل عمره فى روما فتأثر بالأنظمه الجمهورية ، فإفتعل شعاراً من الحريه فى الحكم رغماً عن سلطته المطلقه . كان يهيم بالفنون والترف والأدب والفكر اليونانى ، كما يحب الخمر والنساء ، وفى عهده اقيمت المعابد ودور التمثيل

وادخل ألعاب المصارعه الحرة حتى الموت . بدأ حياته رواقيا وما لبث أن انتهى الى الابيقوريه ، ونقش على النقود فى أيامه أنه (الإله البين).

وحول نشاطه الحربى ، حاول الاستيلاء على مصر لكن روما اجبرته على الانسحاب ، لكنه توجه إلى أورشليم ونهب الهيكل – واخيراً مات فى فارس وهو فى طريقه لقمع بعض القبائل الشرقيه .

*التدهور السلوقى:

بدأ الحكم السلوقى فى الضعف والفناء ، حيث قامت ممالك مستقلة فى انحاء الامبراطوريه السلوقية ، وساندت هذه النزعة الانفصاليه روما ومصر وبرجموم وبارثيا ولم تبق سلطة سلوقيه الا فى سوريا .وساعد فى إضعاف المملكه تعدد المطالبين بالعرش ، فدب الإنشقاق وقامت الحروب الأهليه .

وظهر فى الأفق دمتريوس الأول (سوتير) 162 – 150 ق م ، وبعد محاولة لاعادة القوة للحكومه السلوقية ، قامت رومه عام 153 ق م بجيش من المرتزقه بالهجوم على دمتريوس بمعاونة مصر وبرجموم – وقاوم هذا الملك الهجوم ببطولة لكنه خر قتيلاً .

آلت سلطة السلوقيين بعد ذلك إلى ملوك ضعاف كانوا العوبه فى يد روما .

اسكندر بالاس 150 – 145 ق م

ديمتريوس الثانى (نيكاتور) 145 – 145 ق م

انتيوخس السادس 145 – 138 ق م

انتيوخس السابع 138 – 129 ق م.

*الحضارة السلوقية:

احتفظ الملوك السلوقيون بنظام الملكية المطلقة بغير تواجد سلطات شعبية – وكان الحكام والأشراف يعينهم الملوك ، بَيْدْ أن التواجد اليونانى فرض ذاته ، وتقرباً منهم عمل السلوقيون على إنشاء مدن كثيرة لليونانيين فأنشأ سلوقس الأول تسع مدن باسم سلوقية وستاً بإسم انطاكيه وخمساً باسم أوديسا وثلاثاً باسم أباميا بجانب ستراتونيس واصطبغ بذلك غرب آسيا بالصبغة اليونانية واجتذب سيلاً من المهاجرين من جميع الحرف والمهن .. وانتشر الفساد الجنسى والخلقى بجانب ثقافة مزدهرة متعددة خصبة .. صورة من الغرب اليونانى آنذاك .

لكن خصائص الشرق ظلت ثابتة فاللغة ظلت تجرى على الألسنة تسبح نفس الآلهة التى كان يعبدونها أجدادهم . ويمكن القول بأن العكس صحيح ففى الوقت الذى احتفظ الشعب بلغته المسماريه هبطت اللغه اليونانية للمرتبه الثانية فى عالم الأعمال ، وتفوقت الملكيه المطلقه على الديموقراطيه اليونانية وأصبح ملوك اليونان وأباطرة روما آلهة فيما بعد .

أما عن الآلهة ذاتها فقد تفوقت آلهة الشرق على حساب آلهة اليونان وكما يقول " ول ديورانت " " اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة ، والشرق عرض على اليونان الدين " وكانت الغلبه للدين لأن الفلسفة كانت ترفاً للأقلية الضئيلة أما الدين فكان للقاطبه ، ولذلك استعاد الدين سلطانه فى هذا التبادل التاريخى بين الايمان والكفر والنزعه التصوفيه والنزعه الطبيعية ، والدين والعلم – وبذلك اصبح لفتوحات الإسكندر الفضل فى إصطباغ الروح الأوروبيه بالصبغة الشرقية .

مصر والبطالمه

بعد نهاية الحكم الفارسى الثانى – وبنهاية حكم دارا الثالث 335 – 332 ق م توقف تاريخ الفراعنة – ودخلت مصر فى عداد الدول الهلينية عن طريق دبلوماسيتها ومؤسساتها ونظمها وحضارة الاسكندريه ، وتسربت الحضارة الفرعونيه الى مملكة البطالمة ثم فى ظل الحكم الرومانى – فقد ظلت طبيعة الفرعون المقدسة ، ولم تؤثر الهجرات الأوروبيه فى السمات البشريه وظل المصرى محتفظاً بلغته القديمة التى أصبحت القبطية هى آخر صورة لها ، كما بنيت المعابد الكبيرة فى دندره وفيله وإدفو من القرن الثالث إلى الثانى ق م . وكذلك معبد إسنا .

واحتفظ آخر الفراعنة (اسرة نباتا الثانية) ، بمركز قوى فى السودان ، وعندما نقلت العاصمة من نباتا الى مروى – عند التقاء النيل بعطبره ، تأثر الفن الفرعونى الكوشى تدريجياً بذوق الشعوب النيليه وهكذا نشأت الحضاره النوبية التى خلفت لنا معابد آمون الضخمة واهرامات مروى .

وفى القرن الثالث الميلادى كانت الحضاره الفرعونية تصارع من أجل البقاء صراعها الأخير ولم تلبث أن إنهارت هى وآلهتها أمام المسيحية.

*بطليموس الأول (سوتر):

كانت مصر بعد الإسكندر من نصيب احد قواده " بطليموس ابن لاجوس " . بدأ حكمه بنقل جثة الإسكندر الى منفيس وأودعت داخل تابوت من الذهب – وتزوج " تاييس " عشيقة الأسكندر ورزق منها بولدين – بذل بطليموس جهوده فى تنمية الزراعة والصناعة والتجارة ، كما أنشأ اسطولاً عظيماً ، ومهد بذلك لخلفه أن يبسط نفوذ مصر على قبرص وكريت وسوريا وفلسطين وفينيقيه وغيرها – وقد أنشأ فى عام 290 ق م دار العاديات والمكتبة التى قامت عليهما شهرة الاسكندريه . ولما بلغ الثانية والثمانين من عمره أجلس ابنه " بطليموس فلدلفس " مكانه على العرش ومات بعد ذلك بعامين.

*بطليموس الثانى:

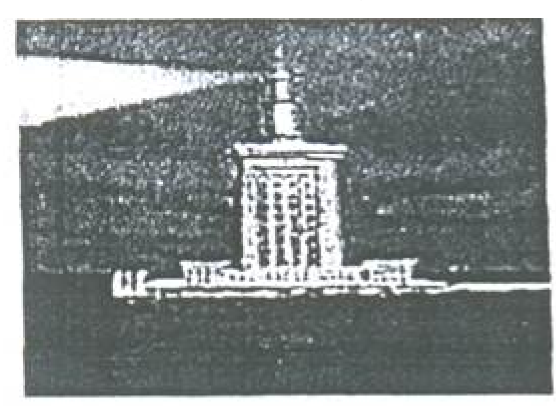
كان شخصية تبحث عن ملاذ الحياة فى كل نواحيها واستقدم الى الاسكندريه أشهر الشعراء والعلماء والفنانين ومشاهير الفلاسفه وعلماء الطبيعة واستضافهم ، وزين العاصمة بالمبانى الفخمه على الطراز اليونانى ، فأزدهرت الاسكندرية وأصبحت عاصمة بلاد البحر الأبيض المتوسط .

*مكتبة الاسكندريه:

يرجع الفضل لإنشاء مكتبة الاسكندرية الى " ديمتريوس فليرم " الذى هرب من أثينا عام 307 ق م ولجأ إلى بلاط بطليموس الأول واقنع الأخير أن ينشىء متحفاً للعلوم والفنون ، كما أقنع بذلك ايضاً ابنه بطليموس الثانى . ونشط ديمتريوس فى جمع الكتب فى جميع أنواع المعرفه كذلك الحيوانات والنباتات ، وأشار بأن تقام مبان لحفظ هذا التراث من الكتب بجانب إقامة مساكن للعلماء الذين يقومون بالبحث العلمى .

وقامت " الجامعة " بالقرب من القصور الملكية – وكانت تحوى ردهات وبهواً ورواقاً وقاعة للمحاضرات وحديقة ومرصداً فلكياً ، والمكتبة الكبرى . وكان رئيس هذه الجامعة كاهناً دينياً . وكان

يضم هذا المكان فلكيين وكتاباً واطباء وعلماء فى الطبيعة جميعهم من اليونان يتقاضون مرتبات من الدولة – وبداية تفرغ هؤلاء العلماء للبحث لكن فيما بعد حينما ازداد عدد الطلاب قاموا بإلقاء المحاضرات – ولكن لم يفقد هذا الصرح سمته الأصليه كمعهداً للدراسات الراقية ، ويعتبر أول مؤسسة فى العالم أقيمت للبحث العلمى والادبى .



فنار الإسكندرية

*فنار الاسكندريه:

أحد عجائب الدنيا السبع القديمه أقيم فى عهد بطليموس الثانى عام 290 ق م واستغرق تشييده عشرين عاماً . ويعتبر أول فنار فى التاريخ وأعلى بناء باستثناء الهرم الأكبر . وأشرف على هذا البناء العظيم المهندس " سوستراتس النيرى " وحينما أراد أن يخلد اسمه رغماً عن ارادة بطليموس كتب لافتة " سستراتوس النيرى ، بالإنابه عن جمع البحاره يقدم هذا العمل الى آلهة الخلاص " وغطى هذه اللافتة بالجبس وكتب على واجهته اسم الملك بطليموس وبمرور الايام تساقط هذا الشاهد الذى يحمل اسم الملك وبقى اسم سستراتوس – بُنى هذا الفنار فى جزيرة فاروس وحمل اسم الفنار بعد ذلك . وانفق على هذا البناء ثمانمائه وزنة . وكان يعلو بُروج متراجعة الى ارتفاع أربعمائه قدم ويغطيه الرخام الأبيض وتماثيل من هذا الرخام والبرونز . وقد وُضع فوق القبه المقامه على الأعمده التى تحمل الضوء تمثال اله البحر " بوزيدون " يبلغ إرتفاعه واحداً وعشرين قدماً . وكان الضوء ينبعث من نار وقودها الخشب الراتنجى وينعكس من مرايا محدبه بحيث يُرى على بعد 38 ميلاً .

ومحل جزيرة فاروس الآن ، حى رأس التين . وظل هذا البناء شامخاً الف وخمسمائة عام لكن حطمه زلزالا عامى 365 ، 1303 ميلاديه ثم انهار عام 1326 ميلاديه . وقد عثر بعض البحارة المستكشفين مستخدمين احدث الوسائل التكنولوجيه على بعض الحجارة والتماثيل ، ووجدوا أن الكثير من هذه الحجاره ترجع الى عصور أقدم من عصر بناء الفنار ، ويرى بعضهم أن هذه الحجارة اعيد استخدامها من مبنى أقدم .

*بطليموس الثالث (أورجيتس):

كان ملكاً من طراز تحتمس الثالث بدأ زحفه على بابل ثم واصل زحفه حتى بلغ الهند . أما " برنيس " زوجته فقد عبرت عن نشوتها بإنتصاراته بأن وهبت خصلة من شعرها للآلهه وتَغَنَّى الشعراء بهذه القصة ، وسمى الفلكيون إحدى المجموعات النجميه باسم " كوما برنيسيز " أى شعر برنيس .

*بطليموس الرابع (فلوباتير) :

سار فى طريق والده فى حروبه وانتصاراته وأحرز النصر على أنتيوخس الثالث عام 217 ق م بجيش مصر ، وحينما أصبح لهذا الجيش المصرى الوطنى القوة بدأ يُقَوضْ سلطة اليونان.

وانغمس فلوباتير فى اللهو وأدخل عيداً يسمى عيد " البكاناليا " فى مصر . واختفى من التاريخ بعد أن قتلت عشيقته زوجته عام 205 ق م .

أعقبت موت فلوباتير فتره من الفوضى أوشك خلالها فيليب الخامس المقدونى وانتيوخس الثالث السلوقى أن يضما مصر الى بلادهما ، الا أن روما التى عقد معها بطليموس الثانى معاهدة صداقة تدخلت وهزمت فيليب وأرغمت انتيوخس أن يعود لبلاده – وبسطت روما حمايتها على مصر عام 205 ق م .

*بطليموس الخامس (ابيفانس) (203 -181 ق م) وبطليموس السادس "فيلوميتور" (181- 145 ق م):

انهكت المنازعات القائمه بين أفراد الأسره المالكه قوة الدولة ، ودخلت مصر عهداً من الاضمحلال فى الزراعة والصناعة وإهتز الأمن والسلام .

وكان انتيوخس قد إستسلم لإرادة روما ، التى كانت تريد وقتئذ من جانبها فرض وصايتها على مصر ، خاصة عندما تعلم انه قد حدثت فتنه فى جيش انتيوخس، غير أن الأخير لم يلبث أن استرد قوته وتحالف مع هانيبال عدو روما اللدود ، واخذ يعمل على التحالف مع مصر من جديد عن طريق المصاهره . وفعلاً زوج إبنته " كليو باترا " من بطليموس الخامس ، زاعماً أن السلام سيحل بين الاسرتين ، ويبعد نفوذ روما عن مصر .

وقد قدم انتيوخس " سوريا الجوفاء " مهراً لإبنته ، غير أن هذا المهر كان مثاراُ للمنازعات بين البلدين بسبب الغموض الذى شاب هذه الوثيقه . وقد تم هذا الزواج عام 193 ق م فى مدينة رفح .

وبعد ذلك مات انتيوخس الثالث ، وتولى بعده ابنه " انتيوخس الرابع " - كما توفى بطليموس الخامس ، وتولى بعده " بطليموس السادس " ، وهو لا يزال طفلاً تحت وصاية الملكه كليوباترا ، وحرصت الاخيره على الولاء لروما للمحافظة على مُلْك إبنها . ثم ماتت كليوباترا وهى شابة وبعد موتها وُضع بطليموس الصغير تحت وصاية " يولاوس " ، " لناوس " وعند بلوغه سن الرشد تم تتويجه ملكاً وتزوج من أخته " كليوباترا الثانيه" .

وبسبب النزاع حول تنفيذ وثيقه التنازل عن سوريا الجوفاء ، مهر كليوباترا الاولى ، قامت المنازعات بين بطليموس السادس وأنتيوخس الرابع ، انتهت بهزيمة مصر واستيلاء انتيوخس عليها .

لم يرض المصريون عن هذا الوضع، وقاموا بخلع بطليموس السادس وتولية اخيه " بطليموس السابع " عرش البلاد – ثم تدخل انتيوخس الرابع واعاد بطليموس السادس للحكم ، لكن هذا الأخير وجد أنه من الأصوب أن يتفق مع أخيه بطليموس السابع ، وانتهى الأمر بأن حكما البلاد معاً . غير أن دوام الاتفاق بين الأخوين لم يدم طويلاً ، فقامت المنازعات بينهما الى أن مات بطليموس السادس ، بعد أن ضم سوريا الى مصر .

وبعد انفراد بطليموس السابع بالحكم ، تزوج من أخته " كليوباترا الثانيه " واشركهامعه فى الحكم . ثم تزوج من ابنة " كليوباترا الثانيه " وتدعى " كليوباترا الثالثه " واشركها كذلك فى الحكم . بذلك أصبح كل من بطليموس السابع وكليوباترا الثانيه وكليوباتراه الثالثه ، يحكم البلاد بوصفه ملكاً – وتكررت هذه الصوره من الحكم والتى نرى فيها المرأه تحكم جنبا لجنب مع الملك حتى نهاية العهد البطلمى أى فى عهد كليوباترا العظيمه . ودام حكم هذا الملك – كما يدعى هو – أربعة وخمسين عاماً ، متجاهلاً الفترات التى لم يحكم فيها بمفرده وبذلك يكون حَكَمَ مابين عامى 170 ، 116 ق م .

وقد سارت البلاد المصريه نحو الهاويه ابان حكم هؤلاء البطالسه (بطليموس الخامس والسادس والسابع) ، بسبب ضعف الملوك وإنحلال اخلاقهم وتنازع السلطه بينهم . وأيقظ كل هذا ، الشعور القومى فى البلاد وقامت الثورات مما أدى الى تمزيق اوصال مصر حتى اصبحت الفوضى سائده .

وقد زاد فى إشتداد سوء الحال بالنسبه للملكه كليوباترا الأم وابنها ، انها قد اعلنت جهاراً مساعدتها وميولها لجماعة اليهود وحزبهم الذى كان مكروهاً ومرذولاً فى طول البلاد وعرضها ، خاصه فى الإسكندريه . فقد كانت هذه الفئه الضاله التى لا وطن لها تسعى الى نيل كل الحقوق المدنية التى كان يتمتع بها أهالى الاسكندريه – وقد كان ميلها شديداً لليهود لدرجة انهم كانوا يُمَثِّلون فى البلاط بقائدين للجنود فى الجيش المصرى ، ويذكر " يوسيفوس " ان هذين القائدين قد ادارا الحرب الاهليه فى بدايتها والتى انتهت بهزيمه الثوار .

وكانت هذه الثوره موجهه ضد شخصيه بطليموس السابع . والذى سمى " البطين " لانه كان قبيح الوجه منتفخ الجسم بطيناً بديناً مترهلاً ، هذا بخلاف جرائمه وشره ، وقد قتل – يوم زفافه بكليوباترا – ابن اخيه وهو بين ذراعى والدته كليوباترا .

وعند اشتداد الثوره ضد هذا الملك هرب الى قبرص (130 ق م) ، ولكنه عاد مرة أخرى الى الاسكندريه على رأس اسطول وجيش كبيرين . وأخذ يطعن فى السن ، وأمضى السنين السبع الأخيره من عمره (123 -116 ق م) فى تنظيم احوال اسرته ، بعد أن تدخل سنين عدة فى شئون سوريا دون نتيجه فعاله ، كما أخذ يكفر عن سيئاته وما ارتكبه من اثام.

أما الملكه كليوباترا الثانيه فقد فرت الى انطاكيه حاملة معها ما فى خزائنها من نقود ومتاع فى السفينه التى اقلعت بها الى ملجئها الجديد . ولكن بعد ذلك عادت الى الاسكندريه عام 124 ق م بعد أن تم الصلح بينها وبين بطليموس ، لتأخذ مكانها على العرش بوصفها الملكه الأخت بجوار ابنتها كليوباترا الثالثه الملكه الزوجه .

أما كليوباترا الثالثه ، فقد اعاد لها بطليموس سوريا ، وهناك خانت زوجها ديمتريوس ولم تعارض فى قتله ، وبعد ذلك أمرت بقتل ابنها الاكبر (سليوكس الخامس) الذى استولى على لقب ملك دون اذن منها عام 125 ق م . وفى محاوله من هذه الملكه السافكه للدماء أن تقضى على حياة ابنها انتيوخس – بدس السم له فى الكأس ، رفض ذلك لعلمه المسبق لنية والدته ، واجبرها على أن تجرع هذا الكأس وبذلك قضت نحبها بيدها .

ويتوالى الحكام البطالمه على حكم مصر ، فيذكر بطليموس العاشر (سوتر الثانى) ، ثم الحادى عشر (اسكندر الاول) .

أما بطليموس الثانى عشر فكان يعيش فى روما ، فلما علم أحد القواد ويدعى " سيلا " بأن " كليوباترا برنيقه " تولت العرش ذلك الوقت وكانت محبوبه من الاسكندريين ، اوعز الى هذا الأمير بالسفر الى الاسكندريه ليتزوج من الملكه ، فتزوجها .. وقتلها بعد اسبوعين من الزواج وحكم وحده ، وثار اهل الاسكندريه عليه فقتلوه فى الملعب الكبير (80 ق م) .

ثم يأتى بطليموس الثالث عشر أو ديونسيوس الجديد المكنّى بعازف الناى (اوليتس) أو الزمار ، وهو ابن كليوباترا المشهوره (80 – 51 ق م).

وفى عام 51 ق م تولت كليوباترا الشهيره واخوها بطليموس الرابع عشر العرش ، تحت وصاية مجلس شيوخ روما ولكن طرد الغلام أخته وحكم وحده بمعونه ثلاثه من الأوغاد . وحدث اثناء حكمه أن التجأ القائد بومبيوس الى مصر بعد هزيمته فى فارساليا ، واستقبله بطليموس ومعه اوصياءه ، وتم ذبح بومبيوس فى القارب الذى حمله من السفينه قبل أن يصل الى الشاطىء ، على مرأى من زوجته ورجاله على السفينه .

وفى عام 48 ق م نزل يوليوس قيصر الاسكندريه ، وناصر كليوباترا على اخيها الذى حاول العوده الى عرشه فقهرته جنود قيصر وغرق فى النيل .

وعندما عين قيصر دكتاتوراً فى روما ، عَيَنْ أخاً ثانياً لها شريكاً فى الحكم هو بطليموس الخامس عشر (عام 47 ق م) وهو حدث ابن أحد عشر عاماً . وقُتِلَ هذا بتدبير أخته، التى اقامت طفلها من قيصر (قيصاريون) شريكاً لها وسمى بطليموس السادس عشر (42 ق م) .

وفى عام 44 ق م قتل الجمهوريون يوليوس قيصر فى مجلس الشيوخ الرومانى . وبين عامى 41 ، 30ق م تنتهى حقبة حكم البطالمه ، فقد استدعى مارك انطونيوس كليوباترا الى طرسوس بكليكيا ، بحجه امور سياسيه ، ووقع أسير غرامها ، وعاشا حياة استهتار وتبذل اعواما طويله حتى انتهى الأمر بأن اعلنت روما الحرب على كليوباترا ، وقرر مجلس الشيوخ ان انطونيوس عدو الوطن . وقاد اكتافيوس قيصر ، حفيد يوليوس ، جيش روما واسطولها ، وهزم اسطول انطونيوس فى موقعة " اكتيوم " ، وبعد عام استولى على الاسكندريه ، وانتحر انطونيوس بالسيف.

*مصر والعهد الرومانى (30 ق م):

دخلت مصر تحت حكم روما بإعتبارها ملكاً خاصاً للامبراطور اغسطس قيصر (اكتافيوس) واوفد اليها مندوباً من قبله . وتابع الامبراطور سياسة البطالسه فى ممالأة الكهنه المصريين ، واسرع هؤلاء الى اعتباره فرعوناً من نسل الآلهه – وكان أول الولاه الرومانيين الشاعر " كورنللوس جاللوس " .

وفى عهد اغسطس قيصر بدأ العمل بالتقويم المصرى المعدل (اليوليانى). وبين عامى 24 ، 23 ق م غزت كنداسه ملكة الاثيوبيين مصر ، وطاردها الوالى الرومانى بطرونيوس .

وفى عهد الامبراطور طباريوس (14 – 37 م) صعد المسيح الى السماء .

*معابد البطالمه وآثارهم:

ترك الملوك الثلاثه : بطليموس الخامس والسادس والسابع ، ميراثاً خالداً من المعابد الدينية العظيمه التى مازالت باقيه حتى الآن ، خاصة معبد ادفو ، ومعبد كوم امبو ومعبد فيله ودندره .هذا خلاف

اللوحات المصنوعه من الحجر التى نقشت باللغات المصريه القديمه والديموطيقيه والإغريقيه معاً ، وعثر عليها فى جهات متفرقه من القطر . كما لم يغفلوا أن يخلدوا تاريخهم بالكثير من النقوش فى معبد الكرنك .

*حجر رشيد :

هذا الأثر الهام الذى حُررَ على لوحة من البازلت الأسود ، يُعَدُ مرسوماً اصدره الكهنه المصريين ليظهروا فيه مالهم من نَفوذ فى البلاد، خاصة وأن بطليموس الخامس اصبح فرعوناً حقيقياً بكل مظاهره الدينيه للمره الاولى فى عهد البطالمه ، ويستعرض الاعمال (المجيده) لبطليموس وافضاله على الكهنه والشعب .

وفى المقدمه نقرأ أنه : فى هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد والكهنه خدام الآلهه والكهنه المطهرون الذين يدخلون قدس الأقداس ، وكتبة كتب الالهه .. الخ جاءوا هؤلاء فى عيد ملك الوجه القبلى والبحرى لأجل أن يتسلم رب الطيبات مملكة والده ، واعلنوا الاعمال العظيمه والهبات التى وهبها للشعب ، كما يلى :

1- الملك بطليموس هو المحسن للمعابد المصريه وكذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضاً.

2- تخفيض الضرائب والجزيه ، والعفو عن المذنبين .

3- تثبيت الدخل القديم للمعابد والضرائب القديمه التى كان يدفعها الكهنه .

4- الاعفاء من الرحله السنويه الى الاسكندريه ، والتى كانت فرضاً على الكهنه .

5- الاعفاء من توريد ثلثى الكتان الذى كان يَورَدْ له من المعابد .

6- اعادة السكينه الداخليه وضمان العفو الشامل .

7- حماية البلاد من الاعداء الاجانب ، وقهر الثائرين فى " ليكوبوليس" .

8- معاقبة زعيم الثوره التى قامت على بطليموس فيلوباتور .

9- الاعفاء من الجزية المتأخره وضرائب المعابد .

10- الاهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهه (العجل ابيس ، والعجل منيفيس) .

11- عزم الكهنه على تمجيد الملك واجداده .

12- إقامة مجموعة تماثيل للملك والآلهه فى كل المعابد ، وإقامة تمثال من الخشب للملك فى محراب من الذهب .

13- اقامة العيد على شرف الملك .

14- يُسَمَى الكهنه بلقب كهنة الملك ، وينقش هذا اللقب على الخاتم الذى فى ايديهم .

15- يجب كذلك على الافراد العاديين أن يشتركوافى تمجيد الملك .

16- يحفر هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب ، تُنْصَب فى المكان المقدس فى المعابد ، وذلك بجوار تمثال الملك .

هذا هو حجر رشيد الذى استطاع العالم الفرنسى " شمبليون " كشف رموز اللغه المصريه القديمه من خلاله .

ويذكر " سليم حسن " فى موسوعة مصر القديمه ، انه قام بترجمة مرسوم " منف " باللغات الثلاثه التى دُوِنَ بها هذا المرسوم، وان هناك إختلافاً بين كل ترجمه واخرى ، وان كان المعنى العام المقصود بهذا المرسوم يمكن الوصول اليه من أى منها . والغرض من تعدد اللغات هو أن يصل الى أذهان كل الشعب المصرى . فالنص الهيروغليفى قد دون لجماعة الكهنه بلغتهم المقدسه التى كانت تستعمل فى صلواتهم وفى نقش معابدهم وتعاليمهم الخاصه ، والنص الديموطيقى لعامة الشعب باللغة العاميه التى يفهمها هؤلاء ويتخاطبون بها . وأخيراً دُوِنَ المنشور باللغه الإغريقيه ، لغة الحكومة .

هذا المرسوم ، وكذلك شبيهه الذى خَطَّهْ بطليموس السابع فى الفتره الأخيره من حياته بعد أن انقلب الى انسان يصدر القوانين العادله ، يظهر هذا المرسوم أن الشعوب لا تقهر ولا تستغل بالقوه وانه لابد أن تنال حقها فى الحياة والكرامه ، خاصة الشعب المصرى الذى لم يتغلب عليه فاتح الا اذا اندمج فيه وتوحد معه .وان من يقرأ مرسوم منف (حجر رشيد) يتضح له أن مصر الحقيقيه لم يؤثر فيها الغزو البطلمى ، ولم يؤثر على اخلاقها وعاداتها ومعتقداتها ، وقد ظلت ثابته على حالتها الأصليه التى كانت عليها فى عهد البطالمة .

الاشتراكيه فى عهد البطالمه

يتصف عهد البطالمه بتجربة هامة فى الاشتراكية الدولية ، بلغت ذروتها لكن مالبثت ان انهارت فى السنوات الأخيرة لهذا الحكم .

*الزراعة:

فقد سيطر البطالمة على جميع الأراضى الزراعيه فى عهد الأسر الحاكمة السابقه بما فى ذلك ما كان ملكاً للأعيان والكهنه ،وأصبحت تدار كأنها مزرعة حكومية ضخمة . وكان يحدد لكل مُزَارع قطعة الأرض التى ينبغى عليه زراعتها ، والمحاصيل التى يجب أن ينتجها ، وتُحمل هذه المحاصيل إلى مخازن الملك – وكان يُستثنى من هذا بعض الحالات التى يُسمح لها بملكيه خاصة لكن بشرط أن تُخصص لزراعة الكروم أو الزيتون – ولا يُسمح بتوريثها , ويمكن للحاكم أن يلغى حق الايجار متى اراد .. لكن بمرور الوقت أقر حق التوريث وتم بذلك التطور المألوف من الملكية العامه الى الملكية الخاصة .

وقد عمل المهندسون المصريون واليونانيون على تحسين وتطوير أساليب الزراعه والرى وتم استبدال الساقيه بالشادوف ، كما أدخل الطنبور وعرفه الفلاح المصرى ذلك الوقت . كما تمت إقامة نظم للتحكم فى فيضان النيل وشق القنوات وإنشاء الطرق – وقد جفف بطليموس الثانى بحيره موريس (قارون) وحول قاعها الى مساحة واسعة من الأراضى الخصبة وشرع عام 258 ق م فى إعادة فتح القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر قرب السويس ، وكان " نخاو " و " دارا " قد حفرا هذه القناه لكن طمرتها الرمال ، كما طمرت قناة بطليموس بعد مائة عام .

*الصناعة:

كانت الدوله تمتلك المناجم وتديرها وتستولى على معادنها – واستغل البطالمة مناجم الذهب فى النوبه ، وكانت لهم عملة ذهبية ، كما سيطروا على مناجم النحاس فى سيناء، واحتكروا صناعة الزيت من بذور الكتان والسمسم وكانت الدولة تستولى على المحصول وتبيعه لتجار التجزئه بالثمن الذى تحدده . والشيء المهم أنهم منعوا المنافسة الأجنبيه بفرض الضرائب الجمركية المرتفعة عليها .

وطبق نفس المبدأ على الصناعات الأخرى مثل صناعة النسيج والملح والبخور والبردى – وكانت الصناعات المتقدمة مثل صناعة العربات والاثاث والابسطة ومواد التجميل تُصنع بكميات وفيره وبالأخص صناعة الزجاج . وتقدمت الأدوات اللولبية والتروس وطارات السيور – كما تقدمت صناعة الصباغة وبالتالى تقدمت كيمياء الصباغه لتنتج ألواناً ثابته.

*التجارة:

كانت الحكومة تشرف على التجارة بأجمعها وتنظم شئونها – وكانت الدولة تمتلك جميع طرق القوافل والطرق المائية بعوائد مرور ، وقد أدخل بطليموس الثانى الجمل فى مصر وأقام مخفراً من راكبى الجمال ليتولى نقل المخابرات الحكومية . وكان للبطالمة أعظم اسطول تجارى فى ذلك الوقت لنقل الغلال إلى بريطانيا وأواسط إفريقيا والصين .

*النظام المصرفى:

كانت الحكومة تحتكر إنشاء المصارف وإدارتها وبقى لمصر حتى هذا العهد قدر من المقايضه التجارية فكانت الحبوب المحفوظة فى المخازن الملكية بمثابة رصيد احتياطى للمصارف .

*التشريع:

تمت إقامة نظام تشريعى أُخذ بعضه عن القانون الأثينى ، وكان لأوامر الملك قوة القانون لكن كانت المدن تتمتع بقسط كبير من الحكم الذاتى والجماعات المصرية واليونانيه واليهودية تخضع كل منها لشرائعها الخاصة . وتختار قضاتها وتحاكم أمام محاكمها .

*انهيار النظام الاشتراكى:

سار هذا النظام قائما أيام بطليموس الأول والثانى . لكن البطالمه بعد ذلك شنوا الحرب وانفقوا مكاسب الشعب على الجيوش والأساطيل والمعارك الحربية ، كما تدهورت أخلاقيات الملوك ذاتهم وشعر المصريون بالاستغلال ، فقد كان الفلاح ينال من محصوله ما يكفى معيشته بالكاد لكن لايكفى لتشجيعه أو إعالة أسرته ، وزاد مقدار ما تنزعه الحكومة منه جيلاً بعد جيل . ولم يعد الناس يطيقون سيطرة الدولة على كل صغيرة وكبيرة ، وبدأ الفلاح يتذمر فبارت مساحات واسعة من الأرض لعدم وجود من يزرعها – أما عمال المناجم فكانوا من العبيد يعملون وهم مثقلون بالأغلال والسياط تلهب ظهورهم .

وبعد أن عم الاستياء ، أخذ هذا شكلاً إيجابياً بالاضراب عن العمل، شمل عمال المناجم والمحاجر والفلاحين والصناع والتجار وبحارة القوارب وتجاوزهم إلى رجال الشرطة أنفسهم، وكذلك المقهورون من المصريين واليهود ، بتشجيع من الكهنه . وبدأ تدخل السلطة لقمع الجماهير فى ثورة عام 216 ق م وتم اخمادها ثم تكررت عام 189 ق م ودامت هذه الثورة خمس سنوات وسيطر البطالمة بقوة جيشهم وبزيادة الهبات للكنهه – وبدأ الانحلال يدب فى مرافق الدولة وخرج الناس عن القانون والأخلاق وقضى على الفنون الخلاقه وفقد المصريون احترامهم لليونانيين والذين فقدوا هم أيضا احترامهم لأنفسهم ..واعتنقوا الديانة المصريه وسلكوا فى طقوسها .. وانغمسوا فى الترف فبدأ الكهنة يستعيدون سلطانهم ومزاياهم وأراضيهم التى أُخذت منهم عنوة .

فى هذا الجو من الفساد والتدهور استولت روما على مصر بغير عناء كبير واصبحت ولايه رومانيه عام 30 ق م .

*التاريخ يعيد نفسه:

فى منتصف القرن الماضى ، قام الجيش فى مصر بانقلاب عسكرى مالبث أن ايده الشعب المصرى ، وكانت من جذور هذه الثورة، هو ما وصل اليه حال هذا الجيش – بعد هزيمة 1948 وقيام دولة اسرائيل – من الغضب وطلب الثأر من قواده الكبار خاصة وزير الحربية ذاك الوقت ، وحول ما أثير عن قضية الاسلحة الفاسدة ، وأزمة نادى الضباط مع الملك ، ومؤامرات القصر ، وحريق القاهره فى يناير 1952 – مع تتابع وزارات ضعيفة كانت تتغير كل عدة شهور وحتى بضعة أيام .

كانت مصر تحت الاستعمار البريطانى وقواته موجوده فى منطقه قناة السويس مما شحذ مشاعر المصريين مؤيدة لرجال الثوره وتم بسهولة غير متوقعه تنازل الملك وخروجه من البلاد – هذا الملك الذى وصف بعد ذلك بأنه فاسد وطاغيه – لكن الحقيقة تخالف ذلك الى قدر ما فهذا الملك

الشاب تواجد فى ظروف سياسيه صعبة فى سن صغيرة بين حاشية غير أمينه يواجه الصراع مع احزاب شعبية قوية فى ظل احتلال بريطانى ومندوب سام متعجرف يفرض عليه الوصاية فى قراراته كما حدث فى أزمة فبراير 1942 بفرض وزارة النحاس باشا عليه قسراً وتهديداً داخل قصره – فالحق أن هذا الملك لم يكن طاغيه بل العكس كان ملكا ضعيفاَ . الأهم أن رجال الثورة كانوا صغار السن قليلى الخبرة ولم يكن فى حساباتهم أنهم سيحكمون الدولة .. فتخبطوا فى قرارتهم . وعند اول مواجهة مع الغرب والولايات المتحده ، وبدلاً من الحوار الدبلوماسى ، عرجوا الى الاتجاه المقابل ذاك الوقت وهو الاتحاد السوفيتى . وبدون دراسة متأنية أعلنوا النظام الاشتراكى فى الدولة ، وتم استيلاء السلطة على كل أنشطة الدولة وتأميم الشركات والمصانع والبنوك وأُسندت إداراتها الى صحبه من الزملاء الضباط فى الجيش وكان المطلوب منهم إدارة هذه المؤسسات المتخصصه التى تتطلب الخبرة والدراسة . كما تم تأميم الصحف ودور الاعلام . ووضع الجيش رجاله على رأس هذه الدور فتم تكميم الافواه وأصبحت هذه الصحف جميعها لسان حال الدولة والناطقة بإسمها . أما عن البقعه الزراعيه .. فكانت حياة الفلاح المصرى أنذاك لا تختلف عن تلك أيام البطالمه .. تم تحديد الملكيات الزراعية وتفتيت الارض الزراعية الى اجزاء صغيرة أُعطى بعضها للفلاحيين .. وكما حدث أيام اليونان تم تحديد مساحات الزراعة ونوعية المحاصيل ، مع قيام الدولة باستلام المحاصيل بتوريدها إلى الجمعيات الزراعية – وتقوم الدولة بعد ذلك بالتصرف فيها .

هذه هى الخلفية وقت قيام الثورة واختيار (النظام الاشتراكى) للحكم ..ويمكن القاء الضوء على نقاط التشابه بين هذه الفترة فى مصر والأخرى أيام البطالمة الذين قاموا أيضاً بتطبيق النظم الاشتراكيه .

- حالة الفلاح المصرى كانت كما هى فى ايام البطالمه ، فقير معدم وأجير.
- الدولة تحت الاحتلال اليونانى .. ثم البريطانى .
- على قمة الدول ملك من أسره ليست مصرية الأصل مائة فى المائة ..!!.
- اضطرابات اجتماعية .
- استبدال الحكم اليونانى بالحكم الفارسى ، واستبدال الاحتلال الانجليزى بالحكم العثمانى.

ثم حدث انهيار النظام الاشتراكي الحديث بسبب:

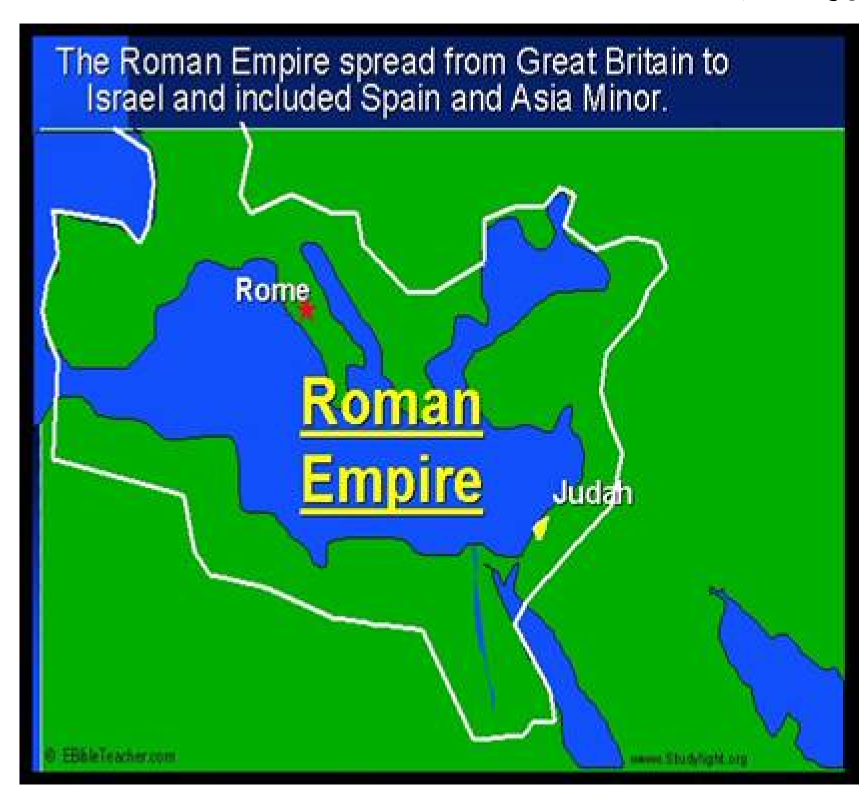
- توجيه موارد الدولة الغنية للحروب (اليمن) – والتوسع الامبراطورى ايام بطليموس الثالث الذى أراد بسط نفوذه لكى يكون امبراطوراً . والآخر اراد أن يكون زعيما للعرب جميعا وليس لمصر فقط .
- تدهورت الزراعة فى الحالتين .
- تدهورت الصناعة فى الحالتين لعدم وجود المنافسة – وفرض رسوم جمركية عالية على البضائع الأجنبية .
- التأميم .
- تعيين إناس غير أمناء وغير متخصصين فى الاداره بمدأ أهل الثقه خيرمن أهل الخبره .
- كانت النتيجة تدهور القطاع الخاص .. وتدهور القطاع العام الذى حل به الفساد وتدنت جودته وكانت تِفاصيل الميزانيه لكل شركة أو مصنع تفيد بالنجاح والمكاسب لكن فى الحقيقه كان العكس

صحيحاً .

• انخفضت قيمة العملة المصرية وارتفع الدين العام .

• بعد تغير الحاكم .. جاء القدر بآخر غَيَّرَ نظام الاقتصاد الاشتراكى وقامت بعد ذلك ردة قوية إنتهت بانفتاح اقتصادى عشوائى .

• اضطرت الدولة أخيراً للتخلص من القطاع العام الخاسر وبيعه والاعلان عن انتهاء النظام الاشتراكى – وبدلا من اعادة تقييم أوضاع هذه المؤسسات ودراسة أسباب انحدارها وخسارتها والعمل على تحسين الأداء وتغيير الاداره .. اختارت الطريق الأسهل والاخطر وهو بيع هذا القطاع العام والبنوك باسعار زهيدة لرجال أعمال عرفوا كيف ينتهزون الفرص ويكسبون المليارات من وراء ملكية هذه الانشطه .



الامبراطوريه الرومانيه

الفصل الخامس

الامبراطوريه الرومانيه

افلح الرومان فى أقل من خمسين عاماً أن يخضعوا شعوب الامبراطوريه اليونانيه. والذى يسر للرومان هذا الفتح هو انحلال الحضاره اليونانيه من الداخل ، لأنه لا تغلب الأمم على امرها ، ألاَّ بعد أن تدمر هى نفسها . وقد دمرت اليونان حضارتها بسبب فساد الحكم الديموقراطى وانحلال الأسر الحاكمة وفساد الأخلاق واستبدال الجنود المرتزقة بالجيوش الوطنيه ، وانحدار الحياة الاقتصاديه والتجاريه لكثرة الحروب الأهليه والتخلص من الكفاءات بالفتن والصراع على السلطة . أما داخل ايطاليا ، فى المستعمرات اليونانيه ، أخذت القبائل الأصليه المستعبده والمطرودة فى لم الشتات وازدادت قوتهم وأعدادهم فى الوقت الذى كان سادتهم المستعمرون غارقين فى الملذات ، يقتلون أطفالهم ويسقطون الحاملات من نسائهم . بذلك بدأ هؤلاء السكان الاصليون منازعه المستعمرين فى السلطه ، واستغاثت هذه المستعمرات بروما وفتحت لها الباب لاغاثتها ثم التهامها .

وبدأت الحروب ضد روما الناميه ، وكانت أول حملة على رأسها الملك " بيرس " ملك أبيدوس (جنوب ألبانيا الأن) ، الذى عبر البحر الأدرياتيكى والتقى الرومان عند هرقليه وهزمهم هزيمة ليست حاسمة ، ثم حاول خلال سنوات ثلاث أن يُخضع صقليه لكنه فشل ، وحين عاد إلى إيطاليا هُزم فى بفنتوم (275 ق م) وعاد خائباً إلى ابيدوس ، ثم قُتل على يد عجوز ألقت بقطعة من الحجر على رأسه ، واستسلمت هذه البلاد لروما .

وفى خلال ثمانى سنوات بعد ذلك بدأت روما كفاحها الطويل مع قرطاجه وهو الكفاح الذى دام مائة عام من أجل السيادة على غربى البحر المتوسط . وتخلت قرطاجه لروما عن الأجزاء التى كانت تسيطر عليها فى صقليه وكذلك عن سردينيا وكورسيكا ، ثم بعد ذلك سرقوسه ، وبحلول عام 210 ق م سقطت صقليه كلها فى يد روما .

ثم سيرت روما حمله الى " اليريا " (شمال ألبانيا) وفرضت سيطرتها هناك وكانت هذه البلاد مركزاً للقرصنة فى البحر الابيض المتوسط .

هاينبال : فى عام 216ق.م مزق هانيبال (ملك قرطاجه) الجيش الرومانى وزحف حتى وصل أبواب روما .

فى الوقت نفسه عقد فيليب الخامس ملك مقدونيا حلفاً مع هانيبال وشاركه فى هذه الحرب المقدونية الأولى ضد روما . ولجأت مصر وردس وبرجموم الى روما لتساعدهم على التخلص من الحكم اليونانى والملك فيليب . واستجابت روما لهذه الدعوه وأثارت الحرب المقدونيه الثانيه – ووجد فيليب جميع البلاد اليونانية تقريبا ومعها روما تقف فى وجهه . فحارب بشراسة ، لكنه هزم فى عام 197 ق م على يد " تيتوس كونكتيوس " وسقطت على أثرها مقدونيه – أو بالأحرى بلاد اليونان كلها – تحت رحمة روما . وعاد تيتوس عام 194 ق م بجيشه الى روما بعد أن رحبت به اليونان وعدته محرراً لها من سيطرة مقدونيه .

بعد ذلك استطاع القواد الرومان أن يهزموا انتيوخس الثالث (ملك السلوقيين) ، ثم اتجهوا شمالاً وطردوا " الغاليين " وبذلك بسط الرومان نفوذهم حتى شملت جميع سواحل آسيا الممتده على البحر الأبيض المتوسط .

الحرب المقدونيه الثالثه : بعد وفاة فيليب الخامس (179 ق م) خلفه على العرش ابنه" برسيوس " الذى أقام حلفاً مع سلوقس الرابع وتزوج بإبنته – كما انضمت رودس إلى هذا الحلف – وفى المقابل لجأت برجموم الى روما . وكانت نتيجة هذا الصراع الأخير خراب سبعين مدينة مقدونية (عام 168 ق م) واعتقل برسيوس وتوفى بعد ذلك بعامين .

أما رودس فقد تم تحرير ممتلكاتها الممتدة على سواحل آسيا . وبإضعاف رودس انتعشت القرصنة ، وتجددت الفتن والحروب الأهلية ، وامتدت القلاقل فى مدن اليونان وثارت جمهوريات مقدونيه الأربع علناً على روما .

وكان رد الفعل الرومانى عنيفاً ، فقاد " متلوس" جيشاً رومانيا ومعه الأسطول ، وقضى على كل مقاومة – وتم الاستيلاء على كورنثه حصن العصبة المتآمره ، وأشعل الفاتحون النار فى المدينة الغنية وذبحوا الرجال وباعوا النساء والاطفال فى أسواق الرقيق – كما قامت روما فى نفس الوقت بتدمير قرطاجه ، ونَقَل القواد الرومان كل ما استطاعوا نقله من أموال وتحف ورسوم فنية عالمية الى روما ويذكر أن الرومان استعملوا الاعمال الفنية ذات الشهره العالمية فى لعب النرد . وحلت روما العصبه وانشأت من بلاد اليونان ومقدونيه ولاية تحت الحكم الرومانى وابقت على اثينا واسبرطه وأجيز لهما الخضوع لقوانينهما الخاصة بهما .

روما

تقول الأساطير إن روما تأسست على يد " رومولوس " بمساعدة أخيه " ريموس " اللذان كانت أمهما " ريا سليفيا " كاهنة فى معبد الإله " فيستا " إلهة الموقد . وفى يوم عندما كانت ذاهبة الى بستان الإله " مارس " ظهر لها فى هيئه بشرية واغتصبها ولما فقدت عذريتها سجنت وأنجبت طفلين وُضعا في صندوق وألقى فى النهر حتى استقر الصندوق على الشاطىء فرأتهما ذئبة فأرضعتهما . وقُتل احد الطفلين وبقى الآخر وأصبح أول ملك على المدينه .

تشكلت الشعوب الرومانية فى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد ، حينما أتت قبائل شمالية إلى عمق شبه الجزيرة الإيطالية لتستقر عند نهر التيبر لعدة قرون. كانت روما أهم مدينة فى العالم الغربى عندما كانت عاصمة الامبراطورية الرومانية ، ومع ظهور المسيحية وانتشارها أصبحت روما مركزاً للدين المسيحى ومقر باباوات الكنيسة الكاثوليكية – وقد دخلت روما فى العصور الوسطى عهداً مظلما – ثم سطع نجمها مجدداً فى عصر النهضة وأصبحت من خلال فنانى ايطاليا وأدبائها عاصمة سياسية لاوروبا .ويكيبديا الألمانيه Wikipedia org

الهلينيه واليهود

كانت فلسطين فى التقسيم الأول لامبراطوريه الإسكندر من نصيب بطليموس الأول لكن السلوقيين لم يقبلوا هذا التقسيم لأنه يفصلهم عن موانىء البحر المتوسط ويعيق الطريق التجارى المار عبر دمشق وأورشليم . وانتصر بطليموس فى هذه الحروب واستولى على فلسطين وظلت خاضعة لسلطان البطالمة أكثر من مائة عام (318 – 198ق م) ، كانت تؤدى خلال هذه الفتره الجزية ومقدارها ثمانيه الآف وزنة .

وقد سمح البطالمة ليهوذا (البلاد اليهودية جنوب السامرة) بقسط وافر من الحكم الذاتى تحت إمرة كاهن أورشليم الأكبر والجمعية الوطنية الكبرى . وأصبحت الجروسيا أو مجلس الكبار والذى أنشىء فى عهد عزرا ونحميا قبل ذلك بمائتى عام ، مجلس شيوخ ومحكمة عليا فى وقت واحد، وأصبحت قرارات هذه الجمعية المعروفة بإسم " دبرسوفيريم " أساس الدين اليهودى من العصر الهلينى إلى العصر الحديث . ويفرض هذا المجلس القوانين الأخلاقية والاداب الاجتماعية ويطبق تعاليم الدين اليهودى بحرص شديد – وكان الزواج بغير اليهود محرماً ، وظلوا يتكاثرون رغم الحروب حتى بلغ عددهم أيام قيصر سبعة ملايين . وقال عنهم يوسيفوس إنهم شعب غير تجارى .. يعمل بالزراعة – ولم يكن للفنون عندهم أهمية عدا الموسيقى فكان الناى والقيثارة والطبل والصنوج والبوق (قرن الكبش) تستخدم فى الغناء الفردى أو الشعبى أو الترانيم .. وعامة كان الدين اليهودى بعيداً عن البهرجة والمرح مقارنة باليونان . ومع هذا التَزَمُتْ فقد نجح الغزاة اليونانيون فى إدخال الحضارة الابيقوريه فى اللهو والغوايه الى المجتمع اليهودى.

وبسبب إحاطة بلاد اليهود بعدد كبير من المدن اليونانية نقلت هذه المدن العدوى الهلينيه .. فى التبحر فى العلم والفن والفلسفة والأدب والاستمتاع باللذة والجمال والغناء والرقص والشراب والألعاب الرياضية . وبالطبع لم يستطيع الشباب وأغنياء اليهود من الوقوف أمام هذه الهجمة اليونانية ، لكن كانت هناك عدة قوى تحميهم من الانزلاق التام مثل السلطة الدينية، وما وقع عليهم من اضطهاد أيام انتيوخس الرابع ووجود تجمع للأتقياء اليهود الذين ألفوا هيئة من الصفوة المختارة (المتقين) عام 300 ق م تمنع شرب الخمر وتبتعد عن الملاذ الحسيه واعتبرهم اليونانيون فلاسفه من الزاهدين العرايا الذين شاهدوهم فى بلاد الهند – كما عارض اليهودى العادى هذه الجماعة المتزمته.

*اليهود والسلوقيون:

ظلت أورشليم تابعة لمصر حتى عام 198 ق م ، ثم هزم أنتيوخس الثالث بطليموس الخامس وضمها الى الامبراطورية السلوقية .

*أنتيوخس الرابع واليهود:

بدأ حكمه لليهود بفرض ضرائب وأتاوات ضخمة تؤدَّى لخزانة الدولة تصل الى ثلث المحصولات من الحبوب ونصف محاصيل أشجار الفاكهه .

وعين انتيوخس كاهنا يدعى " منلوس " حاخاما أكبر وقرّبه إليه ومنحه رشاو كبيرة ، فحقق منلوس كل خطط أنتيوخس اذ وَحَدَ الإله يهوه بألاله زيوس – وبيعت أنية المعابد وقدمت القرابين لألهه

اليونان – وأقيمت فى أورشليم مدرسة للرياضة البدئية اشترك شباب اليهود والكهنه انفسهم فى هذه الالعاب وهم عراة .

ارتاعت غالبية الشعب اليهودى من هذه التطورات وتوجست من إنهيار الدين اليهودى فإنحازت لجبهه المتقين .

وفى حادثة خطيرة كان لها تأثير عميق فى تاريخ هذه الفتره من حياة اليهود أنه فى عام 165 ق م شاع خبر كاذب عن مقتل انتيوخس الرابع بعد طرده من مصر .. فإغتبط اليهود وخلعوا الموظفين التابعين له وقتلوا زعماء الحركة التى تدعو للثقافة الهلينية وطهروا الهيكل . لكن افلت انتيوخس الرابع من القتل وعاد الى أورشليم وبدأ عملية انتقام واسعة من اليهود ، فذبح منهم الآلاف ودنس الهيكل ونهبه ، وصادر مذبحه الذهبى وآنيته وكنوزه وضمها للخزائن الملكية ، وأمر بتعميم الثقافة الهلينية وأن يعود الهيكل كما كان لزيوس ويقام مذبح يونانى فوق المذبح القديم وتقدم القرابين من الخنازير – كما حرم تقديس السبت والغيت الاحتفالات بالأعياد اليهوديه ، واصبح الختان جريمة يعاقب عليها بالإعدام وحَرمت مراسم الدين اليهودى فى جميع انحاء البلاد – وسن القوانين التى تعاقب كل من يخالف هذه القوانين وخاصة من يمتنع عن أكل الخنزير أو من كان يقتنى كتب الشريعه ، وأمر أن تحرق هذه الكتب أينما وجدت .

ولم يكتف انتيوخس بذلك بل أشعل النار فى أورشليم وهدم أسوارها وبيع اليهود فى أسواق الرقيق – وشيد حصناً جديداً على جبل صهيون وصنع فيه حامية من الجند لتحكم المدينة . كما أغلق جميع الهياكل والمدارس اليهودية . وأعتبر كل من يأبى العمل يوم السبت من العصاة الخارجين عن القانون .واعاد منلوس إلى رتبته كاهنا أعظم .

رضخ معظم اليهود لتلك الأوامر .. وفر كثيرون منهم إلى الجبال والكهوف ، وأخذ المتقون يطوفون بهم يمدونهم بالشجاعة ويطلبون منهم المقاومة.

وفى أحداث دموية أرخها " يوسيفوس " وكتبها أيضاً " ول ديورانت " عثر جنود الملك على كهوف آوى إليها الآف اليهود رجالاً ونساءً وأطفال وامرهم الجنود بالخروج وحينما أبوا الانصياع لهذه الأوامر حيث كان اليوم سبتاً وكان الأمر يستدعى العمل لإزالة بعض الأحجار – أعمل فيهم الجنود النار والسيف واختنق الباقون منهم بالدخان .

وفى المدن تم القبض على الأمهات اللائى ختن اطفالهن وألقوهن وأطفالهن من فوق الأسوار.

وكانت قصص الاستشهاد تتناقلها الألسن .. فضربت للمسيحية بعد ذلك امثلة صادقه للشهاده والشهداء.

الحشمونيون Hasmonai

الثورة المكابية

كان من بين اليهود الفارين وقتئذ من أورشليم رجل من أسرة هشموناى من سبط هارون يدعى ماتاثيا وكان له خمسة أبناء : يوهانان (يوحنا) سيمون (سمعان) ، ويوداس (يهوذا) واليعازر ويوناثان . وقد لجأ هؤلاء الرجال الى بلدة مدين . وحدث أن أمر أحد رجال انتيوخس الشعب أن يقدموا القرابين لزيوس . فتصدى له ماتاثيا وأبناؤه قائلا " لو أن جميع سكان المملكة اطاعوا أمر الملك بالمروق عن دين آبائهم لبقيت أنا وأولادى الخمسه مستمسكين بعهد أبائنا الاولين " . وعندما اقترب أحد اليهود من المذبح ليقرب القربان لزيوس ذبحه متاثيا ومعه مندوب الملك ، ثم ألب الجماهير وطلب منهم أن يتبعوه فسار وراءه هو وأبناؤه الكثيرون من الشعب اليهودى حتى وصلوا الى جبل أفرايم حيث إنضم إليهم عدد من الثوار والبعض من جماعة المتقين .

وبعد وفاة ماتاثيا فوض ابنه يوداس المعروف (بالمكابى) ليرأس اتباعه . وكان يوداس (أو يهوذا) رجلا قياً وفى نفس الوقت شجاعاً محارباً وكان جيشه الصغير يعيش فى الجبال كما تعيش الوحوش ويقتات بالأعشاب وبين الحين والحين كان ينقض بجيشه على إحدى القرى ، يقتل المارقين ويهدم مذابح الوثنيين ، وإذا وجدوا اطفالا غير مختونين أجروا لهم عملية الختان .

انتقلت أخبارهم إلى أنتيوخس فأمر بعض جيشه من السوريين اليونانيين أن يهدم حصن المكابيين ، والتقى بهم يهوذا فى ممر إموس وانتصر عليهم (166 ق م) مع أن الجنود اليونانيين كانوا من الجنود المرتزقه المدربين والمسلحين .

ثم سير عليهم أنتيوخس قوة أعظم ، فهزمها أيضا يهوذا فى "مزباح" وكانت الهزيمة حاسمة سقطت على أثرها أورشليم فى قبضة يهوذا فأخرج ماكان فى المذبح من ذبائح وثنية وطهره ودشنه من جديد . وأعاد الصلوات القديمة وسط مظاهر الابتهاج من اليهود – ولا تزال ذكرى هذا اليوم من الأعياد التى يحتفل بها اليهود الى الأن (عيد الحنكة أو حنوكا) أو عيد التجديد.

وبعد موت أنتيوخس ، تقدم " ليسياس " نائب الملك ليعرض على اليهود أن يترك لهم حريتهم الدينيه الكاملة إذا ما ألقوا السلاح ، ورفض المكابيون وأعلن يهوذا أن أورشليم لا تأمن على نفسها من الاضطهاد إلا اذا نالت إستقلالها السياسى والدينى ، وحصلوا على مايريدون . لكن قاموا هم أنفسهم يضطهدون اعداءهم وينتقمون من مؤيدى اليونان فى أورشليم والمدن المجاورة .

وفى عام 161 ق م هزم يهوذا " نكاتور" ، وعقد حلفاً مع روما لكنه قتُل فى نفس السنة وهو يقاتل عند " إلاسا " .

واصل أخوه يوناثان الحرب بشجاعة لكنه قتل هو أيضاً عند عكا عام 143 ق م وواصل سيمون (سمعان) المسيره ، واستطاع بمعونة روما أن يقهر دمتريوس الثانى عام 142 ق م .

ونال سيمون اعترافاً بإستقلال أورشليم – وعين بمرسوم شعبى حاخاماً أكبر وقائدا عسكريا وأصبح المنصبان وراثييْن فى هذه الأسرة ، وأضحى هو مؤسس الأسرة المالكه الحشمونيه – وأصبحت أول سنى حكمه بداية التاريخ الجديد – وصدرت عملة تعلن مولد الدولة اليهودية الجديدة .

وبعد ثمانى سنوات قَتل سمعان على يد صهره ويدعى (تلماى) – وولى الأمر بعده ابنه يوحانان وكان يُدعى أيضا هركانوس (لأنه كان قد قتل رجلاً جبارا يدعى هركانوس فأطلق عليه هذا الاسم).

يوحانان (هركانوس)، الخامس من ولاة بنى حشمناى وأول من سُمىَّ من المكابيين ملكاً (134 – 104 ق م) . وقد اختطف تلماى والدة هركانوس وقتلها أيضا فى معركة مع هركانوس الذى حاول أن يثأر لأبيه ، ودافع هركانوس عن أورشليم فى هجمة قام بها ديمتريوس السلوقى ونجح فى عقد مصالحه معه.

غزا هركانوس السامرة وفتح نابلس وهدم الهيكل الذى كان قد بناه سنبلط السامرى فى طور تربل وقتل كهنته ، ثم أخضع أدوم وجميع الأمم المجاورين لليهود .

وفى السامرة واجه هركانوس انتيوخس المقدونى ، " وليترا " ابن كليوباترا (الهارب من والدته) اللذين جاءا لمناصرة السامريين وقاتلهما وهزمهما .

فِرق اليهود

كان اليهود فى ذلك الزمان ثلاث فرق : الفريسيين ، والصدوقيون، والصالحين (الحسيديم) وهم المنعكفون على العباده والعمل الفاضل . وكان الصدوقيون يعادون الفريسيين عداوة شديدة . كما كان هناك جماعة الكتبه والهيرودسيون.

*الصدوقيون :

الطبقه العليا الثريه من اليهود ، وهم حزب االكهنه اليهودى – كانوا لا يعترفون الاَّ بأسفار موسى الخمسه دون سائر أسفار التوراه ، وكانوا يربحون من التجارة فى الهيكل ، وهم والفريسيون يمثلون أكبر حزبين فى المحكمه اليهوديه العليا ، وكانوا يظنون أن الهيكل يمكن أن يستخدم مكاناً للتجاره وادارة الأعمال . وهم ينكرون قيامة الأموات ، ولا يؤمنون بالعالم الآخر ويرون أنه لا توجد سوى الحياة الدنيا وينكرون مقولات الروح والآخره والبعث والثواب والعقاب. ورغم ذلك فهم يعتبرون يهوداً حتى فى نظر الفريسيين ، ذلك لأن الشريعه اليهوديه تُعَرِف اليهودى بأنه من يؤمن باليهوديه أو من ولد من أم يهوديه حتى لو لم يؤمن بالعقيده.

ويعود تزايد نفوذ الصدوقيين الى ايام العوده من السبى البابلى اذ فضل الفرس التعاون مع فئه الكهنه دون بقايا الأسرة المالكه من نسل داود والتى قد تشكل خطراً عليهم – واستمر الصدوقيون فى مواقعهم الهامه خلال الامبراطوريات المتعاقبه وعملوا لحساب هؤلاء الحكام بإستغلال الجماهير اليهوديه وجباية الضرائب – واختفت هذه الفرقه تماماً بهدم الهيكل نظرا لارتباطها به.

*الكتبه :

هم المفسرون المحترفون للشريعه ، وكانوا متشددين فى حفظ التقاليد.

*الهيرودسيون:

حزب يهودى سياسى من المؤيدين لهيرودس – وكانوا يخشون من أن يزعزع السيد المسيح استقرارهم ومستقبلهم السياسى فتآمروا على قتله.

*الفرّيسيون :

الفريسيون هم إحدى الفئات الدينية اليهودية الرئيسية الثلاث التى كانت معروفة عند اليهود وحتى مجيء المسيح، وكلمة فريسى كلمة أرامية ومعناها " المنعزل " فالفريسيون هم المنعزلون، والمعروف عن الفريسيين أنهم أقل الفئات الدينية اليهودية من ناحية التعليم، وقد عرفوا بهذا الاسم الخاص " بيروشيم " فى عهد يوحنا هركانوس، أحد عظماء أشراف اليهود فى القرن الثانى قبل الميلادى والذى كان من تلامذتهم، ولكنه تركهم فيما بعد والتحق بالصدوقيين .. ويسعى ابنه اسكندر من بعده، إلى إبادتهم غير أن زوجته الكسندرة التي خلفته فى السلطة سنة 78 ق مرعتهم فقوى نفوذهم وأصبحوا قادة اليهود في الأمور الدينية، وكانوا يشكلون أكبر حزب سياسي دينى فى ذلك الوقت ويشكلون أغلبية داخل السنهدرين، ثم انقسموا فيما بعد إلى قسمين: بيت شماي وبيت هليل، ولا شك أن الفريسيين فى أول عهدهم كانوا من أنبل الناس خلقا واتقاهم دينا – غير أنه علي مر الزمن – دخل حزبهم من كانت أخلاقهم دون ذلك .. إلي أن فسد جهازهم واشتهر معظمهم بالرياء

والفساد ، لأنه من المعروف أن اليهود عادوا من بابل "بعد السبي" بأفكار جديدة كما أن وضع اليهود نفسه تغير وحلم السيادة القومية لم يعد له أساس فى الواقع.

ومن حيث العقيدة كان الفريسيون يؤمنون بالعهد القديم من الكتاب المقدس ويعتقدون بالقَدَرْ ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة – كما كانوا يؤمنون بالخلود وقيامة الجسد ووجود الملائكة والأرواح وكذلك الثواب والعقاب فى الآخرة – كانت عقائدهم ظاهرية وليست قلبية، وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسي تناقله الخلف عن السلف زعموا أنه معادل للشريعة المكتوبة أو أهم منها .. وكانوا يعتقدون أن إبراهيم أبو المؤمنين محسوب لهم، وأن إيمان إبراهيم كان لكل نسلهم، وان اليهودي له رجاء فى الحياة الأبدية بسبب إيمانه وليس بسبب بره الشخصي وقد قال عنهم الكتاب المقدس علي لسان السيد المسيح "حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها علي أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي يراهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحتلون المتكأ الأول فى المجالس، ويحبون أن يدعوهم الناس سيدي .. فالويل لكم لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون – ويل لكم أيها الفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم ويل لكم لأنكم تصفون الماء من البعوضة وتبلعون الجمل .. ويل لكم لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من الخارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة وأنهم يظهرون للناس أبرارا ولكنهم من الداخل مشحونون رياء وإثما".

كما قال عنهم يوحنا المعمدان " النبي يحيي بن زكريا ": " لاتفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم".

*الجناح العسكري للفريسيين:

1-الغيورون " قنائيم" :

وهم فرقة دينية يهودية وهم جناح متطرف من الفريسيين وحزب سياسي وتنظيم عسكري وأول ذكر لهم جاء باعتبارهم اتباع يهوذا الجليلي في العام السادس قبل الميلاد، وهو زعيم عصبة الخناجر وتولي قيادة التمرد اليهودي الأول ضد الرومان (66 –70م) بعد أن استولي علي قلعة ماسادا وذبح حاميتها واستولي على الأسلحة ثم عاد إلى القدس، وكانت عصابة (مناحم) متطرفة ومستبدة فى تعاملها مع الجماهير اليهودية وجمع فى يديه السلطات الدينية والدنيوية ولذا قامت ثورة ضده انتهت بقتله ، ونظرا لجهل الغيورين بحقائق القوى الدولية ومدى سلطان روما فى ذلك الوقت قاموا بثورة ضد الرومان بالتعاون مع الفريسيين، واستخدم الغيورون أسلوب حرب العصابات ضد روما كما قاموا بخطف وقتل كل من تعاون مع روما، وقد قضي الرومان على ثورة الغيورين واستسلمت القوات اليهودية.

2- الأسينيون " أسينيون " :

كلمة أرامية معناها الطبيب أو المداوي وهي فرقة دينية يهودية لم يأت ذكرها في العهد الجديد، وكانوا يمارسون شعائرهم شمال غرب البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول الميلادي، وهم جناح متطرف من الفريسيين وقد وقفوا ضد التجارة وانسحبوا من الحياة العامة.

وقد قسم الأسينيون الناس إلي فريقين: البقية الصالحة من جماعة اسرائيل، وأبناء الظلام. عاش الأسينيون علي عملهم بالزراعة ولا يتناولون إلا ما أعدوا من الطعام بأنفسهم الأمر الذي جعل عقوبة الطرد منها بمنزلة حكم الإعدام، وقد حرموا الذبائح وحرموا علي الأغلبية منهم الزواج وانقرض الأسينيون كلية فى القرن الأول الميلادي.(د. عبد الوهاب المسيري ، الموسوعة اليهودية)

3- عصبة حملة الخناجر:

عصبة الخناجر ترجمة لكلمة " سيكاري " المنسوبة لكلمة " سيكا " اللاتينية بمعني الخنجر، وهم جماعة متطرفة من الفريسيين وكانوا يخبئون خناجرهم تحت عباءاتهم ليباغتوا أعداءهم في الاماكن العامة ويقتلوهم – ويقال إنهم شاركوا في التمرد اليهودي الأول تحت قيادة مناحم الجليلي – وهي الجماعة الوحيدة التي استمرت فى نشاطها بعد إخماد هذا التمرد.. الذي اتسع نطاقه الي الإسكندرية وبرقة ، ورغم نشاطها وحركتها كانت عصبة الخناجر تشكل أقلية لا يزيد عددها على ألفين.

هؤلاء هم الفريسيون .. الجماعة الدينية التي اتخذت من العقيدة ستارا لأعمال ميكيافيللية أعمالا – فى نظرهم – تورثهم الجنة ولكن تورث أهل الأرض الخراب.

هل أعاد التاريخ نفسه ؟؟ وهل ظهر فى عصرنا هذا ، مايمكن أن نسميهم الفريسيون الجدد؟!

وكان هركانوس وأباؤه من الفريسيين ثم انتقل إلى الصدوقيين لأنهم طالبوه (الفريسيون) بأن يكتفى بالمُلك ويترك الكهنوت ، وعاداهم وقتل جماعة كبيرة منهم ، وانطلق اليهود فى محاربة بعضهم البعض ، ومات هركانوس بعد أن زرع الكراهية بين أصحاب المذاهب المختلفة من اليهود. وبلغت مدة حكمة احدى وثلاثين سنه .

وكان لهركانوس ثلاثة أبناء هم أرسطوبولوس ، وأنتيجونوس واسكندر، وخلف هركانوس فى الحكم ابنه " ارسطوبولوس " الذى حكم عاماً واحدا ، ومات حزناً على مقتل اخيه انتيجونوس بسبب وشاية من زوجة ارسطوبولوس التى كانت تكره انتيجونوس . وخلفه فى الحكم اسكندر (103 – 76 ق م) وهو السابع من الولاة من أسرة بنى حشمون .

الاسكندر وليترا : كان ليترا هاربا من بطش أمه كليوباترا واستقر فى قبرص . وجاء على رأس جيش قوامه ثلاثون ألف رجل لمناصرة اسكندر فى فتح صيدا . ثم انقلب اسكندر عليه وبعث برسالة لكليوباترا يخبرها بمكان ليترا فخرجت من مصر للنيل من إبنها الذى علم بمقدمها فعاد إلى قبرص ورجعت كليوباترا الى مصر.

وفى نفس العام سار اسكندر الى غزه ففتحها وقتل الكثيرين من أهلها لانهم عاونوا ليترا عليه ، وعاد إلى أورشليم .

وقد بلغت العداوة بين اسكندر والفريسيين أشدها حيث قتل عشرات الألاف منهم واستمرت الحروب بين الفريسيين والصدوقيين ست سنوات . وحينما حاول ديمتريوس سلفانوس مساندة الفريسيين قاتله اسكندر واجبره على الفرار وتتبعه وقتله .

وفى إحدى المواقع الحربيه التى خاضها داهمه المرض وطلب من اسكندره زوجته أن تخفى خبر وفاته حتى تنتهى المعركه (على نحو ما فعلت شجرة الدر فى مصر بعد وفاة زوجها) وبعد وفاته اخفت امرأته الخبر وفتحت المدينه المتمردةِ وعادت الى أورشليم واعلنت خبر وفاته واعتلت

العرش من بعده – بعد أن حكم اسكندر سبعاً وعشرين سنه . وخلف من بعده ابنيه هما هركانوس وأرسطوبولوس.

ومن أهم سمات فترة حكم إسكندره أنها قامت بمصالحة مع الفريسيين واطلقت سراح جميع من كان منهم فى الحبس وأمنت الهاربين وردتهم الى أورشليم .

*ارسطوبولوس وهركانوس:

يتسم تاريخ اليهود فى هذه الفتره بصراع مستمر بين الأخوين ، واستمرت الحروب بين الفريقين وأدت الفتن والمؤامرات الى نزوح الكثيرين إلى مصر.

وكان على رأس المؤامرات رجل يدعى "انتيبطرس" وهو من أولاد بعض اليهود الذين خرجوا من بابل مع عزرا الكاهن ، وكان ذا بأس وشجاعة لكن يتسم بالشر والمكر والدهاء ووفرة المال وكان والياً على أدوم وتزوج امرأه آدومية ، وكان يناصر هركانوس على أخيه ويضع له الخطط ، وكان كل من الشقيقين يسعى لإرضاء وود القوة الصاعده آنذاك وهى روما .

ونجد أن روما ذاتها كانت تستعين بعض الأحيان بأحد منهما فى حروبها . وكان لتقلد ارسطوبولوس الحكم آثاره السيئه على هركانوس وانتيبطرس.





وفى هذه الآونة جاء القائد الرومانى " بومبى " لإخضاع بلاد سوريا وسارع الأخوان كل منهما يطلب العون من هذا القائد على أخيه . وكانت نهاية ارسطوبولوس الموت مسموماً فى مؤامرة حاكها بومبى وانتيبطرس .

*الفتح الرومانى:

بعد أن وصل بومبى القائد الرومانى بقواته عام 64 ق م الى سوريا دخل انطاكيه وعزل ملكها وبذلك انتهت دولة السلوقيين ، وأعلن بومبى سوريا محمية رومانية . وتابع سيره إلى فلسطين واستولى على أورشليم عام 63 ق م ثم أريحا – ثم زحف الى دولة النبطيين واحتل عاصمتها " بترا " ، وأعلن فلسطين ولاية رومانية .

واشتد النزاع فى اليهوديه خاصة بعد موت اسكندره ، حيث ازداد الصراع والتنافس بين أفراد الأسره المكابية للاستيلاء على العرش ومرت فلسطين بسنوات قاسية ولطخ تاريخ هذه الفترة كثرة المؤامرات واللجوء إلى قوة روما .

ومن الأحداث البارزة فى تلك الفترة أن انتيبطرس أغرى صديقه هركانوس إلى الالتجاء لملك النبطيين العرب (اريتاس) فى بترا للسيطرة على ارسطوبولوس . والنبطيون هؤلاء كانوا عرباً ومن أحد الشعوب التجارية الكبيرة وحكموا جزءاً كبيراً من النقب وسيطروا على الطريق الملكى التجارى الممتد من عصيون جابر إلى غزه ومصر . وكانت لهم اتصالات مباشرة مع اليهود طوال الحقبة اليونانية وامتدت إلى حكم الرومان .

أما " بترا " العاصمة فهى تتمتع بأثارها المنحوتة فى الصخور الوردية اللون وهى على النمط الإغريقى واسم بترا يعنى صخرة ويطلق عليها الاسرائيليون سالع (اش 16 : 1) ومعناها بالعبرية صخرة أيضاً .

*ملحوظة:

فى عام 2007 وقت كتابة هذه السطور أُثير موضوع اختيار جديد لعجائب الدنيا السبع . ومن ضمن المعالم المرشحة لذلك مدينة بترا الاردنية – وقد نظم الشعب فى الاردن حملة قوميه للتصويت لصالح هذه المدينة ، وتوجت هذه الحمله بنجاح وأُعلنت بترا (مدينة البطراء) ثانى عجائب الدنيا السبع الجديدة . علماً بأن اهرامات مصر ظلت فى مكانتها الشرفيه .

وكان اريتاس يطمع للاستيلاء على جزء عبر الأردن مقابل مساعدته لهركانوس – وتقدمت القوات النبطية وهزمت أرسطوبولوس الذى أسرع بالانسحاب والهروب الى أورشليم . ولم يجد المتناحرون بداً من الاتحاد ضد هذا العدو الوثنى ، ولم ينقذ أرسطوبولوس سوى وصول القوات الرومانيه إلى أورشليم وأُجبر النبطيون على الانسحاب وتمت مطاردتهم .

أما عن مصر ذاك الحين ، فقد قامت حالة عصيان ضد بطليموس وطردوه وامتنعوا عن ارسال الخراج إلى روما، فسار إليهم قائد رومانى يدعى (كينانوس) ومعه أنتيبطرس ، حاربهم ورد بطليموس إلى ملكه .

*يوليوس قيصر:

كان يحكم روما فى ذلك الوقت مجلس للشيوخ يضم ثلثمائة وعشرين وعلى رأسهم من يسمى الشيخ . وكان بين هؤلاء الشيوخ رجلا زوجته حاملاً وحين جاء وقت الولادة ماتت قبل أن تلد فشقوا جوفها وأخرجوا الطفل حياً وعاش وسُمى يوليوس قيصر لأنه ولد فى الشهر الرابع من السنة.

ولما كبر قيصر أظهر شجاعته وبأسه وأخضع بلاد المغرب لطاعة روما – وطالب بعد ذلك بالمُلك فى الوقت الذى عارضه مجلس الشيوخ ، فما كان منه الا طرد الشيخ وقتل أعضاء المجلس وهيمن على شئون الدوله وسمى ملكاً ولقب قيصراً .

وكان بومبى ذلك الوقت بمصر فلما علم بهذه الأحداث جمع قواته وتوجه لمحاربة قيصر لكن الأخير انتصر عليه وقتله . ثم توجه إلى سوريا وأخضعها وأرسل ملك السريان " متردات " بمصاحبة انتيبطرس إلى مصر فهزم المصريين وفتح مصر.

اما انتيبطرس فقد نال رضاء قيصر, ثم صاحبه فى حربه ضد الفرس – ثم عاد إلى اورشليم مظفراً قوياً واستغل ضعف هركانوس فإستولى على الدولة ، وعين ابنه فيلو ناظراً على أورشليم وابنه الاخر هيرودس على الجليل .

وفى عام 44 ق م اغتيل قيصر بيد قائدين كبيرين من أصحاب بومبى ، "كيساوس ، وبروتس " واستولى كيساوس على المملكة .

أما نهاية انتيبطرس فكانت عام 43 ق م حيث مات مسموماً بيد " ملكيا " ، مدفوعاً من رؤساء اليهود .

وبعد موت انتيبطرس احتدم الصراع بين انتيجونس (اصغر أبناء ارسطوبولوس) وبين هيرودس وفزائيل (أبناء انتيبطرس).

*أغسطس قيصر:

أما كيساوس أحد قتله يوليوس قيصر فقد حاول الإستيلاء على الحكم وأسرع بجيشه إلى مقدونيه ، فلحقه هناك كينانوس أبن أخى قيصر وانطونيوس قائد الجيش فقتلاه ، وملك كينانوس مكان عمه وسمى اغسطس قيصر .

انطونيوس : جاء أنطونيوس إلى مصر وظل إلى جانب الملكة كليوباترا السابعه.

أما هيرودس فقد أسرع إلى أنطونيوس يقدم له فروض الطاعه .

أما عن الأحداث فى اليهوديه ، فقد كانت هناك شعوب تسكن شمال فارس تدعى " الفرتيون" وكانت فى حروب مستمره مع السلوقيين ثم مع الرومان – وقاموا بغزو اليهودية بمعاونة انتيجونس – وفى هذا الجو غير المستقر ، انتهز انتيجونس الفرصة فقبض على عمه هركانوس الثانى وجدع أذنه لكى لا يصلح لرئاسة الكهنوت حسب الشريعة ، ثم قبض على فزائيل الذى انتحر بعد ذلك . واستولى أنتيجونس على الحكم فى أورشليم وحكم ثلاث سنوات .

أما هيرودس الذى هرب إلى روما عام 40 ق م ، فقد استطاع أن يحظى بتأييد مجلس الشيوخ للاعتراف به ملكاً ، واصبح ملكاً بدون مملكه ثلاث سنوات .

ثم زحف على أورشليم وحاصرها واستعان بأنطونيوس الذى أمر بخلع انتيجونس وقتله – وأعلن هيرودس ولاءه التام لروما ودفع الجزية .

*هيرودس الكبير (37 – 4 ق م):

ملك هيرودس على اليهودية ولكى يوطد مركزه ، تزوج من " مريمنه " أخت ارسطوبولس الثالث وهما اللذان بقيا مع هيركانوس المسن من الأسرة المكابيه. وبذلك ربط هيرودس نفسه بأسرة الحشمونيين . وكان هيرودس شهوانيا عديم الضمير وكثرت ضحاياه ، أما شهوته لسفك الدماء فبدأت بحماته ، ثم أخى زوجته وابنيه حتى مريمنه زوجته – بذلك انقضى عهد المكابيين على يديه بعد أن ظلوا فى الحكم مائه وثلاثين سنه منذ أن استولى يهوذا المكابى على أورشليم – وبعبقريته السياسية الشريرة ، بدأ موالياً لأنطونيوس لكن حول ولاءه إلى اوكتافيوس وقدم له المساعدة ضد انطونيوس وحليفته كليوباترا فإختار الجانب الرابح .

وحينما استقر به الحال أعاد بناء أورشليم وأعاد بناء الهيكل وجعله أوسع من هيكل سليمان وأغنى من هيكل "زربابل " – واستمال عطف أغسطس وبنى المدينة القديمة فى السامرة وسماها " سبسطيه " ، وأسس مدينة جديدة على الساحل أسماها قيصريه وجعلها العاصمة السياسية ، وفى اورشليم بنى قلعة أنطونيا التى تشرف على الهيكل ، وأقام بها فرقة من الحرس الرومانى – وأكسب المملكة أبهة معمارية بكثره المبانى ذات الطابع الاغريقى الرومانى ، وأقام المسارح والملاعب الرياضية لممارسة الالعاب الاوليمبية على شرف اغسطس .

وبسبب تحرره وميله لروما – تسبب فى كراهية اليهود له – وحكم مدة ثمانى وعشرين سنه ، لكن اليهود لم يغفروا له فتكه بالاسرة الحشمونيه واصله الادومى .

وظل هيرودس موالياً لقيصر – ولعبت أسرة هيرودس فيما بعد دوراً هاماً فى التاريخ اليهودى فى عصر هام شهد ميلاد المسيح وتأسيس الكنيسة .

*ارخلاوس بن هيرودس:

حكم اليهود بعد موت والده عنوة رغم كراهية الشعب له والخوف من أن يتبع مسيرة هيرودس ، لكن اغسطس قيصر قلده الحكم ، وكانت سيرته غير حميدة وأخذ لنفسه امرأة أخيه اسكندر المقتول ، فماتت كمداً بعد عامين – ولم تمض سبع سنوات على حكمه لاورشليم حتى قبض اغسطس قيصر عليه وأسره وحمله إلى روما حيث كانت نهايته .

وملك بعده انتيجوس أخوه (ابن هيرودس) وسُمى أيضا هيرودس على اسم أبيه – وكان أيضاً مسرفاً فى المعاصى والملذات وهو الذى أخذ امرأة فيلبس أخيه وهو حى ولها منه ولدان – وكان اسمها هيروديا – وقصة معارضة يوحنا المعمدان لهذا الزواج معروفة وبسبب هذه المعارضة طلبت هيروديا من الملك أن يقتل يوحنا المعمدان (ابن زكريا) ويهديها رأسه على طبق، ونفذ هيرودس لها هذا المطلب . وفى عهد هيرودس ظهر السيد المسيح فى اليهودية, ايضا فى عهد هيرودس مات أغسطس قيصر بعد أن ظل فى حكم روما 56 سنه – ثم تولى الحكم بعده طيباريوس قيصر ، الذى أمر الناس بالسجود لصورته وبعث بأحد قواده (بيلاطس البنطى) الى اليهود حاملاً صورته وتمثاله طالباً منهم السجود لهما . ومع رفضهم ذلك قتل منهم الكثيرين .

وبعد أن حكم هيرودس إحدى وعشرين سنه بعث طيباريوس قيصر بمن قبض عليه وحمله إلى بلاد الاندلس فمات هناك – وملك بعده ابن أخيه أغريباس ، ابن ارسطوبولس بن هيرودس الكبير (37 م) .

وفى عهد أغريباس هذا مات طيباريوس قيصر بعد أن حكم روما اثنتين وعشرين عاماَ – ثم ملك بعده ابنه " غايوس قيصر " أربع سنوات وهو الذى استدعى بيلاطس إلى روما وقتله .

ثم خلفه " كلوديوس قيصر " أربع عشرة سنه ثم مات . ثم خلفه " نيرون قيصر " ثلاث عشرة سنه – ونيرون كان قبيح السيرة أمر الناس أن يسموه إلهاً ويحلفوا بإسمه ويبنوا له المذابح . ويقربوا له القرابين . وقد اغتيل نيرون وقتله جنده بالسيوف وقطع جسده إرباً .. ولم يُدفن .. حيث قذفوا بجثته للكلاب (حسب قول يوسيفوس) .

وحكم أغريباس ملك اليهود ثلاثة وعشرين عام وجاء بعده ابنه أغريباس الثانى . وهو آخر ملك على اليهود فى الحقبة الثانية . ولم يستقم لأغريباس حال ولا لرعيته وكثرت الفتن والحروب فى جميع بلاد اليهودية وبلاد الشام وتحرك الخوارج ونُهبت الأموال ولم يعد هناك سلام. ثم جاء سباستيانوس على جيش الرومان فحاصر أورشليم ثم عاد لروما وانتقل المُلك اليه بعد اغتيال نيرون ، واستخلف ابنه " تيتوس " على حصار القدس إلى ان فتحها وخرب الهيكل.

النهاية

الخوارج ، كما وصفهم (يوسيفوس) هم المنشقين عن الثورة المكابيه ، وكانوا مجموعه من اليهود قاموا بالقتل وسفك الدماء ومنهم قوم يحملون السكاكين بين طيات ثيابهم ثم يطعنون بها المواطنين فى الشوارع ثم يختفون بين القوم ، وكانوا يقومون بقتل أناس لحساب الأخرين فى سبيل الأجر حتى سمى هذا القتل بالموت الأعمى .

وفى هذه الأثناء بدأت المقاومه الشديدة ضد الرومان – وحين بلغ اليهود خبر قدوم قوات روما بقيادة سبسيانوس وتيتوس – تم اختيار ثلاثة من الكهنة وجعلوا كلاً منهم مسئولاً عن قطاع من اليهوديه وخضعت طبريه والجليل ليوسيفوس ، وأورشليم لحنانى الكاهن وأدوم وإيله للعازر بن حنانى غير أن الكفاح ضد الرومان لم يشغل بال المنشقين الذين فتحوا جبهة قتال داخليه بينهم وبين اليهود وكانوا ثلاثة أولهم ألعازر بن حنانى والثانى يوحانان والثالث شمعون الخارجى .

وكان الثلاثة رجالاً أشراراً قطاع طريق ، فمثلاً يوحانان ، هرب هذا الرجل من الجليل واتجه لأورشليم وفرض سطوته على الجميع وعزل الكاهن الأعظم وأخذ أموال الأغنياء ، فإجتمع عليه الشعب وطاردوه فهرب منهم داخل الهيكل حتى يسلم من الفتك به ، واستطاع الهروب وفتح أبواب المدينه لأتباعه من بنى أدوم الذين دخلوا المدينه وقتلوا الآلاف من اليهود .. حتى أن سبسيانوس أخذ يشاهد المقتلة التى قام بها هذا الرجل لحسابه ضد اليهود وانتظر حتى ضعفت بنيتهم فهاجمهم وسيطر على مواقع يوحانان وأدوم ثم اتجه لقيصرية للاستعداد للهجوم الكبير على أورشليم .

ثم انقلب الأشقياء الثلاثة على بعضهم فإنضم شمعون وألعازر معاً فى مواجهة يوحانان وقتاله ، واستمرت المعارك بينهم حتى أن الشوارع اصبحت مغطاة بالدماء . وكاد اليهود بينهم يهلكون وأصبح الشعب يعانى القتل ، وحرق المنازل ، والجوع .. والحرب ضد الرومان .. حتى تمنى كل فرد من اليهود الموت .

سار سباسيانوس بجيشه إلى طبريه وجبل الجليل ، واستعد يوسيفوس المسئول عن هذه المنطقة ونظم قواته التى تبلغ ستين ألف مقاتل وعزز حصونه فى مواجهة قوات الرومان والتى تضم أيضاً قوات من جميع الأمم المعادية لليهود . وقد احتمى اليهود بحصن فى الجليل ، وهاجمتهم جيوش روما ودام الحصار ثمانية واربعين يوماً انتهت باقتحام الحصن وقضى على اليهود ولم ينج منهم غير يوسيفوس واربعين رجلاً معه استطاعوا الإفلات والاختباء فى مغاره – ولم يستسلموا بل فضلوا الانتحار واتفقوا على أن يقتل كل منهم الآخر وقضىَّ على الجميع الاَّ يوسيفوس الذى استسلم للاعتقال .. عام 44 ميلاديه.

سقوط أورشليم

قاد تيتوس القائد الرومانى ستمائه فارس إلى اورشليم وحاول أن يعرض على اليهود الأمان والصلح لكنه وجد أبواب المدينة مغلقة ولم يجد من يتشاور معه – وأثناء عودته أحاط به الخوارج فقاتلهم ونجا بعد أن أشرف على الهلاك – واستمرت المعارك مرة أخرى حتى أن تيتوس نجا ثلاث مرات فى يوم واحد من القتال العنيف . ودخل يوحانان يوم عيد الفطر إلى الهيكل مع أصحابه وقتلوا الكهنة والشعب ، وفى الخارج قتل شمعون وألعازر رجال يوحانان واستمرت بينهم المعارك حتى أن بعض رجال اليهود عملوا على فتح أبواب المدينة لتيتوس ليكفيهم شر هؤلاء الخوارج.

وبدأ تيتوس محاولة اقتحام المدينة لأن قوات الخوارج قتلت الكثيرين من رجاله وأجهضوا أول محاولة له لاختراق أسوار المدينة – لكنه استطاع أخيراً أن يوقع جزءاً كبيراً من السور الأول ، ثم تلاه جزءاً من السور الثانى وأخذ اليهود يقاتلون الرومان أياماً لكن غلبهم الرومان فعادوا إلى الحصن واغلقوا الابواب .

بعد هزيمة اليهود فى هذه الكرة أمر تيتوس أن تنتهى المعارك وأمسك عن قتال اليهود خمسة أيام ، ودعاهم إلى طاعة الرومان لأنه كان يشفق عليهم من الهلاك ولما فشل فى ذلك طلب من يوسيفوس أن يقنع اليهود الخوارج بذلك .. لكن دون جدوى – وحين رأى تيتوس تصلبهم وعصيانهم قاتلهم بشدة وفرض حصاراً شديداً على المدينة .

وحاول كاهن يدعى " امثاى " أن يستعين بالعقلاء من الروم ليعينوهم على يوحانان والخوارج، فأمر شمعون بقتل أولاده الثلاثه أمامه ثم قتلوا الشيخ بعد ذلك ، وقتل معه كاهن جليل يدعى حنانيا وأرسطوس الكاتب وغيرهم .

*المجاعة:

عندما طال حصار أورشليم بلغت المجاعة أشدها وبلغ الجوع أن أكل الشعب الجيفة ودبيب الأرض – وكان من يملك القليل من القمح يخاف أن يطحنه ويخبر عنه صوت الطاحونه فكان يأكل القمح حباً خوفاً من الجوعى – ويروى يوسيفوس الكثير من الأحداث المؤلمة بسبب هذه المجاعة ، حيث يخطف الأب القوت من ولده والولد من والده حتى أن الشعب كان لا يقوى على دفن موتاهم – وكان الخوارج يقذفون بالموتى من فوق السور – وبلغ الحد أن وصل الجوع إلى الخوارج أنفسهم فكانوا يقتاتون بجلود البهائم والحب الموجود فى فضلات الحيوانات – كما يذكر يوسيفوس قصة المرأة التى أكلت وحيدها الذى كان يتضور جوعاً ولا يكف عن البكاء وعلمت أنه بعد موته ستأكله الكلاب وأنها ستلحق به ، وقالت لطفلها سأجعل جوفى الذى حملك قبراً لك . بذلك تكون كافأتنى عوضا عن حملى لك !!

وخرج بعض اليهود من المدينة بمساعدة تيتوس فأطعمهم وسقاهم ، وأمر بنفى العرب والسريان من عسكره وإبعادهم فكفوا عن قتل اليهود كما أمر رجاله بالتخلى عن الحلى بلباسهم وسيوفهم لأن اليهود كانوا يقتلونهم طمعاً فى هذه الحلى .. ويبتلعونها .. فكانوا بالتالى عرضة للقتل للاستيلاء على ماتحتويه فضلاتهم من هذه الحلى ..

لما علم الرومان سوء حال أهل أورشليم – تقدموا نحو السور الثالث ونصبوا عليه (الكبش) ليهدموه ، ولم يكن لدى الخوارج القوة كما فعلوا سابقاً ، فدفع الروم الكبش فهدموا السور – ولكن كانت المفاجأة إذ وجدوا أن اليهود قد أسرعوا ببناء سور جديد خلف هذه الفجوه التى فتحها الرومان .. لكن تيتوس أيقن أن هذا الجدار حديث البناء ولابد وان يكون هشاً لأنه لم يجف بعد ، فأمر رجاله بهدمه ومن خلاله تسلل الرومان وقهروا اليهود الذين فروا وتحصنوا داخل الهيكل .

وعند هذه اللحظة الحاسمه عاود تيتوس عرضه لليهود بالإستسلام فإستدعى يوحانان ورؤساء الخوارج وحاول إقناعهم بالكف عن المقاومة لإنقاذ المدينة والهيكل ، فلم يستمع له الخوارج ولم يأخذوا بنصيحة يوسيفوس ، بل تحصن يوحانان داخل قدس الأقداس فى الهيكل .. فأمر تيتوس جميع جيشه (ثلاثين ألف رجل) أن يدخلوا صحن القدس ، وبذلك تم انتشار الرومان فوق الأسوار وداخل المدينه .

وكان بالقرب من القدس قصر عظيم بناه سليمان ، ومضى اليهود الى ذلك القصر ودهنوا جدرانه ومافيه من الخشب بالنفط والقار والكبريت ثم استدرجوا الرومان إلى داخل القصر . وخرجوا هم من أبواب خلفيه ثم اشعلوا النار فإحترق القصر بمن فيه من الرومان وكل من حاول منهم الخروج قُتل بالسيف فهلكوا بأجمعهم .

ولم يستطع تيتوس بسبب هذا الهجوم أن يسيطر على جنوده ، الذين اندفعوا وأشعلوا النار فى باب قدس الأقداس المغشى برقائق الذهب واشتعلت النيران وأكلت الهيكل وتم تدميره بالكامل عام 70ميلاديه .

أما عن الخوارج فقد قُتل يوحانان وشمعون ، أما العازر فقد استقر هو وبعض أتباعه فى حصن بقرية تسمى " ماصيو " ، وحينما تم العثور عليه حوصر هذا الحصن وهنا أدرك العازر أنها النهاية وأنه لا سبيل للنجاة فطلب من قومه أن لا تكون نهايتهم على يد الرومان بل يموتون بكرامة .. فجمع الرجال نساءهم وأولادهم فعانقوهم ثم قتلوهم عن آخرهم وطرحوهم فى الآبار وردموا عليهم التراب ، ثم خرجوا شاهرين سيوفهم فى وجه الرومان وظلوا يقاومونهم حتى سقطوا جميعهم قتلى.

صراع القوة والامبراطوريات

هل يوجد شيء اسمه صدام الحضارات؟

حفلت القرون الثلاثة الأخيرة بالعديد من الافكار والكتابات التى تنصب حول العلاقات بين الافراد والجماعات فى المجتمع الانسانى ثم بالفلسفات والسياسات التى تعبر من وجهة نظر أصحابها ودعاتها عما يحرك أحداث التاريخ وعما يجب ان يتخذه المجتمع من أشكال ونظم .

فى أواخر القرن التاسع عشر تبلورت النظرية الماركسية واشترك كارل ماركس وزميله فريدريك انجلز فى وضع ميثاق الحزب الشيوعى والذى يقول بان كل اشكال الصراع بين البشر كانت فى جوهرها صراعات طبقيه وبالتالى فان الغاء الفوارق بين الطبقات هو السبيل الأوحد الى السلام الاجتماعى ، ووضع ماركس نظاما اقتصاديا يقوم بصفة أساسية على تخليص البشرية من الارباح الرأسماليه . وكان بالطبع يكتب هذا فى وقت لم تكن فيه العلوم والفلسفات فى المستوى التى هى عليه الآن ، وواضح من فكره ان مسألة المادية – وهى انه لا وجود الا للمادة . لايمكن الآن استنباطها بسهولة من حقائق علوم الفيزياء وبصفة خاصة نظرية الكم " الكوانتام " ، كما ان علوم الادارة قد تطورت كثيرا منذ ذلك الحين واصبح واضحا ان تحقيق الجودة والفاعلية والكفاءة من شأنه ان يحقق من النفع ومن خير المستهلك أضعاف ما يمكن ان يأتى من وراء نظريته فى فائض القيمة .. الخ .

ثم جاء سسيجموند فرويد – الطبيب وموسس مدرسة التحليل النفسى – وقال ان اقوى دافع عند الانسان هو الغريزة الجنسية – وبعكس ماركس لم تكن نظريات فرويد فى السلوك الانسانى كلها ضلالاً ولكنها ماتزال تبدو هى ايضا رؤية للدنيا والحياة من ثقب ابرة.

وفى حوالى نفس هذا الوقت طلع العالم الفيلسوف برتراند راسل بكتابه الشهير : " القوة " أو " السطوة " ، الذى يوضح فيه ان النزعة الى التسلط على الآخرين هى أقوى الدوافع عند بنى الانسان وان حيازة السطوة تأتى صاحبها بكل شيء آخر سواء كان المال أو المتع الحسية، وقد رأينا هذا يحدث فى كل مراحل التاريخ ومازال يتمثل حتى الآن فى الحكام الذين يتسلطون تماماً على شعوبهم مثل كاسترو فى كوبا وصدام حسين فى العراق وكما كان الحال من سلاطين الدولة العثمانية الى جوزيف ستالين ونظرائه فى عديد من المجتمعات . ما ان تصل الى السلطه المطلقة حتى تجد ان ثروة البلد كلها ثروتك الشخصية وكل من عليها من بشرهم عبيد تملكهم بل انه نوع خاص جدا من الامتلاك لانك تستطيع ان تقطعهم اربا أو تعلقهم على المشانق او تستمتع بمشاهدتهم وهم يتعذبون وهو ماقد لا يكون مسموحاً به فى نظم امتلاك الرقيق قبل ان تتفق الدنيا على تحريمه ، وقد رأينا عيدى أمين فى اوغندا ودوفاليبه فى هاييتى وشاوشيسكو فى رومانيا – رايناهم يمارسون هذه البشاعات التى تفوق التصور بكل حرية واستمتاع . وقد سمعنا ايضا ان ابن صدام حسين المدعو " عدى " كان يجوب الطرقات فى بغداد ويأمر بخطف النساء اللاتى يعجبنه واذا اعترض زوج واحدة منهم فانه يقتله ضربا ويلقى به فى القمامة . وقد راينا الناس يصلون فى بلد مثل الولايات المتحدة الى قمم من الثراء لم يصل اليها آدمى من قبل ولكن هذا لايجعلهم يمارسون اموراً كهذه دون ان يجرؤ أحد على محاسبتهم . وقد كان صحفيان فى جريدة واشنطون بوست هما اللذان أسقطا الرئيس الامريكى نيكسون ، ولماذا ؟ لأنه حاول أن يتستر على مخالفات قانونية تورط فيها بعض مساعديه .

السلطة اذن هى اقوى دافع لدى البشر، وهى تأتيهم بكل شىء آخر ، وفى زمن واحد كان جوزيف ستالين وماوتس تونج وادولف هتلر يحكمون اكثر من نصف العالم بهذا الأسلوب (بفوراق زمنية طفيفة) .

*حكام الزمن القديم:

كانت الممالك القديمة كلها تحكم بواسطة ملوك لايقف الأمر عند امتلاكهم لهذا النوع من السلطة بل انهم ايضا آلهة معبودون ، وخالدون ، وابناؤهم يرثون الملك نفسه والسلطة ذاتها . وما ان يحس الملك أو الفرعون بأنه يملك من القوة اكثر مما لدى جيرانه حتى ينقض عليهم ليضيف أقاليمهم الى ملكه ورجالهم الى عبيده وعيالهم ونساءهم الى حريمه . وكان هذا امرا طبيعياً تماما ومقبولا جداً بل وظل كذلك لغاية منتصف القرن العشرين !

استمر هذا طالما بقيت الملكية المستبدة ، وعندما تطورت المعرفه – وخاصة خلال القرن الثامن عشر ، الذى يسمى " عصر التنوير " – اكتسبت دول أوروبا الكبرى قوة هائلة تتمثل فى المدافع والدبابات والاساطيل الحربية والغواصات – وبدأ ملوكها واباطرتها يسيطرون على بلاد افريقيا وآسيا ويجدون فيها مصادر هائلة لمزيد من القوة والثراء ، وكان لابد من حدوث المنافسة بينها ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى – وسميت الحرب العظمى – لم تكن ، ولم تكن ايه حرب سابقة لها ، صراعا بين حضارات ، بل صراعاً على غنائم العالم المتخلف. وكانت جميع الدول المشاركة فيها – باستثناء الامبراطورية العثمانية ، والتى دخلتها بسبب تقطيع أوصالها بواسطة دول الحلفاء : روسيا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ، التى مضت تلتهم الاقاليم التابعة لها فى وسط آسيا وفى شمال أفريقيا – كانت جميع هذه الدول تعيش نفس الحضارة : فى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة ، وفى جانب دول الوسط كما سميت : ألمانيا والنمسا وبلغاريا ، كل هذه كانت حضارات أوروبية غربية بكل مكوناتها من نظم الحكم والتعليم والمعرفة والديانة والفكر السياسى والمواثيق الاجتماعية والأخلاقية . وكان حكام جميع هذه الدول – باستثناء فرنسا الجمهورية ، وبريطانيا التى كانت سلطات الملك فيها قد تقلصت الى حد بعيد – كل حكامها كانوا اباطرة لاحد لأطماعهم الداخلية والخارجية وكلهم سقطوا بعد الحرب بما فيهم قيصر روسيا التى لم تخرج منها منهزمة مثل ألمانيا والنمسا ، بل انه حتى السلطان العثمانى والخلافة التى يدعيها، كلاهما انمحى من الوجود أيضا .

*هل يوجد شىء اسمه صدام الحضارات ؟

لا اطلاقا – فالحضارة ليست سوى شىء يكتسبه المجتمع أو الدولة ، وليست فى حد ذاته وجودا ماديا يمكنه ان يتصادم او يتحرك او حتى يتمثل . وفى الحرب العظمى كانت كل الأطراف تعيش نفس الحضارة ومع ذلك تتقاتل وتتعارك ، باستثناء الامبراطورية العثمانية طبعا والتى اسماها المؤرخون دولة الجوارى والخصيان ، وكان الاتراك كما نعرف مقاتلين أشداء – لا أحد ينكر ذلك، ولكنهم حتى فى هذا الجانب من حياتهم كانوا مجرد وحوش مفترسة ولكنهم بمقياس الحضارة – الذى نرجو أن نكون قد أوردناه فيما سبق ، كانوا فى أسفل حضيض يمكن ان تنحدر اليه البشرية.

وحتى فى الحرب العالمية الثانية ، والتى تبدو للبعض انها كانت صراعاً بين ايديولوجيات ثلاث هى الماركسية ، الديانة الجديدة التى تدعو لالغاء الأديان لتحل هى محلها وتنادى بانه لا وجود الا للمادة ! ، والفاشية التى تدعو الى سمو الأجناس الراقية وبان البقاء للأقوى وإنه لا مكان للضعفاء

والمتخلفين الذين هم ليسوا آدميين تماما ، ثم الديموقراطية الغربية التى تدعو الى الارتقاء بنظام الحكم واشراك الناس كلهم فيه والى الحد من السلطة بفصل السلطات وحرية الصحافة .. كل هذه الايديوجيات كانت مجرد رداء تلبسه الأطراف القوية فى العالم – والخلاف بينها كان يكاد يقتصر على أنظمة الحكم ولكنها كانت تتساوى فى الدين والتقاليد الاجتماعية والنشاط الاقتصادى ومستويات التعليم والمعرفة والفنون وكل ماعدا ذلك .

كانت حروب الأزمنة القديمة اذن نتيجة لاطماع المتألهين من امثال تحتمس الثالث وحامورابى . وامتد ذلك الى القرن الثامن عشر وحتى العشرين ، وظهر امثال يوليوس قيصر ووليم الفاتح ومحمد الفاتح (هو ايضا) ونابليون وهتلر ... الخ ، ولو انه كان لدى هؤلاء تصور سليم لنوع الحياة التى يمكن ان يرتقى اليها النوع الإنسانى لو انصب اهتمام الناس الى العلوم والفنون والى القيم الانسانيه فى معاملة النساء والأطفال لكان حال البشرية أفضل كثيرا . هل كانت الحرب الأهلية الامريكية صداما بين الحضارات ؟ وعندما هبط المهاجرون الأوربيون على الدنيا الجديدة ومعهم ملايين من العبيد الأفارقة وواجهوا السكان الاصليين بحروب الابادة ، هل كان هذا كله صدام حضارات ؟ لو انه كان هؤلاء السكان الاصليين يمشون وراء زعامات مستنيرة بدلا من ان يخضعوا لأمثال جيرونيمو وستنج بول ، لما كان قد لحق بهم هذا الفناء . هذا هو ما فعله الامريكيون السود بزعامة الراشدين من امثال مارتن لوثركنج ، انهم عدوا هذا النظام الجديد هو حضارتهم والدولة الجديدة هى وطنهم . ولو أن المانيا حظيت بعد الحرب العظمى (الأولى) بزعامة رشيدة لما استحوذت روح الانتقام وسادت الرغبة فى معاقبة الحلفاء على اذلالها مما أدى الى كل ماجرى ، وكذلك فان حرب الباسفيك لم تكن الا نتيجة لغرور العسكريين اليابانيين الذين وجدوا فى تفوقهم الساحق مبرراً لغزو دول آسيا واستعباد شعوبها .

وقد قرأت بإمعان كتاب صمويل هانتنجتون المعنون " صدام الحضارات " واقتنعت بالكثير مما جاء به من حقائق واستدلالات، ولكنه لم يقنعنى ابدا بنظرية صدام الحضارات ، ان اكبر عامل يؤثر فى ظهور الحضارات هو تقدم المعرفة ، والمعرفة عندما تسمو فانها تتجه الى الانتشار وعندئذ تصطدم – لا بالجهل بل بالزعامات التى تنحو الى الكبت والاستعباد – مثل بن لادن والظواهرى وزعماء الخراب والدمار – ولو أنها لقيت عقولاً تريد ان تستنير وتعمل من اجل رفاهية البشر وسعادتهم لكنا نعيش الآن فى عالم يسعى الى استكشاف آفاق الكون وحدوده اللانهائية ويتجه فيه الناس الى الارتقاء بالعلوم والفنون وادراك عظمة الكون ورحابته والأعماق اللانهائية للجمال المادى والفكرى والمعنوى . أظن أن الفرصة قد فاتت ، ولكنى أظن ايضا ان هذا ليس بسبب مايسمى صدام الحضارات ، فليس هناك شيء هذا اسمه.

ان الحضارة ليست سوى الثوب الذى يلبسه المجتمع ، وهو قابل للتغيير والتبديل ، وقد غيرت اليابان ثوبها فى اواخر القرن التاسع عشر وتحولت من الاقطاع وبلطجة فرسان الساموراى الى قوة صناعيه وحربية حديثة ، اغراها هذا بالتوسع واحتلت جيوشها منشوريا وكوريا والصين ثم دخلت الحرب ووصلت جيوشها الى الهند واندونيسيا ، ثم حلت الهزيمة ورأت قياداتها الحكيمة ان تخلع الثوب البالى وترتدى ثوب الديموقراطية والحداثه التامة ثم اصبحت واحدة من القوى الثمانى التى تقود العالم(محمد الحديدى).

أحوال الشعب اليهودى قبل مجىء السيد المسيح

لاشيىء يوضح الصورة التى كان عليها الشعب اليهودى قبيل ميلاد السيد المسيح ، أكثر من الاصحاح التاسع والخمسين من سفر إشعياء النبى . فبعد سرد لأحوال بنى اسرائيل فى ذلك الوقت ينتهى هذا الاصحاح بإعلان المجىء المرتقب للسيد المسيح حيث يقول " ويقبل الفادى الى صهيون " . وقد رأيت أن انقله كاملاً لأنه يُغْنِى عن التعقيب .

انظروا ، إن ذراع الرب ليست قاصرة حتى تعجز عن أن تخلص ، ولا أذنه ثقيلة حتى لا تسمع . إنما خطاياكم أضحت تفصل بينكم وبين إلهكم وآثامكم حجبت وجهه عنكم ، فلم يسمع ، لأن أيديكم تلوثت بالدم وأصابعكم بالإثم ، ونطقت شفاهكم بالكذب ، ولهجت ألسنتكم بالشر . ليس بينكم من يطالب بالعدل ، او يحكم بالحق . يتكلون على الباطل ويتفوهون بالزور ، يحبلون بالغش ، ويلدون بالإثم . يفقسون بيض أفعى ، وينسجون خيوط العنكبوت . من يأكل من بيضهم يموت ، ومن البيضة المكسورة تخرج حية . لا تصلح خيوطهم لنسيج الثياب ، ولا يكتسون بأعمالهم ، لأن أعمالهم هى أعمال إثم ، وأفعال الظلم قد ارتكبتها أيديهم تسرع أرجلهم لاقتراف الشر ، ويهرولون لسفك دم البريء ، أفكارهم أفكار أثيمة ، وفى طرقهم دمار وخراب لم يعرفوا سبيل السلام ، ولا عدل فى مسالكهم . عوجوا طرقهم والسالك فيها لا يعرف سلاماً .

الحق ابتعد عنا ، ولم يدركنا العدل . نرتقب نوراً ، فيحدق بنا الظلام ، وننشد ضوءاً لنسلك فى العتمة . نتحسس الحائط كالأعمى ، ونتلمس كالمكفوف ، نتعثر فى الظهيرة كما لو كنا نسير فى عتمة الليل ونكون كالأموات بين المتدفقين بالحياة كلنا نزمجر كالدببة ، وننوح كالحمام . نبحث عن العدل فلا نجده ، وعن الخلاص وإذا به قد ابتعد عنا ، لأن معاصينا كثرت أمامك ، وآثامنا تشهد علينا . فمعاصينا معنا ، وذنوبنا نعرفها ، تمردنا وتنكرنا للرب ارتددنا عن اتباع طرق الهنا تفوهنا بالظلم والعصيان افتراءً ، وبكلام زور من القلب . قد ارتد عنا الإنصاف ، ووقف العدل بعيداً ، إذ سقط الحق صريعا فى الشوارع ، والبر لم يستطع الدخول . أضحى الحق مفقوداً ، والحائد عن الشر ضحية . رأى الرب ذلك فأسخطه فقدان الإنصاف .

وإذ لم يجد إنساناً ينتصر للحق ، وأدهشه أن لا يرى شفيعاً ، أحرزت له ذراعه انتصاراً ، وعضده بره . فتدرع بالبر وارتدى على رأسه خوذة الخلاص ، واكتسى بثياب الانتقام ، والتف بعباءة الغضب . فهو يجازيهم بمقتضى أعمالهم . يجازى أعداءه ، ويعاقب خصومه ، وينزل القصاص بالجزائر ، فيتقون من المغرب اسم الرب ، ومن المشرق يخشون مجد الرب ، لأنه سيأتى العدو كنهر متدفق فتدفعه ريح الرب.

ويقبل الفادي إلى صهيون ، وإلى التائبين عن معاصيهم من ذرية يعقوب ، يقول الرب . أما أنا, يقول الرب ، فهذا عهدى معهم : إن روحى الحال عليك وكلامي الذي لقنتك إياه ، لا يزول من فمك أو من فم أبنائك أو أحفادك ، من الآن وإلى الأبد .

الخاتمه

التوراه اول الكتب السماويه التى أوحى بها الله إلى موسى النبى . وتشير الأحداث وأقوال الأنبياء وتحقق النبوءات ، الى مصداقيه هذا الكتاب المقدس . كما أن ما وصل إليه علماء الآثار والتنقيب ، واكتشاف مدن قديمه واطلال وآثار .. جميعه يؤكد احداثا معينه واماكن ومدناً جاء ذكرها فى التوراه .

أما عن تاريخ الشعب اليهودى ، فيبدأ بإختيار الله لجماعة سُميت بالعبرانيين دخلوا مصر فى ظروف اقتصادية حرجه واستقروا بها زهاء اربعمئه عام وتقول التوراه انهم ذاقوا خلالها العبوديه والاضطهاد . وهنا يظهر (المخلص) وهو موسى الذى يخرج بهم من مصر رغماً عن ارادة فرعون بعد أن وجه الله له عشر ضربات قاسية . ويصبح هذا الشعب مختاراً لنشر الايمان انذاك . تعلق هذا الشعب بموسى المنقذ وسار بهم عبر سيناء فى رحلة نحو أرض كنعان – لكن ردة هذا الشعب عن الإيمان بالإله الواحد والسجود لصنم صنعوه بأيديهم ، أثارت غضب الله فكان التيه بالصحراء اربعين عاماً . كانت هذه السنوات كافية للقضاء على هذا الجيل الأول ولم يدخل الأرض المرتقبة أى منهم بمن فيهم موسى وهارون .

وقامت معارك عنيفة دموية للسيطرة على الارض المنشودة (أرض كنعان) وظلوا قرابة أربعة قرون فى حروب شتى تحت حكم من سموا بالقضاه . وكان شاول أو ملك على بنى اسرائيل ثم جاء داود ثم سليمان ابنه .

ومرة أخرى يغضب الله على بنى اسرائيل وتنقسم المملكة الى مملكتين (اسرائيل ويهوذا) . ويتوالى الملوك ، ثمانية عشرة على اسرائيل وعشرون على يهوذا .. وتصفهم التوراة بأنهم عملوا الشر فى وجه الله .. أى أنهم كانوا ملوكاً اشراراً بإستثناء القليل جداً من ملوك يهوذا .

ويتوالى غضب الله على هذا الشعب ويأتى العقاب الثالث وهو الأشد حيث سلط عليهم شعوباً هزمتهم وتم سبى شعب اسرائيل على يد الأشوريين ، وشعب يهوذا على يد بابل التى دمرت أورشليم والهيكل ، وصار الشعب الاسرائيلى فى الشتات .

ويأتى الفرس ويأمر كورش بعودتهم إلى اورشليم وإعادة بناء الهيكل بقيادة زربابل .

وينتهى السرد التاريخى للتوراه عند هذا الحد لحوالى اربعمائه عام ويصبح تتبع أخبار الشعب اليهودى من خلال كتب التاريخ وكتابات المؤرخ اليهودى " يوسيفوس " فى القرن الأول للميلاد ، وكتابات الإغريق والرومان وبعض الاكتشافات الحديثة فى وادى قمران والبحر الميت (عام 1948).

كان اليهود فى تلك الفترة تحت حكم ولاة من الفرس ثم السلوقيين أيام الامبراطوريه اليونانيه ثم اخيراً تحت الحكم الرومانى بدء من عام 64 ق م . ثم يأتى السيد المسيح وينكره اليهود رغم كل ماجاء فى التوراة بما ينبىء بمولده من عذراء وأحداث أخرى ، ورفضوا الفرصة الأخيره بقتل يوحنا المعمدان . ويتحقق ما جاء فى التوراة والانجيل بشأن اليهود حول الشتات وهدم الهيكل الذى حدث عام 70 م . بذلك لم يعد اليهود شعباً مختاراً.

والقراءة المتأنية للتاريخ اليهودى تبرز الجذور لعادات وأخلاقيات هذا الشعب ، كما تفسر العنف الإسرائيلى هذه الأيام ، فإسرائيل تدخل معارك مع الفلسطينيين والدول العربية المحيطة بها تتسم بالعنف والقسوه ولا ترض بالانتصار فى معركه لكنها تترك الساحة بعد أن تقوم بعمليات تصفيه عرقيه وهدم منازل واستيلاء على الاراضى وطرد الأهالى واقامة مستوطنات يهوديه ومنع العودة للاجئين الفلسطينيين .

ومن خلال التوراه ، يتسم الله فى العهود القديمه وأيام اليهود بالجبروت والانتقام والقسوه ، ذلك لطبيعة الشعوب انذاك وقبل نزول اول الاديان السماويه على يد موسى ، فقد كانت هذه الشعوب وثنيه وتبيح كل الشرور والمفاسد ، فكان سبحانه وتعالى يؤدبهم تارة بالطوفان ومرات بالحرق والاباده . ويتضح ذلك جلياً فى حوار الله عز وجل مع سيدنا ابراهيم ، حين قرر الله أن يهلك سدوم وعموره " لأن مظالم سدوم وعموره قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت جداً " ، قال ابراهيم " اتهلك البار مع الاثيم " ؟ فأجابه الله لا اهلكها من اجل عشرة " اى اذا وجد بها عشرة ابرار .

لكن فى نفس الوقت وطوال تاريخ الشعب اليهودى كان الله يرجع ويرق قلبه ويصفح عنهم مع كل تضرع وطلب الصفح .

اما عن وعود الله لسيدنا ابراهيم وبنيه ، اسماعيل واسحق فقد تحققت ، وجعل من نسليهما امتين عظيمتين .

ويتضح من خلال هذا التاريخ .. صراع الامبراطوريات : الفرعونية والأشورية – البابلية – الفارسية – اليونانية وأخيراً الرومانيه - وإذا اخترنا الحضارة الفرعونيه كمثال نجد أنه حينما يكون هناك فرعون قوى وتمتد حدود مصر إلى الخارج تحدث الصراعات مع حضارات أخرى مثل فارس والسلوقيين . كذلك الحال مع الامبراطوريات الأخرى فنجد الصراع يحتدم حيث تصل قوة بابل مثلا إلى الدرجة التى تستطيع من خلالها إخضاع آشور ، ثم فارس تخضع بابل إلى أن يأتى الاسكندر الاكبر ويكتسح هذه الامبراطوريات .. وحين تتفكك امبراطوريته يبرز المارد الرومانى ليحل محل نظيره اليونانى .

واذا طبق هذا الوضع فى الحرب العالمية الثانية فى نهاية النصف الاول من القرن العشرين مثلاً .. نجد أن الحروب العالمية نشبت حين تفوقت القوة الالمانية واكتسحت اوروبا وشمال افريقيا ... ولو انتهت هذه الحرب لصالح المانيا ، لتكونت امبراطوريه تبسط نفوذها لعشرات السنين .

أما النزاع فى النصف الثانى من القرن العشرين بين الامبراطوريات فكان بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وقد قامت بينهما حرب باردة استمرت نصف قرن انفقت خلالها الولايات المتحده المليارات فى إقامة شبكات من الصواريخ العابرة للقارات والصواريخ المضادة للصواريخ ، غير الأقمار الاصطناعية بغرض التجسس وبناء قوة ضاربة جوية وبحرية لم يشهد مثلها التاريخ .

انتصرت الولايات المتحده فى هذا المواجهه .. وبدأت فى جنى ثمار الانتصار وتعويض ما تم إنفاقه فى بناء هذه القوة العسكرية التاريخيه وكان المخطط الاستراتيجى اقتصادياً وثقافياً أكثر منه عسكرياً فبرزت تعبيرات مثل العولمه ، وماهى إلا نشر الثقافه الأمريكيه والهيمنه على أسواق العالم وفرض المنتجات الأمريكيه على الشعوب ، وفرض النفوذ الامريكى على مناطق البترول فى العالم ، واستمرار الهيمنه العسكريه بإنشاء قواعد عسكرية فى المناطق الحساسه من العالم بحيث أصبحت

هذه الهيمنه العسكرية على الأرض وفى الجو وفى البحار، عن طريق حاملات الطائرات التى تجوب العالم .

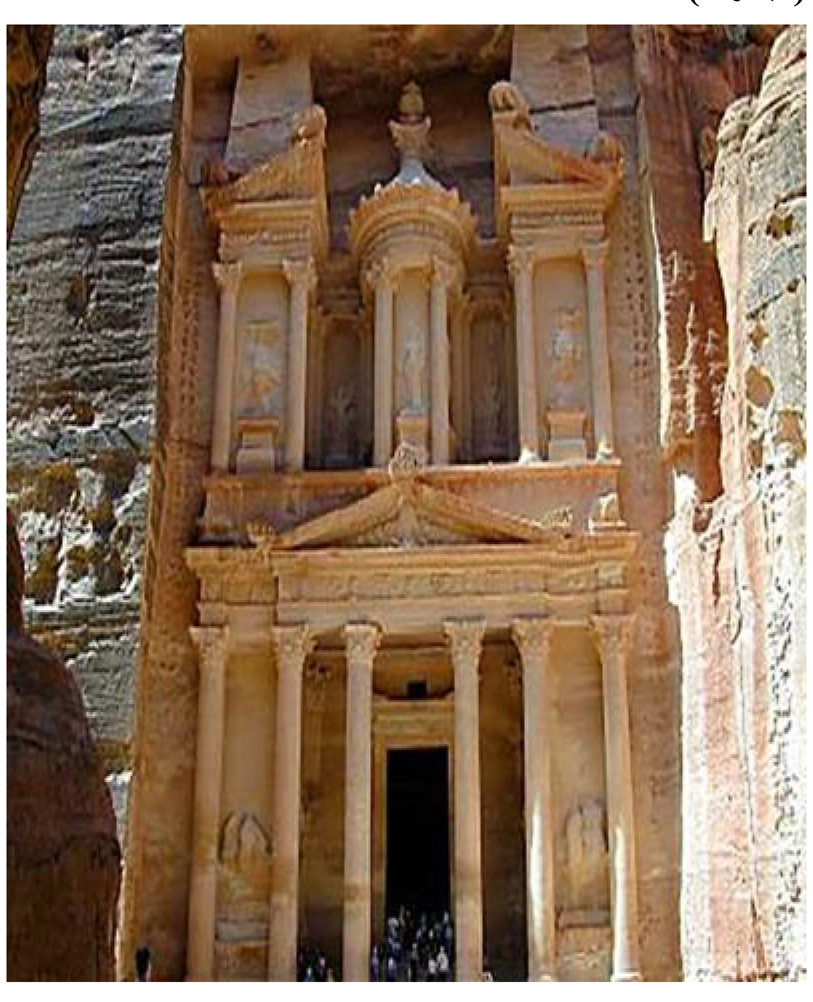
هل ما يحدث الأن صراع امبراطوريات ام صراع حضارات ؟ الواضح انها صراع امبراطوريات .

فبعيداً عن القوه ، تتلاحم الحضارات وتتغلغل الواحدة فى الأخرى وتكمل كل واحدة الأخرى فى الثقافة والعلم والفن والصناعة والتجارة .. الخ .

ومثال ذلك الأن دول آسياخاصة الصين والهند فلا أحد ينكر حضارة الصين والهند ولكن كُرِسَت هذه الحضاره فى وقتنا الحاضر لإطعام ملايين البشر مع نجاح منقطع النظير تتمتع به الصين بغزو الأسواق العالميه بالمنتجات الصينيه . اما الهند فتتمتع بديموقراطيه بجانب تقدم علمى ملحوظ .

ملاحق صور

(البطراء)







الكتب والمراجع

(1) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس
شركة ماستر ميديا – المعادى – القاهرة
لجنة التحرير والنشر
دكتور بروس بارتون Dr. Bruce B.Barton
رونالد بيرز Ronald A. Beers
د. جيمس جالفن Dr. James C. Galvin
لندا تايلور Linda Chaffee Taylor
دافيد فيرمان David R. Veerman
ديرك بورسما Dirk R. Buursma
د. فيليب كومفورت Dr. Philip W. Comfort
مارك نورتون Mark Norton
روبرت براون Robert Brown
نيل ويلسون Neil Wilson
باميلا يورك Pamela York
جوان ميجور Joan Major
جولي شورتسبورج Julee Schwarzburg
جيم بولتون Jim Bolton
لندا والز Linda Walz
كارولين بلاوكامب Carwline Blauukamp
راندل فاندرول Randall Vanderwil
تيموثي بوتس Timothy R. Botts
د. ديفيد ماس Dr. David Maas
***لجنة المراجعة اللاهوتية:**
د. كينيث كانتزر Dr. Kenneth S. Kantzer
أستاذ علم اللاهوت النظامي

كلية ترينتي الإنجيلية للعلوم اللاهوتية

د. جيلبرت بيرز Dr. V. Gilbert Beers

محرر في مؤسسة كريستيانتي للنشر

د. باري بيتزل Dr. Barry Beitzel

أستاذ العهد القديم واللغات السامية

كلية ترينتي الإنجيليه للعلوم اللاهوتية

د. أدوين بلوم Dr. Edwin Blum

أستاذ علم اللاهوت التاريخي

كلية دالاس للعلوم اللاهوتية

د. جيفري بروميلي Dr. Geoffrey W. Bromiley

أستاذ في كلية فوللر للعلوم اللاهوتية

د. جورج بروشاير Dr. George K. Brushaber

رئيس كلية بيثل للعلوم اللاهوتية

د. ل. روس بوش Dr. L. Russ Bush

أستاذ الفلسفة والدين

كلية ساوث ويسترن المعمدانية للعلوم اللاهوتية

دونالد كول C. Donald Cole

راعي. شبكة مودي للإذاعة المسيحية

السيدة نعمي كول Mrs. Naomi E. Cole

محاضرة

د. والتر إلول Dr. Walter A. Elwell

أستاذ العهد الجديد واللاهوت

كلية ويتون للدراسات العليا

د. جيرالدف . هوثورن Dr. Gerald F. Hawthrone

أستاذ اللغة اليونانية – كلية ويتون

د. هوارد هيندريكس Dr. Haward G. Hendricks

أستاذ تنمية القيادات

كلية دالاس للعلوم اللاهوتية

د. جرانت أوزبورن Dr. Grant R. Osborne

أستاذ العهد الجديد

كلية ترينتي الإنجيليه للعلوم اللاهوتية

***لجنة الترجمة والتحرير للطبعة العربية:**

وليم وهبة

جوزيف صابر

صبري بطرس

عاطف سامي

عادل كمال

(2) الكتاب المقدس

(3) الاسفار القانونيه الثانيه

(4) القرآن الكريم

(5) موسوعة مصر القديمه د. سليم حسن

الهيئه المصريه العامه للكتاب – مكتبه الاسره – 2000

(6) موسوعه وصف مصر تأليف علماء الحمله الفرنسيه

(نهر النيل) مكتبة الأسره القاهره 2003

(7) مصر الفرعونيه : جان يويوت – ترجمة سعد زهران، الالف كتاب – الاداره العامة للثقافه – 1966 .

(8) مصر والشرق الادنى القديم (الحضاره المصريه القديمه)

د. نجيب ميخائيل ابراهيم

مؤسسة المطبوعات الحديثه 1959

(9) مصر والشرق الادنى القديم (من فجر التاريخ الى قيام الدوله الحديثه)

د. نجيب ميخائيل ابراهيم

دار المعارف بمصر 1963

(10) قصة الحضاره (ول ديورانت) – ترجمة محمد بدران

مكتبة الأسرة 1961

(11) تاريخ اليهود (يوسيفوس) – اعداد الراهب القمص انطونيوس الانطونى – شركة الطباعه المصريه 2006 .

(12) الموسوعة الأثريه العالميه

ترجمة د. محمد عبد القادر

د. زكى اسكندر 1977 .

(13) تاريخ مصر منذ اقدم العصور الى الفتح الفارسى

(جيمس هنرى برستد) ترجمة : د. حسن كمال

وزارة المعارف المصريه – القاهره 1929 .

(14) فجر الضمير (جيمس هنرى برستد) - ترجمه سليم حسن – مكتبة مصر القاهرة .

(15) موسى والتوحيد (سيجموند فرويد) – ترجمة جورج طرابيشى – دار الطليعه – بيروت – 1979 .

(16) الشرق الادنى القديم – عبد العزيز صالح

الهيئه العامه لشئون المطابع الاميريه – القاهره 1967 .

(17) اليهود واليهوديه والصهيونيه (موسوعه) – د. عبد الوهاب المسيرى دار الشروق 2005

(18) الموسوعه الفلسفيه المختصره : ارمسون J.O. URMSON ترجمة فؤاد كامل ، جلال البشرى ، عبد الرشيد صادق مكتبة الانجلو المصريه 1963 .

(19) خريف الفكر اليونانى د. عبد الرحمن بدوى

مكتبة النهضه المصريه 1943

(20) المرشد الجغرافى التاريخي للعهد القديم القمص مكسيموس وصفى كنيسة السيدة العذراء مريم – محرم بك الاسكندريه 1994 .

(21) المرشد المصور للعهد القديم القمص مكسيموس وصفى كنيسة السيدة العذراء مريم محرم بك الاسكندريه 1993 .

***الأعلام:**

- ابن كثير عن "الاسطورة والتراث" سيد القمنى
- الصدر الجزائرى المرجع السابق
- ايين ويلسون "الكفن المقدس بتورينو"

بريستول – انجلترا 1977- ترجمة القس . جورجيوس عطاالله 1983

- جوستاف لوبون "اليهود فى الحضارات الأولى" عن كتاب مقارنة الأديان (اليهوديه)

د. أحمد شلبى – مكتبة النهضه المصريه – القاهره 1978

- حسن عاشور
- ديودور الصقلى مقال: جريدة الأهرام 6- 1- 2007

"مصر الخالده"
د. عبد الحميد زايد – دار النهضه العربيه القاهره
- ريند Rhind عن : د. نجيب ميخائيل "مصر والشرق الادنى القديم"
- سامى جبره عن المصدر السابق
- سيد القمني الأسطورة والتراث – المركز المصري لبحوث الحضارة – القاهرة 1999
- صموئيل كريمر "الاساطير السومريه"
ترجمة داود عبد القادر
مطبعة المعارف بغداد 1971
- صموئيل كريمر "من الواح سومر"
ترجمة طه باقر
مكتبة المثنى بغداد 1971
- عباس محمود العقاد "الله"
كتاب الهلال – دار الهلال 1954
- فاضل عبد الواحد "الطوفان فى المراجع المسامريه"
الإخلاص بغداد 1975
د. فؤاد زكريا "التساعيه الرابعه لأفلوطين ، فى النفس"
الهيئه المصريه العامه للتأليف والنشر 1970
- مانيتو فى كتاب د. نجيب ميخائيل "مصر والشرق الادنى القديم"
- محمد الحديدى مقال : جريدة المسائيه ، القاهره 21/7/2007
- مراد كامل مقدمة كتاب "الاسفار القانونيه الثانيه"
كنيسة مارجرجس اسبورتنج 1995
- موسكاتو سبتنيو "الحضارات الساميه القديمه"
ترجمة السيد يعقوب بكر
القاهره 1957
يوسف كرم تاريخ الفلسفه اليونانيه 1936
Anselm, St. Cur Deus Homo
" Why God Became Man "
" David Rohl " Wikipedia, The Free Encyclopedia

" Edward Chiera " Wikipedia, The Free Encyclopedia
.Harrison, R.K. " The Archaeology of the old testament " 1963
.John allegro "The Dead sea scrolls" 1986
John, C, Trever "The Dead sea scrolls" 1979
"Juris Zarins "Wikipedia, The Free Encyclopedia
.Kold way "Cleveley's-com. UK 1899
.layard, austin henry "Nineveh and its Remains" 1948
.Michael Sanders Bible Research Foundation California
.Petrie, W.M.F. ARTS and crafts of Ancient Egypt
.Strabo Geography, 8 vols. Loeb. Ed
.After cleveley's . Co. UK

المؤلـــف

- مواليد عام 1940 بالقاهره
- حاصل على بكالوريوس الطب عام 1962
- دبلوم الأمراض الباطنيه عام 1966
- دبلوم الأمراض الصدرية عام 1969
- دكتوراه الأمراض الصدريه عام 1981
- زمالة الكليه الامريكيه لأطباء الصدر
- زمالة الاكاديميه الدوليه للأوعيه الدمويه
- عضو الجمعيه الاوروبيه للجهاز التنفسى
- استاذ ورئيس مجلس اقسام الصدر بالهيئه العامه للمستشفيات والمعاهد التعليميه
- استاذ غير متفرغ بالهيئه السابقه.
- حاصل على شهادات التقدير والتفوق من العديد من الهيئات والجهات من بينها نقابة الاطباء ومؤسسة الجمهورية.
- كاتب بالصحافه المصريه.